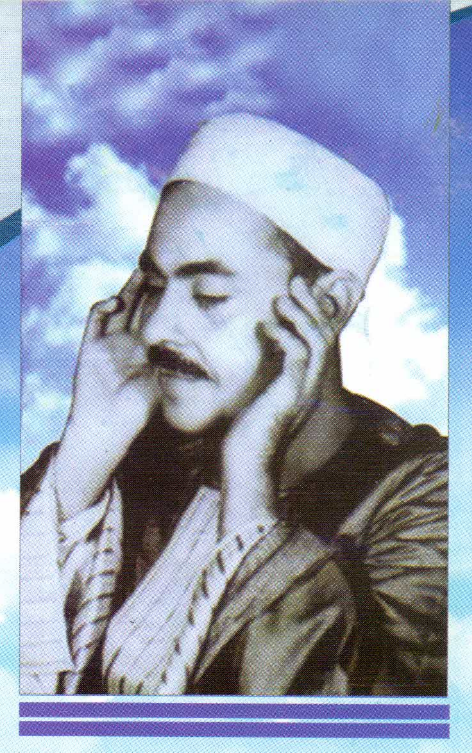
السيرة الذاتية 6



قيثارة السماء

الشيخ/ محمد رفعت

محمود توفيق الخولى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

قيثارة السماء

الشيخ/ محمد رفعت



الهيئة المصرية العامة للكتاب

قيثارة السماء
الشيخ محمد رفعت

قيثارة السماء
الشيخ محمد رفعت

المتوفى ٩ مايو ١٩٥٠

٢٢ رجب ١٣٣٩هـ

محمود توفيق الخولى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠١٣

الخولي، محمود توفيق.

قيثارة السماء: الشيخ محمد رفعت/ محمود توفيق الخولي. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٣.

٢٢٤ص: ٢٤سم.

تدمك ٥ ٢١٧ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ المقرئون المصريون.

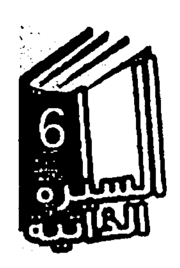
٢ ـ رفعت، محمد محمود، ١٨٨٢ ـ ١٩٥٠.

أ ـ العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٦٢٨/ ٢٠١٣

I. S. B. N 978 - 977 - 448 -217 - 5

ديوى ٩٢٢,٢٨



● الكتاب: قيثارة السماء

الشيخ محمد رفعت

● تأليف: محمود توفيق الخولى

● الطبعة الأولى: ٢٠١٣م

حقوق الطبع محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب: ٢٣٥ الرقم البريدى: ١١٧٩٤ رمسيس

www.gebo.gov.eg
e-mail: info@gebo.gov.eg

رئيس مجلس الإدارة:

د. أحمد مجاهد

رئيس التحرير:

فتحى عبد الله

سكرتير التحرير:

إحسان سيد حسن

التصحيح اللغوى:

أحمد محمد حسن

الإخراج الفنى:

مادلين أيوب فرج

تصميم الغلاف:

صبرى عبد الواحد



إهـــداء

إلى الروح الطاهرة...

إلى النسمة العاطرة

والمشاعر الرقيقة...

والحس المرهف والقلب الكبير الذى ألهمه الله التعبير عن مكنون آياته وبديع أسراره، فوصل الأرض بالسماء وقرب من القلوب الرجاء وسرى النَفْثُ العذب والبثُ الشريف من رب العالمين فى نفوس العباد..

إلى روح الشيخ محمد رفعت

أجزل الله لك العطاء وأعظم ثوابك ونور ضريحك وجافى الأرض عن جنبيك وجزاك الله خيراً عن كل من سمع تلاوتك واهتدى بها..

وإلى أبى وأمى متعهما الله بالصحة والعافية...

وإلى أحفاد الشيخ محمد رفعت الأستاذة هناء رفعت والأستاذ إبراهيم رفعت والأستاذ نبيل رفعت... وإلى سعادة الدكتور محمود غزالة، فجزاهم الله جزاء عظيماً.

المؤلف

مقدمة
الطبعة الرابعة

تأتى الطبعة الرابعة لكتاب «قيثارة السماء» الشيخ محمد رفعت القارئ الكبير خالد الذكر.

ولقد كتبت عن رفعت مولانا وسيدنا الذى حفظ القرآن ببصيرته وعاش بين الناس ببصيرته النفاذة قال الله تعالى ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾.

وقد تعجبت لأداء هذا الرجل وفنه فى تلاوة القرآن الكريم بالأوجه المختلفة التى تعلمها من متن الشاطبية.

ولازلت أكتب عن الشيخ محمد رفعت ولا أظن أننى سأنتهى من الكتابة عنه.

والشيخ رفعت عبقرى وجندى من جنود الله الذين قال عنهم الشيخ متولى الشعراوى. هؤلاء جنود الحفظ وقادة التحفيظ منهم استقبل العلماء ما فسروا وأخذ الفقهاء عنهم ما اجتهدوا وأخذ الأدباء منهم ما دبجوا به عيون المقال وفصل الخطاب، هذه الكتيبة من القراء لم يكونوا مكررين، لا أداءً ولا أصواتًا ولا لحنًا.. بل لكل واحد منهم نغم خاص يخدم النص.. فمنهم قمة الأحكام كالحصرى مثلا.. ومنهم قمة الصوت الجميل كعبد الباسط عبد الصمد.. ومنهم قمة الفن الرفيع الرائع الجميل كمصطفى إسماعيل، ومنهم جامع ذلك كله فى ائتلاف لا يرتفع فيه فن على فن كالشيخ محمد رفعت، فهو كل هذا جميعا ويزيد أنه عالم بما يقرأ تستطيع أن تفهمه بمجرد نطقه للكلمة، ولمحبيه فى عصره

حكايات عن هذا الفهم الرائع لما كان يقرأ هذه هى الطبعة الرابعة لكتاب قيثارة السماء وقد أضفت إلى الطبعة الثالثة، فصلين كاملين وهما الأول الشيخ محمد رفعت مدرسة متفردة لم تتكرر حتى الآن، الثانى كيف نقرأ القرآن الكريم، وقد رأيت أنه من الأهمية بمكان الإتيان بهذا الفصل، وذلك لأننا فى معرض الكلام عن رجل مدرسة بل جامعة فى قراءة القرآن، وكان بيته بحى البغالة فعلا مدرسة مفتوحة لكل الطوائف والأجناس على اختلاف لغاتهم وأديانهم وشرائعهم، وتجد فيه ما يثلج صدرك عن أحكام تلاوة القرآن الكريم..

هيا بنا نطوّف مع حياة ذلك القارئ العظيم محمد رفعت الحنجرة التى لم تتكرر فى دنيا قراء القرآن الكريم، ابتداءً بمولده وختامًا بإصابته بالمرض ووفاته...

رحم الله سيد المقرئين وإمام المرتلين والمجودين وجعله من الفائزين وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فى مستقر عليين».

وقد أصاب الشاعر حين قال:

الناس صنفان موتى فى حياتهم وآخرون ببطن الأرض أحياء

وهنا أتذكر مقولة العماد الأصفهانى: .

إنى رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا فى يومه، إلا قال فى غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

محمود توفيق الخولى

٢٠١٣

فضيلة الشيخ محمد رفعت

اسمه ولقبه:

هو الشيخ محمد رفعت محمود رفعت، محمد رفعت اسم مركب ومحمود رفعت اسم مركب أيضًا.

وقد لقب الشيخ الجليل بكثير من الألقاب منها على سبيل المثال: قيثارة السماء ـ الصوت الذهبى ـ الصوت الملائكى ـ القيثارة الإلهية ـ مزمارًا من مزامير آل داوود عليه السلام ـ صوت من الجنة.

مولده:

ولد الشيخ محمد رفعت بحى المغربلين بالدرب الأحمر بالقاهرة فى مايو عام ١٨٨٢م.

نشأته وحياته:

نشأ الشيخ رفعت بحى المغربلين فى درب الأغوات بالقاهرة، نشأ فى حى شعبى ومات فيه، هذا الحى هو الذى أنجب الصوت الذهبى، الصوت الملائكى العذب، نشأ الشيخ مبصرًا لمدة عامين، ثم قضى بقية عمره مكفوف البصر، وقد كان لفقد بصره قصة فقد ولد جميل الصورة جميل العينين ويروى ولداه أحمد وحسين أن جدتهما أم الشيخ محمد رفعت كانت تحمله بين يديها، فرأته امرأة فراحت تشيد بجمال عينيه وتعيد وتزيد.



الشيخ محمد رفعت وهو يتلو القرآن

عاش الشيخ بعدها مكفوف البصر إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، وقيل إنه أصيب برمد فى عينيه أفقده البصر ولكن لم يفقده العزيمة ورُبّ ضارة نافعة فتلك المحنة كانت جواز مروره إلى عالم القراء بل جعلته أعظم من قرأ القرآن (فى العصر الحديث) وربما أقعدته عن وظيفة مدرس فى مدرسة أو موظف فى وزارة.

وقد رزق به والده ضابط الشرطة بعد أن أصبح مأمورًا لقسم الخليفة بعدة أيام وكان والده يحمله على ذراعيه ويسير به فى درب الأغوات بحى المغربلين بالقاهرة وهو يكاد يطير فرحًا بوليده الرقيق صاحب العينين الواسعتين وما كان أحد يصدق وهو ينظر إلى هذا الطفل أنه كفيف البصر.

كتب محمد بكر- الأنباء:.

«وذات يوم اندلع الجحيم فى عيون الطفل ولم يجد طب الأطباء علاجا له، وفقد الطفل الجميل نور عينيه ...

كان أبوه يبكى بحرقة عندما يسمع ابنه الكفيف يسأله :

متى النهار يطلع يابابا ..؟

ويضمه أبوه بين أحضانه فى حنان ويقول له:- سوف تتعود على الظلام يابنى وسترى بقلبك أكثر مما ترى بعينيك .. ووجد الصبى محمد رفعت النور الذى كان يبحث عنه فى قراءة القرآن، فاستراح له وأحبه وأتم حفظه وهو فى التاسعة من عمره وهو فى تلك السن مات أبوه وتركه يواجه الحياة وحده..، فأخذ يبحث عن عمل ليعول أسرته وراح يقرأ فى البيوت والدكاكين ثم عمل مقرئا بمسجد فاضل باشا»

وتوفى والده وهو فى سن التاسعة من عمره، وكان قد بدأ الشيخ الصغير يحفظ القرآن الكريم، وفى سن الخامسة عشرة عين قارئًا للسورة يوم الجمعة فى مسجد فاضل باشا بحى درب الجماميز، ظل يقرأ بانتظام حتى حجبه المرض الذى ألزمه الفراش السنوات الثمانية الأخيرة من حياته، وكان سر وفائه لمسجد فاضل باشا أنه حفظ القرآن فيه، وتعلم الترتيل والتجويد فى (كُتّاب) ملحق المسجد.

ولنستمع إلى قصة حياة الشيخ محمد رفعت من أقرب الناس إليه ألا وهم أولاده: محمد، أحمد، حسين.

يقول ابنه الأكبر محمد محمد رفعت:

«لقد ظل أبى مبصرًا لمدة عامين فقط ثم عاش بعدهما ستين عامًا فى الظلام، عاش فقيرًا ومات فقيرًا رفض خمسين ألف جنيه وهو فى أشد الحاجة إلى قروش، مات جدى وعمر والدى تسع سنوات فشق طريقه دون مساعدة أحد وعندما مات ظننا أنه خلف ثروة ولكنه لم يترك سوى ساعة وروشتة طبيب ومصحفا!.



محمد محمد رفعت الابن الأكبر

ورغم أنى بلغت الواحدة والخمسين من عمرى - وأنا ابنه الأكبر - فلا زلت أرتجف كلما تذكرته وهو داخل علينا فى الليل حاملاً القلة بيمناه ويتحسس طريقه بيسراه ليسقى أخوتى قبل النوم، كان حنونًا طيبًا لا يؤذى أحدًا.

أما أغرب ما أذكره عنه هو حبه للملوخية والفسيخ، ما من مرة ذهب ليرتل فيها القرآن إلا وأقبل على أكلة هائلة، وكان يضحك ويقول: إن الفسيخ مفيد للحنجرة، أحب الأوقات إليه كانت تلك التى يرتل فيها القرآن لنفسه، وكنت أتسلل إلى حجرته لأراه وقد تربع وأخذ يرتل القرآن بصوت خفيض حنون يذيب القلب وقد تمضى الساعات الطويلة وهو يقرأ ويقرأ حتى يناله التعب.

وكانت الدومينو هوايته المفضلة وكان حاذقًا فيها إلى أبعد الحدود ولكنه كان يشترط - قبل اللعب - شرطًا واحدًا هو عدم السرقة أو الغش.

ورغم كل ما وصل إليه أبى من مجد وشهرة إلا أنه لم ينس أنه شق طريقه من بداية السلم، أذكر أنه دعى ذات مرة إلى حفلة تضم عددًا كبيرًا من الكبراء وتسلل أثناء الحفل رجل يدعى - كامل الحداد - وكان حدادًا فعلاً، دخل الرجل الحجرة واقترب من أبى ثم قبع على الأرض تحت قدميه وأحس به والدى فمد

يده وسأله عن اسمه حتى جذبه والدى من كتفه فى غضب وهو يصيح فيه اجلس بجوارى والله إنك لأكرم عندى من الآخرين.

وكان الشيخ رفعت مشهورًا بقفشاته ونكاته اللاذعة وقد حدث ذات مرة أثناء مرضه الأخير أن زاره المرحوم نجيب الريحانى والأستاذ بديع خيرى ورغم ما كان به من مرض إلا أنه ظل يلقى إليهما بنكاته وقفشاته حتى صاح نجيب الريحانى: "إلحق يا بديع، الشيخ رفعت أصبح منافسًا خطيرًا واحنا مش عارفين ....

كانت حياة أبى سلسلة مريرة من الكفاح ولم يكن كفاحه من أجل كسب لقمة العيش فقط كان كفاحه الأكبر فى تنمية موهبته وصقل صوته ولتلاوة القرآن آداب وأصول لا يستطيع أحد أن يحيد عنها ..

وبدأ فى تعلم طريقة (الشاطبية) وهى طريقة صعبة للغاية لا يستطيع إجادتها إلا من بذل مجهودًا جبارًا، وقد سميت هذه الطريقة بالقراءات السبع، تعلم أبى هذه الطريقة لأنها تمكنه من قراءة القرآن الكريم بأكثر من قراءة وقد كان لتعلمه تلك الطريقة نتائجها.

وقد حدث أن سافر إلى طنطا لافتتاح حفل أقامه فرع بنك مصر هناك وكان اليوم جمعة فذهب إلى مسجد «سيدى عز» ليؤدى الفريضة وما إن عرف المصلون بوجوده حتى ألحوا عليه ليقرأ سورة الجمعة وجلس والدى يقرأ سورة الجمعة وأذن الظهر وألح الناس واستمر يقرأ ويقرأ وأديت فريضة الجمعة قرب عصر ذلك اليوم.

والغريب أن أول تسجيل سجل لوالدى بطريقة القراءات السبع وصل إلى كندا فاستمع إليه أحد الكنديين وأعجب به إعجابًا دفعه إلى التطوع فى الجيش الكندى الأمريكى حتى يستطيع الحضور إلى مصر وسماع الشيخ رفعت.

وقصص المعجبين بصوت والدى كثيرة فقد كانت السيدة أم كلثوم ـ مثلاً ـ تحرص على الحضور إلى المسجد والجلوس فى المندرة مع النساء للاستماع إلى أبى.

ثم مرض والدى بالزغطة ولزم فراشه ثمانية أعوام متواصلة حار معه الأطباء وناقشت الصحف ذلك المرض فانهالت عليه التبرعات حتى بلغت خمسين ألف جنيه كاملة لعلاجه فى الخارج ولكن أبى رفض أن يتسلمها أو يقبض منها مليمًا واحدًا، وكان رده على ذلك: «أراد الله أن يمنعنى، ولا راد لقضائه، الحمد لله».

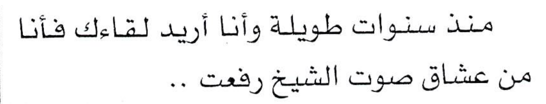
ثم مات والدى ذهب الصوت الماسى الحنون وبكاه كل الناس، وفوجئنا بعد وفاته بأنه يملك خزانة خاصة ببنك مصر، وظننا أننا سنجد بها ثروة واجتمعت مع أخوتى لجرد محتوياتها وجاء معنا مندوبو مصلحة الضرائب، ومندوبو البنك نفسه، وفتحت الخزانة، وكان بها ساعة يد وروشتة طبيب ومصحف.

وهذا لقاء الأستاذ محمد صفوت مع الحاج أحمد محمد رفعت:

فى شقة بسيطة بحى المنيرة بالقاهرة وفى مواجهة المستشفى اليابانى للأطفال بالقصر العينى، كان لقائى لأول مرة مع الحاج أحمد محمد رفعت وهو رجل وقور فى الثالثة والسبعين من عمره أبيض الشعر طويل القامة تقرأ على مُحيّاه طيبة والده العظيم وتطالع فيه الكثير من ملامحه ورغم أنه كان يشكو من بعض الضعف فى صحته والإجهاد مع طول الحديث فإن روحه الشابة وطيبة قلبه وكرمه الكبير كانت هى المسيطرة على اللقاء الذى مهد له صديق عزيز هو (السيد البدوى أحمد) بمحل معروف بالقصر العينى يرتاده شخصيات كبيرة وصاحبه محب للعلم والعلماء فيتحول إلى منتدى كبير يؤمه رجال معروفون من بينهم أبناء الشيخ الجليل، وكذلك الشيخ متولى الشعراوى - رحمه الله - وغيرهم كثيرون.

ولأول وهلة كنت أظن أن اللقاء سيحتاج إلى ترتيبات طويلة لكن اتضح عكس ذلك فما هى إلا دقائق قليلة وإذا بالحاج أحمد محمد رفعت يفتح الباب بابتسامة مرحبة ويعانقنى أنا والشيخ السيد البدوى ودخلنا ..

أثاث شرقى بسيط .. فرش متواضع جميل.. تليفزيون عادى... كراسى ومناضد مما نجده عند الأسر المتواضعة المتوسطة... تليفون أسود قديم... أرفف عليها أسطوانات قديمة لوالده الراحل.. هدوء شامل.



منذ سنوات طويلة وأنا أريد لقاءك فأنا من عشاق صوت الشيخ رفعت ..

أهلاً بك ومرحبًا .. هذا بيتك.

بعد هذه النغمة المرحبة والروح المضياف استمر اللقاء لأكثر من ثلاث ساعات من العاشرة مساءً حتى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل وسألته:

ما وظيفتك؟

على المعاش فأنا من مواليد ٦/ ٨/ ١٩١١م وكنت أعمل مراقبًا ماليًا بوزارة التعليم العالى

أحمد محمد رفعت الابن الثانى

بالرغم من أن والدى ـ رحمه الله - كان يريد منى أن أصبح أحد حملة القرآن الكريم.

كم عدد أبناء الشيخ رفعت؟ وما أسماؤهم ووظائفهم؟

أربعة وهم: محمد، أحمد، حسين، بهية. توفى محمد عام ١٩٧٢م وتوفيت بهية فى ٧ / ١/ ١٩٨٤م، والمرحوم كان هو بصر والده الضرير يرتب أموره ووهب نفسه لهذه الخدمة فى إخلاص وتفان شديدين خاصة بعد وفاة عمه الشيخ (محرم) الذى كان يقوم بهذه المهمة للشيخ رفعت ورفض محمد أى عمل آخر رغم ما عرض عليه من أعمال من بينها وظيفة مدرس رياضيات وفضل البقاء إلى جانب والده رغم أنه كان يحمل دبلوم مدرسة الصناعات الثانوية قسم السباكة وأصيب فى ساقه وبعد أن أجريت له عملية لم يستطع تحريكها بشكل طبيعى فلما توفى والده حصل على وظيفة أمين مكتبة مسجد السيدة زينب إلى أن توفى عام ١٩٧٢ ـ رحمه الله.

وجدير بالذكر أن الدولة كانت قد خصصت معاشًا شهريًا قدره عشرة جنيهات للشيخ رفعت فى مرضه فلما مات الشيخ انقطع المعاش ولم ينل أولاده منه شيئًا

ولم يبق من أبناء الشيخ رفعت سواى أنا وأخى حسين الأصغر وهو من مواليد ١٩٢٠م وعلى المعاش حاليًا وكان يعمل بوزارة الصناعة.

أريد أن أعرف عن والدكما الشيخ رفعت متى ولد؟ وكيف نشأ؟

التقط الحاج أحمد رفعت نفسًا طويلاً واسترخى على الأريكة وقال: سأتصل بأخى حسين تليفونيًا كى يكمل لك البيانات التى تريدها فهو يسكن فى حى عابدين أرض شريف شارع حسن الأكبر وسيصل إلينا بالتاكسى واتصل الحاج أحمد بأخيه الحاج حسين رفعت تليفونيًا وتسلمت منه السماعة فرحب بى بشدة رغم أنه لم يرنى من قبل، فقلت له: أرجوك يا حاج حسين أن تحضر لى بعض الشرائط التى تنقص مجموعة الشيخ رفعت فإن عندى حوالى ثلاثين شريطًا أى حوالى ٩٠ بالمائة من مجموعته تقريبًا وابحث لى عن العشرة بالمائة وتحضر معك بعض الصور الفوتوغرافية لك وللمرحوم.

حاضر دقائق وسأكون عندك، دق جرس الباب ودخل الحاج حسين رفعت، رجل متوسط الطول، متوسط العود، به سمرة أهل النيل المحببة يتدفق نشاطًا وحيوية رغم أنه يناهز الخمسة والستين، تخالط شعره الأسود شعيرات بيضاء وتلمس فيه روح ابن البلد المحب لعشرة الناس وللمرح والسمر.

وسألته: نحن فى الكويت والخليج نحب أن نعرف المزيد عن إمام المقرئين الشيخ محمد رفعت، ميلاده .. سيرته .. حياته.

ولد الشيخ رفعت عام ١٨٨٢م فى المغربلين بالدرب الأحمر بالقاهرة وكان جميل الصورة إلا أنه فى الثالثة أو الرابعة أصيب بالرمد فى عينيه فداووه بأدوية شعبية أفقدته نصف بصره تقريبًا فقرر أبوه أن يرسله إلى مكتب لتحفيظ القرآن وتجويده اسمه مكتب «بشتك» بدرب الجماميز أمام مسجد فاضل باشا الذى قرأ فيه بعد ذلك أيام الجُمَع وكان الشيخ محمد رفعت فى السادسة أو السابعة من عمره وكان قد حفظ على يد أبيه ربع القرآن الكريم وفى المكتب تعلم التجويد على يد الشيخ (محمد حميدة).

هل تذكر أية طرائف حدثت له فى هذا السن؟

نعم كان أبوه يحمله وهو صغير فى الخامسة تقريبًا وقرأ أبوه آية قرآنية وأخطأ القراءة فصححه ابنه الطفل فضربه أبوه ظنًا منه أنه هو الذى أخطأ، فلما عاد الأب إلى البيت وراجع المصحف وجد أن ابنه الصغير هو المصيب فكافأه بعلبة حلوى طحينية مستوردة من تركيا بالبندق واللوز.

مَنْ أول من اكتشف موهبة الشيخ رفعت الصوتية؟

الشيخ حميدة نفسه هو الذى حدّث الناس عن جمال صوته وقدّمه للآخرين إلى أن أصبح مشهورًا فى الحى كله وأصبح مقرئًا معروفًا منذ ذلك الوقت كما عرفه ملايين المسلمين.

هل اقتصر الشيخ رفعت على قراءة القرآن الكريم؟

كلا، كان يقرأ القصائد والتواشيح وينشدها وليس أمامى الآن سوى قصيدة واحدة مسجلة تسجيلاً قديمًا ولم أستطع تصفية الصوت إلا فى جزء صغير من الأسطوانة مدته دقيقتان تقريبًا.

كيف سارت الأمور بالشيخ رفعت بعد ذلك؟

توفى والده وهو فى التاسعة وأصبح هو العائل الوحيد لأمه وخالته وأخيه الصغير محرم رفعت وكان يعطى الأجر الذى يحصل عليه من القراءة لخالته حتى لا يشعرها بأنها غريبة وليؤكد بنوته لها وكان يُدعى للقراءة فى المناسبات وكان الشيخ أحمد ندا معاصرًا له لكنه أكبر منه بحوالى ثلاثين سنة ومع ذلك فقد كان يعجب بالشيخ محمد رفعت ويخشاه ويقول فى عجب وشفقة آه من هذا المقرئ الصغير!



حسين محمد رفعت الابن الثالث

ثم أرادت أمه أن تزوجه من صبية تخدمه والعروس التى اختاروها له فى سن الحادية عشرة واستمر زواجه منها ستة أشهر فقط.

وكان أصلاً غير راض بالزواج وهو فى سن الخامسة عشرة وبكى وهرب إلى المسجد.

وعلى أى حال تخلص من زوجته الأولى لأن أهلها أرادوا الاستحواذ والسيطرة عليه وإبعاده عن أمه وخالته وأخيه وضمه إليهم وعندما نزل على السلم قالت له خالته (كاسفة): هل صحيح يا محمد ستتركنا؟، فرق قلبه واختار البقاء مع أمه وخالته ومن يعول وتزوج للمرة الثانية من والدتنا السيدة (زينب سالم) وهى من قرية الفرعونية بالمنوفية وكان هو فى سن السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمره وأهم ما كان مطلوبًا فى العروس هو قوة البنية لتستطيع حمل الماء من الآبار والقيام بمهام البيت الشاقة فى ذلك الوقت من عجين وخبيز، هذا بالإضافة إلى مطلب آخر فى العروس وهو سعة العيون كدليل على الجمال وأنجب أولادًا ثلاثة وبنتًا واحدة والعجيب أن الزوجة الثانية كانت تزور الأولى والعكس كانت الأولى تقول للثانية ضاحكة: إنتى عارفة إن جوزك كان جوزى؟!

وظل الشيخ رفعت يقرأ القرآن والناس تعجب به وتسحر بصوته فقد وجد فيه الناس شيئًا يختلف عما يسمعونه من كبار المقرئين وقتها مثل الشيخ (منصور بدار) الذى اعترف بأنه لم يسمع صوتًا كصوته على مدى ثلاثين سنة وكذلك الشيخ (على محمود) أستاذ التواشيح فى عصره ولم تكن هناك إذاعة ولا ميكروفونات وتهافت الناس عليه كى يقرأ فى البيوت والسهرات وفى كافة المناسبات وينشد القصائد والتواشيح.

ويقول الأستاذ محمود السعدنى: وفى حى البغَّالة والسيدة زينب اصطخبت بأسماع الفتى الضرير أصوات كثيرة، استطاع أن يخزن منها ذخيرة ضخمة واستطاع بعد ذلك أن يمضغها ويهضمها وأن يستخرج منها فى النهاية صوته الخالد الذى نفذ إلى أعماق الناس كالحقيقة والصدق ولقد كان الشيخ صادقًا فى انفعاله وكانت طبقات صوته ونغماته حقيقة مأخوذة من واقع الناس ومن فنونهم ومن أسواقهم وندواتهم وأفراحهم البسيطة وأحزانهم العميقة ومعاركهم القاسية مع الحياة...

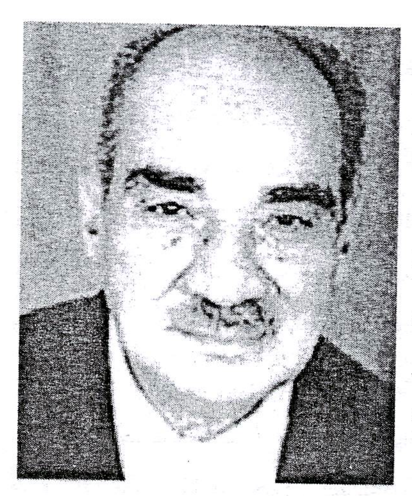
ولم يكن من قبيل المصادفة أن يقترن ظهور الشيخ محمد رفعت بظهور عبقرى من نفس الطراز هو الشيخ سيد درويش ولم تكن مصادفة، فقد كان الشعب قد اكتمل وعيه ونموه وترجم هذا الوعى وهذا النمو بثورة ١٩١٩م، ومن خلال الثورة كان سعد زغلول يمثل روح الشعب الصلبة القوية المصممة على السير فى الطريق الذى بدأه حتى النهاية، وراح سيد درويش يلحن صيحات الشعب السياسية والإجتماعية وراح رفعت يلحن حياة الشعب الروحية.

ليست هذه مبالغة، فسيد درويش ورفعت كانا زعيمين من طراز سعد زغلول وكما التقت طبقات الأمة وطوائفها حول سعد وكما طربت لسيد درويش تراها وهنا العجب - تلتف حول رفعت بطوائفها فلم يحدث قط قبل رفعت أن استمع أقباط مصر إلى قارئ.

بل إن استماعهم إليه كان بشغف وبحب وبإعجاب شديد، بل إن عظمة رفعت امتدت إلى خارج هذه الحدود وهناك قصص كثيرة تروى عن ذلك - سأذكرها عند مآثره - يقول الأستاذ محمود السعدنى: إن هذه القصص ترينا كيف أصبح رفعت بطلاً شعبيًا مثل عنترة وأبو زيد الهلالى ينسج الناس حوله قصصًا خرافية ولكنها فى الوقت نفسه تترجم مشاعر الناس البسطاء نحو الرجل العظيم ..

وعندما كان الشيخ رفعت يقرأه فى جامع فاضل باشا لم يكن أحد من المستمعين يتصايح أو يرفع صوته بعبارات الطرب والانسجام كما يفعل المستمعون اليوم مع مشاهير القراء، كان فن رفعت الأصيل يجبرهم على الصمت ويقيدهم فى أماكنهم ويحتملون فوق طاقتهم من ضيق المكان أو من حرارة الجو ليستمعوا للصوت العبقرى العظيم.

هذه الحقيقة تكفى - وحدها - دون حاجة للأساطير للدلالة على عبقرية صوته الغريب ودليل الحكايات الخيالية والحكايات التى حدثت فعلاً دليل خطير خلاصته أن هذا الشعب الذى ظلمناه طويلاً ولا يزال بعض أدبائنا الكبار وفنانينا الكبار - الكبار سنًا - يتهمونه بفساد الذوق وعدم التقدير وعدم الإحساس الفنى، شعب أصيل، أصيل فى وعيه، أصيل فى تذوقه وتقديره للفن على شرط أن يكون فنًا حقيقيًا يستحق التقدير.



الأستاذ أنور الجندى

المفكر الإسلامى الكبير

ويقول قائل: ربما كان التقدير الذى حظى به رفعت راجعًا إلى حب الناس وتقديرهم للدين وهو قول غير صحيح فقد كان مع رفعت مجموعة من القراء لا يمكن حصرها ولا تجاهلها وكان من بينهم عباقرة لمعوا فجأة ثم طواهم النسيان ولم يبق منهم ومن المجموعة الحاشدة إلا رفعت وحده خير شاهد على أن الفن الأصيل يبقى وما عداه يزول.

وفى كتاب (الشرق فى فجر اليقظة) يقول الأستاذ أنور الجندى: كان للشيخ رفعت ندوة فى شارع يحيى بن زيد فى حى السيدة زينب يجتمع فيها هواة فنه الرفيع وحينما كان يقرأ الشيخ رفعت ينصت الناس وكأن على رءوسهم الطير ولو أسقطت إبرة لسمعت صوتها والشيخ رفعت يحتل أروع خلق للعزوف عن اتخاذ قراءة القرآن وسيلة للكسب، إن الشيخ رفعت كان يقرأ القرآن فى سراى مصطفى فاضل باشا فى ليالى رمضان، وظل على هذا أحد عشر عامًا متصلة واتصل اسمه بأعلام القراء فى مصر فى تلك الفترة، مثل الشيخ أحمد ندا، والشيخ القيسونى والشيخ الصوّاب .. وغيرهم.

دعاه نظام حيدر أباد ليقرأ عنده لقاء ١٥ ألف جنيه وكان وقتها الجنيه جنيهًا ولكنه رفض فلما أحس مفاوضوه أن رفضه قد يكون بسبب قلة المال المعروض زادوه الأجر وما علموا أنه كان عازفًا عن مثل هذا المال.

يقول الشيخ رفعت عن نفسه: لم أسهر رمضان عند كائن من كان سوى سراى فاضل باشا التى تعلمت فيها القرآن وكانت بعض سهراتى فى الريف وكانت تكلفنى ما لا أطيق من متابعة القراءة حتى أتعب خاصة عندما كان العُمَد يحضرون ويطلبون سماعى وكان السفر يضطرنى إلى تغيير نظام

حياتى، ومع ذلك لم أكن أتبرم لكن أهم سهراتى فى رمضان كانت فى بيتى وكنت أقضى الوقت فى الاستماع إلى الموسيقى والموسيقيين العالميين مثل: "بيتهوفن وموزارت".

ويقولون: إن الشيخ رفعت كان يخصص نهارًا فى الأسبوع لزيارة حديقة الحيوان، وكان يحلو له أن يجلس قريبًا من بيت الأسد ليسمع زئيره مرة بعد أخرى فهو كما يقول ويردد: إن صوت الأسد أكثر الأصوات عمقًا فى (القرار).

وفى عصر الشيخ رفعت كانت هناك قارئات للقرآن الكريم أشهرهن كانت الشيخة (أسمهان) التى كانت تقرأ القرآن فى سوامر حاشدة بالرجال مع الشيخ أحمد ندا والشيخ حسن الصوّاب وكان صوت الشيخة أسمهان يعجب الشيخ رفعت كل الإعجاب ويقول: إنه فى حياته لم يسمع صوتًا يفوق صوتها فى الترتيل.

وتحت عنوان «نجوم قراءة القرآن» بمجلة الكواكب يتحدث الأستاذ محمد عبد الوهاب عن ذكرياته مع الشيخ محمد رفعت فيقول: نشأت بينى وبين الشيخ رفعت صداقة عميقة فكان يدعونى لأسهر معه فى بيته - بحى البغّالة - وكان يغنى لى بعض القصائد فى رخامة ساحرة، مثل:

(وحقك أنت المنى والطلب - أراك عصى الدمع - بحق أهواك يا من أنت عمرى)

وأحيانًا كان الشيخ رفعت يقلد نداءات الباعة الجائلين فى ظُرف بالغ وعندما كنت أستمع إليه وهو يقرأ القرآن الكريم أتحول من صديق إلى خادم وأجلس تحت أقدامه وأنا أستمع إليه فى خشوع والدموع تنهمر من عينى فقد كنت أحس أنه بين يدى الله فعلاً.

والشيخ رفعت الذى ولد بحى المغربلين كان حينما يقرأ سورة الكهف فى مسجد فاضل باشا - وعمره ١٥سنة - يزدحم المسجد بالمصلين فيفرشون الحصر خارج المسجد ليستمعوا إليه - ولم يكن يحاول - كما يقول عبد الفتاح غيث -

صاحب أعظم أرشيف فى مصر - أن يعلو بصوته أو يرتفع به ومع ذلك كان من فى المسجد وخارجه يستمعون إليه ولا يفوتهم حرف واحد مما يقوله.

وقد استطاع ذلك الفتى الضرير النحيل أن ينتزع مكانه كمقرئ كبير وهو لم يتجاوز العشرين من عمره

وقد أجرى برنامج «أهل الذكر» حوارًا مع الأستاذ محمد عبد الوهاب، أجراه الأستاذ محمود السعدنى:

أستاذ عبد الوهاب: هل تحب سماع تجويد القرآن كثيراً؟

طبعًا بل إننى حفظت القرآن وبدأت ألحانى من القرآن لأننى تعلمت منه الموسيقى وأنا فى مسجد الشعرانى - جدى.

ماذا تعنى بتعليمك الموسيقى من القرآن؟

إن الروح الموسيقية واتتنى من حفظ القرآن الكريم والقرآن به موسيقى فى تركيب كلماته كتفاعيل ويتميز القرآن بموسيقى تلمسها فى الكلمات والحروف هذا بالإضافة إلى الروحانية التى تشعر بها فى التلاوة وهذه الروحانية لا توجد إلا فى القرآن والروحانية موسيقى وإحساس.

وحتى اليوم تسمع القرآن الكريم؟

طبعًا أسمعه بشغف.

من تحب من المقرئين؟

الشيخ مصطفى إسماعيل .. هذا من الأحياء.

ولكن من تحب من الذين انتقلوا إلى رحمة الله تعالى؟

الشيخ محمد رفعت .. أنا كنت أعيش تحت رجليه.

هل كنت صديقًا له؟

كنت صديقه وتحت رجليه يعنى صديق بدون قراءة القرآن ومع قراءة القرآن ينقلب الصديق إلى خادم، كنت أجلس تحت رجليه وأسمعه.

هل كان صوت الشيخ رفعت يؤثر فيك بهذه الدرجة؟

نعم، كنت أدرك أنه قبل أن يقرأ الآية يحس أنه بين يدى الله ويقرأ له الآيات فعلاً.

متى سمعته؟

وأنا صغير جداً فى حارتنا وأذكر أن الفراشين ضربونى «علقة»؛ لأننى كنت صغيراً ودخلت بالجلابية وسط الحاضرين بالسهرة لأنه كان ينشد فى الموالد إلى جانب تلاوة القرآن الكريم.



الأستاذ الكاتب الصحفى الكبير
محمود السعدنى

هل الذى دفعك إلى سماعه وأنت صغير هو الإيمان؟

الإيمان وصوت الشيخ رفعت نفسه، كان الإيمان والصوت ممتزجين ببعضهما.

هل ظلت علاقتك به قائمة إلى أن توفى؟

نعم.

هل حاولت تقليده؟

ليس التقليد الحرفى، ولكننى كنت أقرأ بعض الآيات على طريقته، وكنت من هواة المقرئين بصفة عامة ولم أكن من هواة الأفندية، أى أننى تتلمذت على المقرئين فى الموسيقى.

هل يمكنك القول بأن الشيخ رفعت ـ رحمه الله ـ له تأثير عليك؟

له تأثير على مشاعرى وأحاسيسى بما يثيره من روحانية.

هل طريقته فى الأداء أثرت عليك فى أول حياتك الفنية؟

لم تؤثر على فنى من الناحية التفصيلية؛ لأن مجال فنه يختلف بعض الشىء عن فن الغناء والطرب.

هل قمت بتسجيل شيء للشيخ رفعت؟

لا، لكن كان لى صديق يقوم بمهمة التسجيل عندما كان التسجيل صعبًا، هو المرحوم محمد خميس وكنا نتوجه إليه لنسمع صوت الشيخ رفعت فى مصر الجديدة، وأعتقد أن الإذاعة أخذت من تسجيلاته الشيء الكثير.

هل التسجيلات التى تذاع له الآن تعطى حقيقة المقرئ محمد رفعت؟

القليل منها مثل سورة مريم التى تعطى بعضًا من صوت الشيخ رفعت فى اكتماله وشبابه ومقدرته، أما بقية التسجيلات فتحمل تأثير مرضه وكأنك تسمع صوتًا جميلاً لكن عليه مسحة من المرض.

هل تعتقد أن سماع تلاوة القرآن تفيد الملحن أو المطرب؟

نعم تفيده خاصة إذا لم يستمع إليها بطريقة سطحية ثم ينساها وكأنه ورقة «سوليفان»، أما إذا كان كورقة «النشاف» يمتص ما يسمع وتمتزج بها روحه فإنها تفيده.

كان الشيخ رفعت ـ رحمة الله عليه ـ إنسانًا حساسًا يشعر بكرامة الإنسان ويوفرها لكل من حوله ومع أنه كان قيثارة السماء فى قراءة القرآن ولم يأت مثيل لأدائه وصوته فإن للشيخ رفعت بعض الموشحات الدينية التى كان يؤديها غناءً.

والذين يعرفون الشيخ رفعت يعرفون شدة تواضعه وشدة حساسيته حتى إنه عندما أصيب بالمرض وصرف كل ما عنده على حنجرته ومرض الزغطة نادى الأستاذ فكرى أباظة ـ يرحمه الله ـ على صفحات «المصور» بافتتاح اكتتاب لعلاج الشيخ رفعت فى الخارج لأنه ثروة قومية روحية مصرية وإنهالت الأموال على المصور حتى بلغت خمسين ألف جنيه ولكن الشيخ رفعت رفض الاكتتاب شاكرًا وأوقفه، هذا فى الوقت الذى كان يبيع فيه أثاث بيته ليشترى الدواء.

ويقول القريبون من الشيخ رفعت ـ رحمه الله ـ: إنه عندما أصابه المرض، استسلم إلى أمر الله وجلس فى منزله يصلى وكان يغلق على نفسه باب حجرته بالساعات وكان إذا ما دخل أحد من أولاده يراه يستقبل القبلة ويدعو الله بالشفاء،

وعيناه تبكيان الدموع مدرارًا وكان دائم الدعاء يقول: «اللهم لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه ..»، ولقد كان مؤمنًا راضيًا بقضاء الله وقدره.

ويقول الكاتب أبو بثينة - الكواكب - تحت عنوان (محمد رفعت): التاسع من شهر مايو عام ١٩٥٠م روع العالم الإسلامى بفقد إمام المقرئين المرحوم الشيخ محمد رفعت فحزت الفجيعة فى كل قلب، كانت تلاوته تغمره بالإيمان والخشوع وهذه صورة من حياة الرجل الذى لم يرتفع صوت بتلاوة القرآن الكريم أجمل من صوته وتفرد بأسلوب فى التلاوة لم يسبقه قارئ وقل أن يلحق به أحد، صور بعضها سمعتها منه فى حياته وبعضها رأيتها بنفسى أسجلها هنا تحية لذكراه.



الشاعر الزجال والكاتب الصحفى
محمد عبدالمنعم (أبو بثينة)

كنت فى شبابى أحرص على أن أؤدى صلاة الجمعة فى مسجد فاضل باشا المشهور باسم «جامع بشتك» فى درب الجماميز لأستمتع بسماع سورة الكهف من الرجل المعجزة الشيخ محمد رفعت وكنت أذهب إلى المسجد قبل الصلاة بأكثر من ساعتين فأجد ألوفًا من المصلين قد سبقونى إليه ليلحق كل منهم بمكان قريب من مجلس الشيخ.

ولم نكن قد عرفنا «الميكروفون» فى تلك الأيام ولكن صوت الشيخ كان يجلجل فى جنبات المسجد هادئًا رقيقًا قويًا والمصلون يكادون يحبسون أنفاسهم حتى لا تفوتهم نبرة واحدة من نبرات الصوت الرائع الذى يتسلل إلى القلوب فيملؤها إيمانًا وخشوعًا ورهبة.

وكنت أسمع أن الشيخ سيتلو القرآن فى مأتم شبرا أو مصر الجديدة أو الجيزة فأذهب إلى السرادق ولو لم أكن أعرف أصحاب المأتم لأستمتع بتلاوة الشيخ رفعت.

وكان من الطبيعى ألا يشارك الشيخ فى التلاوة إلا كبار القراء من أمثال: الشيخ على محمود والشيخ عبد الفتاح الشعشاعى والشيخ أحمد ندا والشيخ محمد السيسى، فكانت كل مناسبة يقرأ فيها الشيخ محمد رفعت تعد مهرجانًا لكبار قراء القرآن الكريم.

ومضت الأيام إلى أن ساقنى عملى الصحفى كناقد للإذاعة بجريدة المصرى عام ١٩٣٩ إلى لقاء الشيخ محمد رفعت فى داره بقرب زين العابدين «وكانت بيننا صداقة خالصة حتى انتقل إلى رحمة ربه..».

ذات يوم سألته: كيف حفظ القرآن ومتى وكيف اكتشف أنه على هذه الموهبة العظيمة؟ فقال: لم أنعم بنورالحياة إلا فترة قصيرة من طفولتى فقد أصاب عينى مرض ذهب بنورهما وكان على والدى أن يبحث أمر مستقبلى وهو مستقبل يكاد يكون محدودًا، بدايته حفظ القرآن الكريم وكنت لصغر سنى يحملنى والدى على كتفه إلى الكتاب ويتركنى هناك ثم يعود ليحملنى إلى البيت بعد انتهاء الدرس.

واستقر بى المقام فى كتاب كان ملحقًا بمسجد فاضل باشا بدرب الجماميز وكان الفقيه يطالبنا بأن نقرأ ما نحفظ من القرآن بصوت مرتفع ولما لاحظ جودة قراءتى وحسن صوتى منحنى عناية خاصة وكان يستكثر من قراءتى فيقول لى "اقرأ يا شيخ محمد.

ومع الأيام لاحظت أننى حين أتلو القرآن يتجمع الناس بقرب شُبّاك الكُتّاب المطل على شارع درب الجماميز وتدلنى أصواتهم على أنهم كثيرون وبدأت أسمع كلمات الإعجاب والتشجيع وحسن الترتيل، ومضيت أستزيد من دراسة أصول القراءة الصحيحة، وتعلمت القراءات المختلفة وفتح الله علىّ فنلت الحظوة والقبول عند جمهرة المستمعين، فلما بلغت ما بلغت من الشهرة رأيت أن من الوفاء للمسجد الذى تعلمت فى رحابه أن أظل أتلو القرآن فيه بغير أجر ما حييت.

وقد تعاصر مع الشيخ رفعت كثير من نجوم القراءة وزاملوه فى السهر فى الإذاعة منهم الشيخ على حُزّين، والشيخ على محمود والشيخ عبد الفتاح الشعشاعى والشيخ محمد الصيفى، والشيخ عبد العظيم زاهر وكذلك الشيخ محمود صبيح .. وغيرهم.

وقبل الشيخ رفعت ـ كما يقول الأستاذ كمال النجمى ـ كان الناس يتتبعون الأصوات الجميلة التى تتلو القرآن فى المساجد طوال شهر رمضان فلما ظهر الشيخ رفعت صار شهر رمضان موسمًا لصوته وتلاوته.

وكان ينطبق على الشيخ رفعت قول الرسول (ﷺ) وهو يذكر صوت سالم مولى أبى حذيفة قارئ القرآن: «الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثل هذا»، أو قول عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) لما سمع أبا موسى الأشعرى يتلو القرآن: «من استطاع أن يتغنى بالقرآن غناء أبى موسى فليفعل».

فقد كان يركب العربة، فإذا ما وصلت العربة إلى مسجد السيدة زينب و بدون أن ينبهه أحد وقف فى العربة ورفع يده محييًا كيف كان يعرف أن العربة وصلت إلى المسجد..؟.

كان يرى ببصيرته..

كانت شعبية الشيخ رفعت جارفة وكان طرازًا فريدًا متميزًا فى الصوت والأداء فى عصره وقد أحسن خدمة القرآن الكريم وعرف له مكانته فأحسن الله إليه ببركة القرآن .. وتوالت عليه نعم الله وأخذ مكانه فى صدارة الصف الأول من مشاهير القراء فى عصره، أمثال الشيخ يوسف المنيلاوى والشيخ منصور بدار والشيخ أحمد ندا والشيخ على محمود والشيخ محمد القهاوى والشيخ حسن المناخلى والشيخ محمود البربرى.

وكان يحرص على سماع هؤلاء الرواد فى رحاب القرآن يستزيد من فنونهم ويضيف إلى حصيلته فى التلاوة رصيدًا، فوق رصيد..

إن دولة القراءة فى مصر كبيرة وعريضة وأكثر اتساعًا وكلهم كانوا حجة فى علم القراءات كالشيخ منصور بدار، والشيخ عبد الفتاح الشعشاعى، والشيخ عبد

العظيم زاهر، والشيخ أحمد سليمان السعدنى، ومحمد صديق المنشاوى، ومحمود على البنا، وفريد السنديونى، ومحمود عبد الحكم، ومحمد الصيفى، ومحمد الفيومى، ومنصور الشامى الدمنهورى، والشيخ محمد قنديل، وإذا استمر القلم فى كتابة أسمائهم فلن يتوقف؛ لعل هذا كان مصداقًا للحكمة التى تداولتها الأجيال وتقول: «إن القرآن نزل بمكة مهبط الوحى وكتب فى إستانبول حيث الكتابة الجميلة وقرئ فى مصر حيث هذه الدولة الكبرى وحيث هؤلاء الجنود العمالقة والقادة الكبار فى عالم الترتيل والتلاوة» ...

والصوت الجميل الندى القوى شرط من شروط القراءة وهذه القاعدة أرساها رسول الله (ﷺ) حين أتاه أحد الصحابة يقص عليه رؤيا رآها يردد فيها الأذان من فوق مسجد رسول الله وعندما همّ الرجل بصعود سطح المسجد استوقفه رسول الله وقال له: دع بلالاً يؤذن.. إنه أندى منك صوتًا، فصار هذا قانونًا.

وكان الحديث منطبقًا عندما كان الشيخ على محمود يرفع الأذان من فوق مئذنة مسجد الحسين بالقاهرة، فيتجمع الناس بالآلاف فى الميدان للاستماع إلى أذان الشيخ، وعندما نفى الملك محمد الخامس ملك المغرب خارج بلاده كان طلبه الوحيد من السلطات الفرنسية أن يحتفظوا بتسجيلات الشيخ عبد الباسط عبد الصمد.

والأمير الهندى عثمان حيدر أياد (وأحد أثرياء العالم فى عصره)، عرض على الشيخ محمد رفعت أن يحضر إلى الهند لإحياء ليالى شهر رمضان فى قصره العظيم، والمقابل أى كمية من الذهب يطلبها الشيخ الجليل، وكان من الطبيعى أن يرفض، فهذا الجيل العظيم وضع كل جهده وكرس كل حياته لخدمة القرآن ونشره، لا أن يخدمه القرآن ..

وحكاية أخرى عن جندى آخر فى دولة القراءة، هو الشيخ محمود البربرى، القارئ الخاص بسعد زغلول وصديقه الصدوق؛ ولهذا السبب اعتقله الإنجليز وفى السجن كان الشيخ البربرى يجمع حوله المساجين ويظل يقرأ لهم طوال الليل، فحبسه الإنجليز فى زنزانة منفردة فكان يقرأ القرآن بصوت أعلى، وعندما

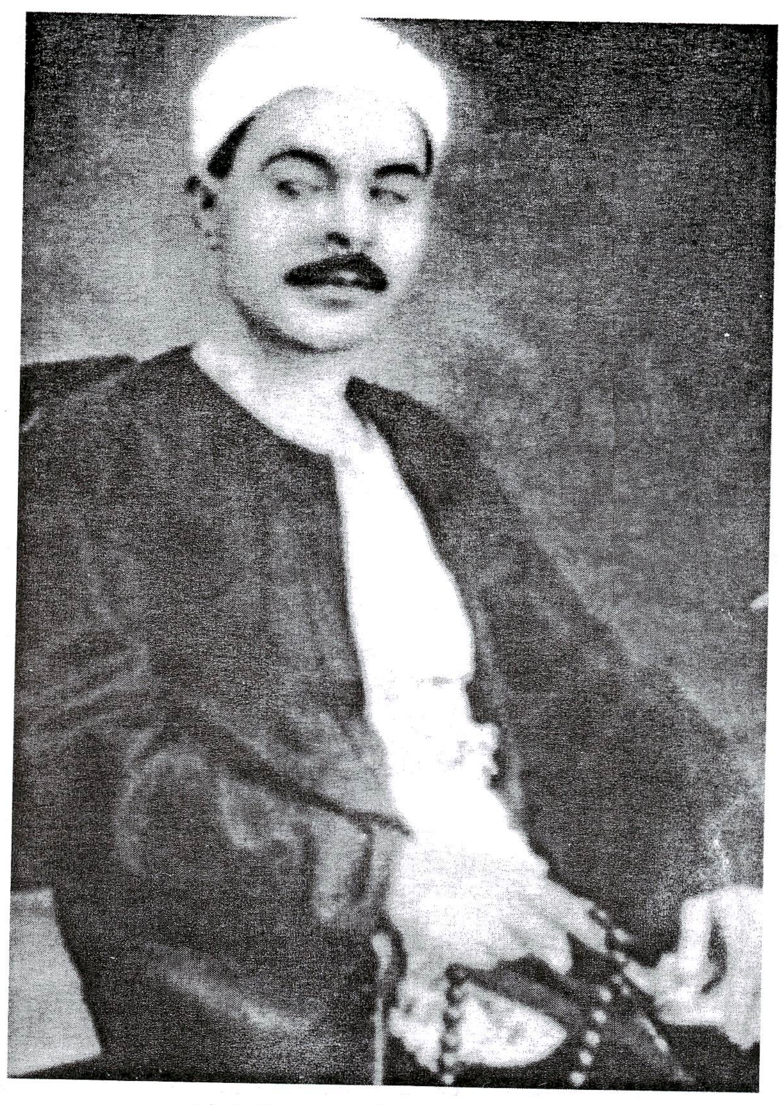
نفى سعد زغلول طلب من سلطات الاحتلال أن ينفى معه ورفضوا، وعاش الشيخ البربرى طويلاً ولما مات كان على رأس المشيعين الزعيم الوطنى مكرم عبيد.

كثيرون لا يعرفون الشيخ القهاوى، قال عنه الشيخ محمد رفعت إنه من أجمل الأصوات، وكان صوته من أرق الأصوات وأعذبها وأشدها حنينًا وحنانًا وضراعة، ولكن للأسف لم يعش طويلاً فقد مات فى سن التاسعة والأربعين ولم يترك وراءه أية تسجيلات.

وفى جامع الخازندار بشبرا كان هذا الشيخ الأسمر اللون يقرأ القرآن بطريقة كلها شجن تستدر الدموع من العيون، كان هذا الشيخ هو سعيد نور، كانت قراءاته خليطًا من الشجن والطرب والخشوع والإيمان، خليط غريب جعل الناس يلتفون حوله بالمئات ووصلت شهرته إلى الآلاف، لكنه لم يسجل للإذاعة إلا تسجيلاً واحدًا فقط، فقد هاجر إلى الكويت واستمر فيها حتى مات، وقدم بعض تسجيلاته لمحطة الإذاعة السعودية والتى تحرص على إذاعتها فى شهر رمضان كل عام.

وممن تعاصروا مع مولانا الشيخ رفعت الشيخ منصور الشامى الدمنهورى، الذى نشأ فى مدينة دمنهور وذاع صيته فيها وسافر إلى الإسكندرية وجاءت شهرته هناك، وفى احتفال كبير فى الإسكندرية قرأ فى ليلة واحدة مع مولانا الشيخ رفعت، فأصبحت شهرته على كل لسان، فيكفى أنه قرأ بجوار الشيخ رفعت، ثم عين قارئًا لمسجد أبى العباس المرسى، وفى عام ١٩٤٥م قرأ الشيخ منصور فى الإذاعة وارتفع أجره فيها، وقرأ فى إذاعات لندن وسوريا وباكستان، كان شديد الإعجاب بالشيخ مصطفى إسماعيل، وقال عنه: إن الله أعطاه حلاوة الصوت وإبداعًا فى الأسلوب، إنه عطية السماء لدولة القراءة، لم يكن له نظير فى الماضى ولن يكون له نظير فى المستقبل.

وفى عام ١٩٣٨م تعرف الإذاعى الكبير محمد فتحى على الشيخ كامل يوسف البهتيمى، وفى اليوم التالى كان الشيخ كامل يقرأ فى الإذاعة وبأجر قدره خمسون قرشًا عن كل إذاعة، بعدها قفز أجر الشيخ إلى خمسة جنيهات ثم إلى عشرة، وفى عام ١٩٤٤م سافر الشيخ إلى فلسطين ليحيى أيام رمضان، وفى العام



الشيخ الورع محمد رفعت فى ريعان شبابه

التالى ١٩٤٥م كان الشيخ كامل يقرأ من محطات سوريا ولندن ودلهى وبأجر قدره مائة جنيه عن الدقيقة الواحدة.

ظل الشيخ كامل يوسف البهتيمى يبكى كلما سمع صوت الشيخ محمد رفعت، وظل الشيخ رفعت يخصه بالعطف والحنان حتى مات والشيخ كامل توفى فجأة

وكانت أمنيته أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة فى القدس الشريف لكن أُمنيته لم تتحقق.

أيضًا كان الشيخ عبد الباسط عبد الصمد أحد العمالقة الذين وُجدوا فى ذلك الوقت، ففى عام ١٩٤٠م كانت أول ليلة للشيخ عبد الباسط فى قريته بأرمنت ظل يقرأ عشر ساعات كاملة وكان أجره عشرة قروش فضية، بعدها انتشر صيته وبدأ يُحيى الليالى فى قصور الأعيان وباشاوات الصعيد.

وفى عام ١٩٥٠جاء إلى القاهرة وزار السيدة زينب، وفى مولدها كان كبار القراء يصولون ويجولون، وفى أحد استراحات تقدم الشيخ المغمور إلى ميكروفون المسجد وأخذ يقرأ ولم يتوقف إلا عند الفجر وخرج بعدها من المسجد محمولاً على الأعناق، فقد طبع اسمه وصوته فى قلوب كل من سمعوه وطاف أرجاء الدنيا وامتلأت الإذاعة بتسجيلاته وأنفق أغلب ما حصل عليه على المحتاجين وأقام مؤسسة خيرية فى بلدته بأرمنت وتوفى الشيخ بعد أن نال المرض من صحته ومن جسده (رحمه الله).

وأيضًا كان الشيخ محمود على البنا من اللامعين فى دولة القراءة وكانت له طريقة مميزة والغريب أن بدايته كانت فى جميعة الشبان المسلمين، حيث كان أحد أفراد فريق المصارعة بالجمعية كان ذا طبع هادئ ونفس مطمئنة وصوت مميز، حدث أن حاصره مئات الألوف من المسلمين فى أحد الاحتفالات بإندونيسيا ومنعوه من الانصراف ولم يتركوه إلا بعد أن ظل يقرأ لهم لمدة ست ساعات كاملة. داهمه مرض خطير وسريع لم يمهله طويلاً، وخسرت مصر بفقده واحدًا من أعذب الأصوات وأرقها.

كان رفعت (رحمه الله) يحبهم ويجلهم ويقدرهم ويستفيد منهم، يعطف على صغيرهم ويشجعه ويملأ قلبه أملاً وثقة بالفوز والنصر مهما كانت الظروف وكان الشيخ رفعت يحرص على الانتفاع والاستزادة من الرواد الكبار، يأخذ من كل شيخ أحسنه وكان يحرص على الاستفادة من خبراتهم ومشوار حياتهم، ويضيف إلى علمه ومقدرته ألوانًا وفنونًا وإبداعات جديدة ولا يستحقر أحدًا ولا يستحقر

صغيرة ربما يستفيد منها فيما بعد، فخرج صوته العملاق عبارة عن مجموعة أو فريق كامل من القراء اجتمع فى صوت الشيخ الجليل محمد رفعت ...

عن النبى (ﷺ) أنه قال: «من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة: الإمام المقسط وذى الشيبة المسلم وحامل القرآن لا يغالى فيه ولا المجافى عنه».

وكان المغفور له الشيخ محمد رفعت حاملاً للقرآن لا يغالى فيه ولا يجافى عنه، وعن أنس (رضي الله عنه) أن النبى (ﷺ) قال: «القرآن أفضل من كل شىء، فمن وقر القرآن فقد وقر الله ومن استخف بالقرآن فقد استخف بحق الله تعالى»، وكان المغفور له الشيخ محمد رفعت موقرًا للقرآن أشد توقير، وروى أنس أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال: «حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله المعظمون كلام الله الملبسون نور الله فمن والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد استخف بحق الله...».

وهناك أحد المتحدثين يتحدث عن ناحية الخشوع والخشية فى تلاوة الشيخ رفعت فيقول: روى عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «أحسن الناس صوتًا: من إذا قرأ رأيته يخشى الله ..»، وكان الشيخ رفعت إذا قرأ رأينا أنه يخشى الله تعالى كأشد ما تكون الخشية.

وهاك أحد المتحدثين يتكلم عن أن الشيخ رفعت لم يكن يرجع بالقرآن ترجيع الغناء والنوح ، فقال: ذكر الإمام الحافظ أبو الحسن وأبو عبد الله الترمذى أن رسول الله (ﷺ) قال: «أقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين وسيجىء بعدى قوم يرجعون القرآن ترجيع الغناء لا يجاوز حناجرهم، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم...».

وقرأ الشيخ محمد رفعت القرآن الكريم بلحون العرب، ولم يرجع به أبدًا ترجيع الغناء والنوح، إن الله سبحانه وتعالى يعطى من يشاء ما شاء ولقد أعطى الشيخ محمد رفعت ملكًا عظيمًا كبيرًا سيظل ما تبقى من صوته مرتلاً آيات الله البينات يتردد وتخشع له القلوب، ما بقى القرآن وأهل القرآن.

هذا هو الشيخ محمد رفعت القارئ المعجزة، القارئ الذى رحل عن عالمنا منذ ما يقرب من ستين عامًا من الزمان أو يزيد، لكنه حى بإنسانيته وبأخلاقه العظيمة وبما قدم من علم ومن موهبة فذة فى قراءة القرآن.

تعليمه وشيوخه

بعدما أصيب بالرمد، قرر أبوه أن يرسله إلى مكتب لتحفيظ القرآن وتجويده، اسمه مكتب «بشتك» بدرب الجماميز أمام مسجد فاضل باشا (شارع بورسعيد الآن) الذى قرأ فيه القرآن بعد ذلك، وكان قد تعلم ربع القرآن حفظاً على يد والده، ثم تعلم بقية القرآن حفظاً وتجويداً على يد الشيخ "محمد حميدة" فى الكُتّاب.

وبعد وفاة والده وهو فى سن التاسعة كان قد بدأ الشيخ الصغير يتعلم القرآن على يد واحد من خيرة الحفاظ اسمه الشيخ عبد الفتاح هنيدى.

ثم تلقى الشيخ محمد رفعت دروساً فى تفسير القرآن الكريم والقراءات السبع وتعلم فن التجويد على يد أستاذيه الشيخ محمد البغدادى والشيخ السمالوطى، ثم اتجه أيضاً صقلاً لموهبته إلى دراسة الموسيقى ليتعلم قواعدها وأصولها وحفظ مئات الأدوار والتواشيح والقصائد الدينية وتعلم أيضاً مبادئ العزف على العود وبعض الآلات الموسيقية الأخرى وأتم حفظ القرآن الكريم قبل أن يكمل العاشرة من عمره.

وقد درس الشيخ رفعت ـ رحمه الله ـ القرآن الكريم، حفظاً وتجويداً فى الكُتّاب الملحق بمسجد فاضل باشا بدرب الجماميز، ووفاء منه لذلك المسجد الذى تعلم فى رحابه فقد ظل يقرأ فيه الجمعة أحد عشر عاماً متواصلة إلى أن حجبه المرض.

ولكن الفنان رفعت لم يقنع بدراسة فنون البسطاء بل راح ينهل من الفن الموسيقى الرفيع وعندما مات خلف ثروة كبيرة من أسطوانات «باخ وموزارت وبيتهوفن وليِّست» وعدة أسطوانات أخرى للعازف الكبير «باجانيتى»، وكان رفعت يقضى أمسيات طويلة مع هؤلاء العباقرة الأفذاذ، يستمع إلى النغم الرائع الذى أبدعوه فظل مخلداً على مر الزمان.



مسجد فاضل باشا الذى تعلم فيه الشيخ رفعت القرآن الكريم والقراءات، ووفاء منه لهذا المسجد ظل يقرأ فيه يوم الجمعة طيلة حياته حتى عام ١٩٤٣م.

ولم يقنع الشيخ رفعت بدراسة الموسيقى العربية بل راح ينهل من الفن الكلاسيكى الرفيع، ولم يدرس الشيخ رفعت علوم القرآن فى مدرسة أو معهد نظامى ولكنه درسها جميعاً واستوعبها فى دراسات شخصية حرة وساعده على ذلك أن علماء عصره جميعاً، كانوا من المعجبين بتلاوته وأسلوبه فى قراءة القرآن، كما اشترى كثيراً من الكتب وكان يقرؤها له بعض الأصدقاء المقربين إليه، مما أدى به إلى أن يسأل كثيراً ويستوعب معظم العلوم القرآنية، وفعلاً فإن إجادته وتجويده وفهمه لمعانى القرآن الكريم وآياته جعلت له مكانة ممتازة بين المقرئين وبين الجمهور.

وبمرور الأيام أصبح له جمهور يحضر لسماعه خصيصاً من أبعد أحياء القاهرة بل ومن أقاليم مصر المختلفة وتجلت إنسانيته فى أروع صورها بعد شهرته.

وكان يسلك سلوك باقى الصبية فينشد القصائد والتواشيح الدينية إلى جانب قراءته للقرآن الكريم ولكنه عدل عن إنشاد القصائد فى عام ١٩٣٠واكتفى بقراءة القرآن الكريم.

ومن خلال سماعى للقراءات التى كان يقرؤها الشيخ محمد رفعت أستطيع أن أقول: إن الشيخ محمد رفعت تعلم القراءات السبع الموجودة فى كتاب متن الشاطبية للإمام الشاطبى والتى تحتوى على سبع قراءات متواترة عن رسول الله (ﷺ) وهى قراءات: الإمام نافع المدنى وابن كثير المكى وأبو عمرو البصرى وابن عامر الشامى وعاصم، وحمزة والكسائى الكوفيين، ولكل إمام من الأئمة المذكورين راويان يرويان عنه القراءة فيكون مجموع الروايات للأئمة السبعة أربع عشرة قراءة أو رواية.

ولم يتعلم الشيخ محمد رفعت القراءات الثلاث المتواترة عن الرسول المتممة للقراءات العشرة، والتى تحتوى على ثلاث قراءات موجودة فى كتاب "الدرة المضية" للإمام شمس الدين الجزرى، وهى قراءات: الإمام جعفر المدنى ويعقوب البصرى وخلف الكوفى ولكل إمام من الأئمة الثلاثة راويان يرويان عنه ولم يقرأ الشيخ رفعت بأى من الثلاث السابقة.

إذن فمجموع القراءات المتواترة عشر قراءات سبع فى الشاطبية وثلاث فى الدرة، ومجموع القراءات الشواذ كثير جداً ولكن منها أربعة مشهورة.

ومن التسجيلات التى نسمعها للشيخ نلاحظ أنه كان يأتى بالقراءات السبع فى بعض الآيات وذلك إذا كان بالآية اختلاف بين الأئمة المذكورين آنفاً، وذلك مثلما يفعل عند تلاوته للآية الكريمة فى سورة آل عمران ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى...﴾، والآية ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:٤٥] وأيضاً عند تلاوته للآية العظيمة ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ......﴾ من سورة النور، والآية الكريمة﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور :٢١] من سورة الطور، والآية﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)﴾ [الإنسان:٢١] . من سورة الإنسان، وغيرها كثير من الآيات التى يأتى فيها الشيخ بالقراءات السبع المتواترة، بالطريقة المعجزة الساحرة التى كان يقرأ بها.

وكثيراً ما أسمع المشايخ والمقرئين اليوم فى المساجد يسير فى القراءة ـ قراءة حفص عن عاصم ـ فإذا ما أعجبه صوته وأخذته العظمة والأبهة وقال له المستمعون: «الله .. الله يا مولانا، الله ... الله يا سيدنا»، يقوم على الفور بالإتيان ببعض القراءات المختلفة التى تعجبه ويستطيع القراءة بها، حتى يقول للمستمع: أنا بعرف قراءات تانية.

أبداً لم يكن الشيخ محمد رفعت ـ رحمه الله ـ كذلك، بل إنه كان يقرأ القراءات بطريقة عجيبة لم نعهدها عند غيره من المقرئين لا الذين سبقوه ولا الذين عاصروه ولا الذين أتوه بعده، رحمه الله ... بعبارة أخرى: الشيخ محمد رفعت أعظم قارئ استطاع أن يأتى بالقراءات القرآنية بطريقة ساحرة تجذب العالمين لسماع القرآن الكريم، ولو قدر الله وتوفر لنا تسجيل للقرآن الكريم كله بصوت الشيخ محمد رفعت لامتلكنا مدرسة بل جامعة فى تعليم القرآن والقراءات القرآنية المختلفة ـ يرحمه الله.

إجازة بالقراءات السبع

للمقرئ الشهير الأستاذ
الشيخ محمد رفعت
حفظه الله

تلاميــذه

كان للشيخ رفعت (رضي الله عنه) تلاميذ ومعجبون من القراء يتعلمون منه صناعته ويحاكونه فى التلاوة والأداء، لكن الوحيد من القراء الموجودين الآن اللذين رافقوا الشيخ محمد رفعت وتتلمذوا عليه وصادقوه هو الشيخ أبو العينين شعيشع نقيب القراء، (أطال الله بقاءه).

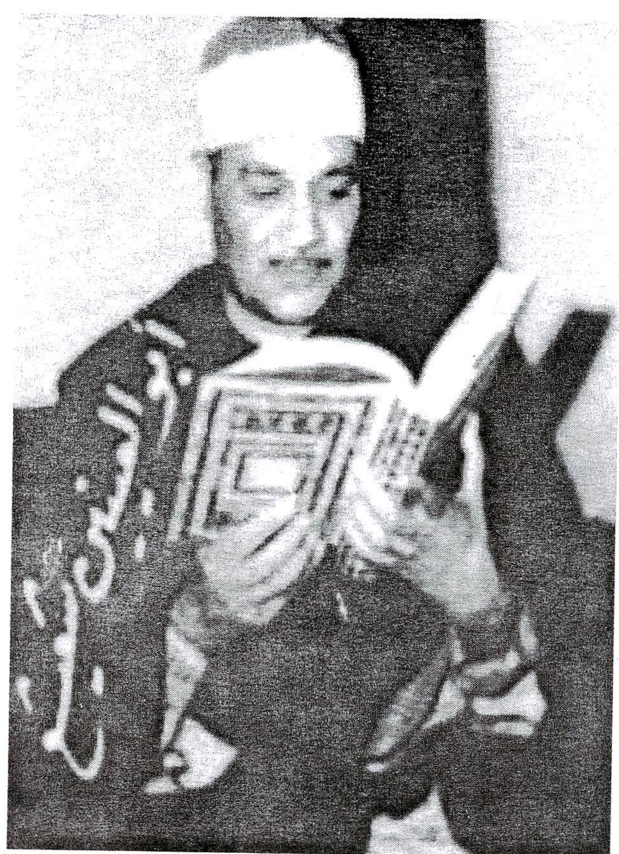
يقول الشيخ شعيشع:

حين جئت إلى القاهرة وعمرى ١٧سنة فى عام ١٩٣٩ظللت موزع العقل وكانت معى أمى التى لا أطيق الابتعاد عنها وسكنت فى غرفة فى لوكاندة بور فؤاد فى أول شارع محمد على، ويتحدث الشيخ شعيشع عن ذكرياته مع الشيخ رفعت فيقول:

وحين جئت إلى القاهرة انبهرت به وذهبت إليه فى مسجد فاضل باشا وبعد القراءة كنت بالقرب منه فسمعت البعض يقول له: يا عم الشيخ رفعت فيه واحد جديد اسمه شعيشع بيقلدك، فرد الشيخ قائلاً: لا.. هو لا يقلدنى إن صوته قريب من صوتى وعلى رأى المثل يخلق من الشبه أربعين ..

هنا قمت وسلمت عليه، وقبلت يده، وقلت له: «أنا شعيشع»، قال: «أهلاً حبيبى»، وأخذنى بالأحضان وجلست أمامه كتلميذ فى محرابه، وكان النور يتلألأ من وجهه واتخذت منه أستاذاً لى مدى الحياة وكنت أذهب إلى بيته وحين كانوا

يقولون للشيخ رفعت عاوزينك تقرأ كان كثيراً يعتذر ويرشحنى ويقول لهم: كأنكم جبتوا الشيخ رفعت.



القارئ الشيخ أبو العينين شعيشع
أنجب تلاميذ الشيخ محمد رفعت

وقد أجرى برنامج «أهل الذكر» حواراً مع فضيلة الشيخ أبو العينين شيعشع أجراه الأستاذ محمود السعدنى:

ذكر المرحوم الشيخ محمد رفعت (فى حياته) أنك من تلاميذه النجباء، فهل أنت تلميذه فعلاً؟

فى الواقع لى الشرف الكبير أن أكون تلميذاً للشيخ محمد رفعت لأنى تأثرت به جداً من زمن طويل حتى قبل أن أمتهن مهنة القراءة وكنت فى ذلك الوقت فى قريتى التى لم يكن بها سوى راديو وحيد عند العمدة «الحاج مصطفى عطافى عبد الله»، وقد وضعه فى مكان مرتفع حتى يسمعه الجمهور (جمهور القرية)، وكنت فى الثانية عشرة من عمرى سنة ١٩٣٥م تقريباً، وكنت حريصاً على سماع الشيخ رفعت فكنت أتوجه قبل موعد القراءة بمدة وأقف طوال الليل فى البرد كى أسمعه وكان البث القرآنى يتأخر فى ذلك الوقت، أى فى حوالى التاسعة أو التاسعة والنصف مساءاً وبعد أن أسمعه أتوجه إلى البيت وأحاول تقليده وكنت أحياناً أوفق حسب

لقراءة بمدة وأقف طوال الليل فى البرد كى أسمعه وكان البث القرآنى يتأخر فى ذلك الوقت، أى فى حوالى التاسعة أو التاسعة والنصف مساءاً وبعد أن أسمعه أتوجه إلى البيت وأحاول تقليده وكنت أحياناً أوفق حسب اجتهادى.

كيف تطورت العلاقة بينك وبينه؟

لقد قابلته لدى وصولى إلى القاهرة فى أول عملى بالإذاعة سنة ١٩٣٩م، وتوجهت إلى مسجد فاضل باشا بالجماميز حيث كان الشيخ رفعت يقرأ وسلمت عليه وقَبّلت يده فلما سألنى عن اسمى ذكرته له فاحتضننى بشدة فى وسط المجلس وقال لى: تعال يا حبيبى وكان صوته خافتاً بعض الشىء، وقال لى: من زمن بعيد وأنا أريد أن أراك وأسمعك.

هل كان قد سمعك بالإذاعة؟

نعم سمعنى بعد عدة قراءات لى.

هل بدأت القراءة بالإذاعة وأنت تقلد الشيخ رفعت؟

نعم كنت أحاول تقليده كى يكون صوتى قريباً من صوته ولم أقابله شخصياً بعد أول تلاوة وإنما كنت أتوجه لمسجد فاضل باشا وأراه من بعيد.

إذن كانت لديه فكرة عنك؟

نعم، وبعد عدة قراءات لى قابلته كما ذكرت لك وحدث التعارف فوجدت منه تشجيعاً كبيراً وكان يغمرنى بعطفه واهتمامه إلى أن طورت نفسى وأصبحت لى طريقتى، وكنت أتردد عليه دائماً.

أعرف أن الشرائط التى تذيعها الإذاعة اضطرت إلى إكمالها بأصوات مقرئين آخرين فهل قمت أنت باستكمالها؟

نعم.

كم شريطاً تقريباً؟

حوالى خمسة أو ستة شرائط من أفضل تسجيلات الشيخ رفعت وذلك راجع إلى أن الهواة الذين كانوا يسجلون للشيخ رفعت كانت تسقط منهم بعض الآيات

عندما يقلبون الأسطوانة، فاستدعانى الأستاذ (أمين حماد) مدير الإذاعة وطلب منى ضرورة استكمالها فرحبت بالفكرة كى أرد بعض الجميل لأستاذى الجليل.

***

كيف نقرأ القرآن الكريم؟؟

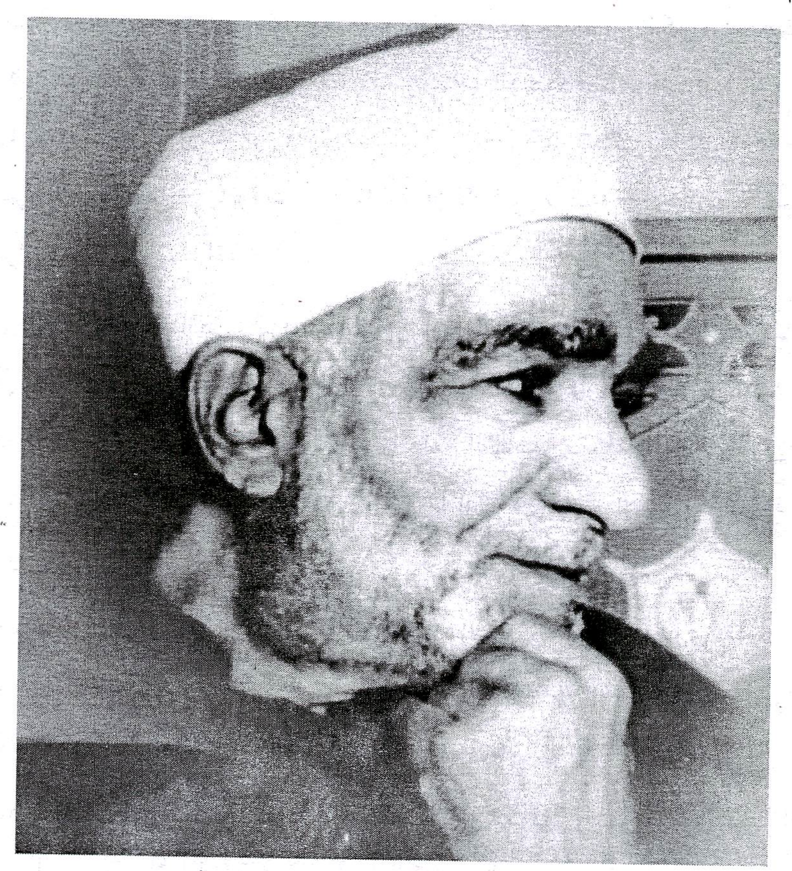
معروف أن القرآن الكريم ليس كغيره من الكتب السماوية الأخرى ولا الكتب العادية، مهما بلغت قيمتها العلمية.. ولقد تفرد القرآن الكريم بخصائص لا تتوافر فى غيره من الكتب، وذلك لأنه الكتاب الوحيد الذى تحدى الله به الدنيا كلها، والإنس والجن عن أن يأتوا بمثله فعجزوا قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾. [الإسراء: ٨٨].

ومن تلك الخصائص: قراءة ذلك الكتاب المقدس، فهو لا يُقرأ كأى كتاب آخر أو أى مقال أو أى نمط أدبى شعر أكان أو نثرًا، لذلك كان على من يتصدى لقراءة ذلك الكتاب العزيز أن يتصدى لبعض العلوم الخاصة بقراءة القرآن الكريم، حتى يستطيع أن يقرأه قراءة صحيحة، لا سيما إذا كان قارئًا، صناعته قراءة القرآن الكريم..

وسوف نرى فى حينه كيف كان الشيخ محمد رفعت العبقرى يقرأ القرآن؟ وكيف استطاع أن يتعلم كل هذه العلوم ويتقنها؟ ويصنع منها فنه الأصيل وصوته العذب الكروان؟ إنه العابد الخاشع الواله المتبتل فى محراب القرآن.

وقد قامت كل العلوم الإسلامية والعربية والكونية والتى تبارى فيها العلماء العرب المسلمون الأوائل لخدمة القرآن الكريم، كل فيما يختص به.

وفى هذا يقول سماحة الإمام الأكبر العلامة محمود شلتوت ـ شيخ الأزهر الأسبق: «عنى المسلمون منذ فجر الإسلام، وانبثاق نور الهداية الإلهية على ربوع العالم بالقرآن الكريم، مصدر تلك الهداية، ومنبع ذلك الإشراق، عناية كبرى شملت جميع نواحيه، وأحاطت بكل ما يتصل به، وكان لها آثارها المباركة الطيبة فى حياة الإنسان عامة والمسلمين خاصة، أفاد منها العلم، وأفاد منها العقل، وأفاد منها الدين، وأفاد منها الفن وأفاد منها القانون والتشريع، وأفادت منها الفلسفة والأخلاق وأفادت منها السياسة والحكم، وأفاد منها الإقتصاد والمال، وأفاد منها كل مظهر من مظاهر النشاط الفكرى والعملى عرفه الناس فى حياتهم المادية والروحية..



الإمام العلامة محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق

ويقول فى موضوع آخر:

«لا نكاد نعرف علمًا من العلوم التى اشتغل بها المسلمون فى تاريخهم الطويل إلا كان الباعث عليه هو خدمة القرآن الكريم من ناحية ذلك العلم، فالنحو الذى يقوِّم اللسان ويعصمه من الخطأ، أريد به خدمة النطق الصحيح للقرآن، وعلوم البلاغة التى تبرز خصائص اللغة العربية وجمالها، أريد بها بيان نواحى الإعجاز فى القرآن، والكشف عن أسراره الأدبية وتتبع مفردات اللغة، والتماس شواردها وشواهدها وضبط ألفاظها، وتحديد معانيها، أريد بها صيانة ألفاظ القرآن ومعانية أن تعدو عليها عوامل التحريف أو الغموض، والتجويد، والقراءات لضبط أداء القرآن وحفظ لهجاته، والتفسير لبيان معانيه، والكشف عن مرابيه، والفقه لاستنباط أحكامه، والأصول لبيان قواعد تشريعة العام وطريقة الاستنباط منه، وعلم الكلام لبيان ما جاء به من العقائد وأسلوبه فى الاستدلال عليها. وقل مثل هذا فى التاريخ. الذى يشتغل به المسلمون تحقيقا لما أوحى به الكتاب الكريم فى مثل قوله: «نحن نقص عليك أحسن القصص». «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك». «ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر». وقل مثل هذا أيضًا فى علوم تقويم البلدان وتخطيط الأقاليم، الذى يوحى به مثل قوله تعالى: «سيروا فى الأرض». «فامشوا فى مناكبها». وفى علوم الكائنات التى يوحى بها قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ (٣٠)﴾ [الأنبياء: ٣٠]. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ (٤٤) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)﴾ [النور: ٤٣:٤٥].

وهكذا علوم الفلك والنجوم والطب، وعلوم الحيوان والنبات وغير ذلك من علوم الإنسان، لا يخلو علم منها أن يكون الاشتغال به ـ فى نظر من اشتغل به من المسلمين ـ مقصودا به خدمة القرآن، أو تحقيق إيماء أوحى به القرآن.. حتى

الشعر إنما اشتغلوا به ترقية لأذواقهم، وتربية لملكاتهم، وإعدادًا لها كى تفهم القرآن وتدرك جمال القرآن، وحتى العروض كان من أسباب عنايتهم به أنه وسيلة لمعرفة بطلان قول المشركين: إن محمدًا شاعر، وإن ماجاء به شعر.

ويقول أيضًا: أعتقد أنى لا أتجاوز حد القصد والاعتدال إذا قلت: إنه لم يظفر كتاب من الكتب سماويا كان أو أرضيا فى أية أمة من الأمم قديمها وحديثها بمثل ما ظفر به القرآن على أيدى المسلمين، ومن شارك فى علوم المسلمين. ولعل هذا يفسر لنا جانبا من الرعاية الإلهية لهذا الكتاب الكريم الذى تكفل الله بحفظه وتخليده فى قوله: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» فما كان الحفظ والتخليد بمجرد بقاء ألفاظه وكلماته مكتوبة فى المصاحف، مقروءة بالألسنة، متعبدا بها فى المساجد والمحاريب، إنما الحفظ والخلود بهذه العظة التى شغلت الناس وملأت الدنيا، وكانت مثارًا لأكبر حركة فكرية اجتماعية عرفها البشر! ومن فضل الله علينا فى هذا العصر، أن الركب سائر لم يقف ولم يفتر، وأن الروح الكريم مايزال يسيطر على المسلمين وينتقل فيهم من جيل إلى جيل يورثه الآباء للأبناء وسيظل كذلك - إن شاء الله - حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وهؤلاء المسلمون، على تفرقهم فى البلاد والأقاليم أو تفرقهم فى السلطان والنفوذ أو ضعفهم المادى أمام دول الغرب، وبالرغم مما غمروا به وغزوا من علوم متنوعة، وثقافات متعددة ذات ألوان مادية وأدبية، واجتماعية، وتشريعية، لا يزالون يعتصمون بالقرآن، ويدينون بقدسية القرآن، أو يتآزرون على خدمة القرآن، وإنهم ليستشرفون جميعا لمطلع ذلك اليوم الذى يعود فيه سلطان القرآن فيكون التشريع تشريع القرآن، والأخلاق أخلاق القرآن والهدى هدى القرآن، ونرجو أن يكون قريبًا».

ويشرح لنا فضيلة القارئ الشيخ العالم الجليل محمود خليل الحصرى الذى أُعده معلم القرآن فى العصر الحديث - فهو يقرأ لنا فى إذاعة القرآن الكريم، المصحف المرتل، والمصحف المجود، ومصحف القرآن، والمصحف المعلم - يرحمه الله - يشرح لنا كيفية تلاوة القرآن الكريم فيقول:

«اتفق علماء القراءة، وأئمة الأداء، على أن لتلاوة القرآن الكريم كيفية مخصصة، يجب على القارئ شرعا أن يلاحظها أثناء تلاوته، ليحرز الأجر الذى وعد الله به القارئين. فإذا أهملها أو قصر فى مراعاتها، كان من الآثمين.

وهذه الكيفية هى تجويد كلماته، وتقويم حروفه، وتحسين أدائه. بإعطاء كل حرف حقه، ومنحة مستحقة، من الإجادة، والإتقان، والترتيل، والإحسان، ولا يكون ذلك إلا بتصحيح إخراج كل حرف من مخرجه الأصلى المختص به تصحيحًا يمتاز به عن مُقاربه، وتوفيه كل حرف صفته المعروفة به توفيه تخرجه عن مُجانِسه مع تيسير النطق به على حال صفته، وكمال هيئته من غير تشدق ولا إسراف، ولا تصنع ولا اعتساف، ومع العناية بإبانة الحروف، وتمييز بعضها من بعض، وإظهار التشديدات وتوفية الغُنّات وإتمام الحركات، ومع تفخيم ما يجب تفخيمه، وترقيق ما يجب ترقيقه، وقصر ما ينبغى قصره، ومد ما يتعين مده. ومع ملاحظة الجائز من الوقوف والممنوع منها، فيوقف على ما يصح الوقوف عليه، ويوصل ما لا يصح الوقوف عليه، إلى غير ذلك من الأحكام والقواعد التى وضعها أئمة القرآن.

قال الإمام المحقق ابن الجزرى فى كتابه (النشر): ولا شك أن الأمة - كما هم متعبدون بفهم معانى القرآن وإقامة حدوده - متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفة على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة، المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التى لا يجوز مخالفتها، ولا العدول عنها إلى غيرها.

وتلك الكيفية هى التى نزل بها القرآن الكريم، وهى المرادة من الترتيل الذى أمر الله به نبيه محمد ﷺ - فى قوله تعالى: «ورتل القرآن ترتيلا».

قال ابن عباس: أى بَينه. وقال مجاهد: تأنّ فيه. وقال الضحاك: انبذه حرفًا حرفًا، وافصل الحرف من الحرف الذى بعد. وجاءه عن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: الترتيل تجويد الحروف، ومعرفة الوقوف. وقال بعضهم: أى تثبت فى قراءتك وتمهل فيها.



الأستاذ القارئ العلامة محمود خليل الحصرى

ولم يقتصر سبحانه على الأمر بالفعل حتى أكده بالمصدر اهتمامًا به وتعظيمًا له، ليكون ذلك عون على تدبر القرآن وتفهمه، وهكذا كانت قراءة النبى ﷺ: كانت غاية فى الترتيل والتؤدة، وآية فى الإتفاق والجودة، لم تكن هذا ولا عجلة، بل كانت مفسرة كلمة كلمة، مُبينة حرفا حرفا.

وقد روى عنه زيد بن ثابت أنه ﷺ قال: «إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أُنزل». أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه. وعن أم سلمة أنها سئلت عن قراءة الرسول ﷺ فإذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفًا. أخرجه الترمذى وقالت عائشة رضى الله عنها : كان الرسول ﷺ يقرأ السورة حتى تكون أطول منها. وسئل أنس بن مالك عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كانت مدا، ثم قرأ أنس بسم الله الرحمن الرحيم، يمد الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم.

وعن أم سلمة أن رسول الله ﷺ: كان يُقطع قراءته فيقول: الحمد لله رب العالمين، ثم يقف، الرحمن الرحيم، ثم يقف، مالك يوم الدين، وهكذا. رواه الترمذى وأبو داود.

قال القرطبى: «قال علماؤنا: قول أم سلمة: «كان يقطع قراءته» يدخل فيه جميع ما كان يقرؤه من القرآن، وإنما ذكرت فاتحة الكتاب لتبين صفة التقطيع، أو لأنها أم القرآن فيغنى ذكرها عن ذكر ما بعدها، فالتقطيع عام لجميع القراءة لظاهر الحديث».

وذكر الزهرى أن قراءة الرسول ﷺ: كانت آية آية. وهذا هو الأفضل، وهو الوقوف على رءوس الأى وإن تعلقت بما بعدها. وذهب بعضهم إلى أن الوقوف على رءوس الآى أفضل مالم تتعلق الآى بما بعدها، فإن تعلقت بما بعدها كان الوقف على ما يتم به الكلام أفضل، ولكن اتباع هدى الرسول وسنته أولى، ومم ذكر ذلك البيهقى فى شعب الإيمان ورجح الوقف على رءوس الآى وإن تعلقت بما بعدها.

وقد اختلفت العلماء هل الأفضل الترتيل مع قلة القراءة أو السرعة مع كثرها؟

فذهب فريق إلى أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها. وهذا مذهب ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وقد احتجوا لهذا المذهب بأدلة:

الأول: أن المقصود من قراءة القرآن فهمه وتدبره. والتفقه فيه والعمل به، وما تلاوته وحفظه إلا وسيلة إلى معانيه، فقد قال بعض السلف: نزل القرآن ليُعمل به، فاتخذوا تلاوته عملا، ولهذا كان أهل القرآن هم العاملين به العاملين بما فيه، وإن لم يحفظوا عن ظهر قلب. وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وإن جود كلماته وأتقن حروفه.

الثانى: أن الإيمان هو أفضل الأعمال على الإطلاق، وفهم القرآن وتدبره هو الذى يثمر الإيمان، وإما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر فيفعلها البر

والفاجر، والمؤمن والمنافق، فمن أوتى تدبرًا وفهما فى التلاوة أفضل ممن أوتى كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر.

الثالث: أنه كان من هدى الرسول ﷺ أنه كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها، وثبت عنه أنه قام بآية واحدة فى الليل، وأخذ يرددها حتى الصباح. وهى ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١١٨)﴾ [المائدة: ١١٨] . رواه النسائى وابن ماجه.

وقال أبو حمزة لابن عباس: إنى رجل سريع القراءة وربما قرأت القرآن كله مرة فى الليلة، فقال له ابن عباس: لأن أقرأ سورة واحدة أرتلها وأتدبرها أحب إلى من أن أفعل الذى تفعل فإن كنت فاعلا لابد فاقرأ قراءة تسمعها أُذنك ويعيها قلبك رواه البخارى.

وقال ابن مسعود: «لا تهذوا بالقرآن هذا الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة».

والهذ: الإسراع، أى لا تسرعوا فى القراءة إسراعكم بالشعر.

والدقل بفتح الدال والقاف: أردأ التمر. والمعنى النهى عن عدم العناية بإتقان القراءة؛ بالإسراع فيها وعدم رعاية حدودها.

وقال ابن مسعود أيضًا: «إذا سمعت الله تعالى يقول: (يا أيها الذين آمنوا). فأصغ لها سمعك فإنه خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه.

وجاءه رجل فقال له: إنى أقرأ المُفصل فى ركعة، فقال: أهذا كهذا الشعر؟

وسئل مجاهد عن رجلين أحدهما قرأ البقرة والآخر قرأ البقرة وآل عمران فى الصلاة، وركوعهما وسجودهما واحد. فقال الذى قرأ البقرة وحدها أفضل.

وعن محمد بن كعب القرظى أنه قال: «لأن أقرأ فى ليلتى حتى أصبح سُورتى الزلزلة والقارعة، لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر أحب إلى من أن أهُذ القرآن هذا وأنثره نثرا.

وعن عائشة رضى الله عنها أنه ذكر لها أن ناسا يقرأون القرآن فى الليلة مرة أو مرتين فقالت: أولئك قوم قرأوا ولم يقرأوا، كنت أقوم مع الرسول ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها تخريف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمر يآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه رواه أحمد.

قال ابن كثير: «وفى الحديث دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هذرمة ولا بسرعة مفرطة، بل بتأمل وتفكر، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)﴾ [ص:٢٩].

والهذرمة: الإسراع فى القراءة.

وقال الغزالى: «إن الترتيل مستحب، لا لمجرد التدبر فإن الأعجمى الذى لا يفهم معنى القرآن يستحب له فى القراءة الترتيل والتودة، بل لأن ذلك أقرب إلى توفير القرآن واحترامه، وأشد تأثيرًا فى القلب من السرعة والاستعجال».

وذهب فريق منهم - ومنهم أصحاب الشافعى - إلى أن كثرة القراءة أفضل، واحتجوا لذلك بحديث ابن مسعود: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول «آلم» حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». أخرجه الترمذى وقد تقدم.

قالوا: ولأن عثمان بن عفان رضى الله عنه قرأ القرآن فى ركعة، وذكروا آثارا عن كثير من السلف فى كثرة القراءة.

وقال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد: «والصواب فى المسألة أن يقال: إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرًا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا.

فالأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة جدًا أو عتق عبدًا قيمته نفيسة جدًا. والثانى كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم، أو أعتق عددًا من العبيد قيمتهم رخيصة».

أما بالنسبة لحكم التغنى بالقرآن وتحسين الصوت به، فتلك قضية اختلف فيها العلماء والفقهاء، اختلفوا فى التطريب بالقرآن والترجيح فيه، والتغنى به، وتحسين الصوت بقراءته.

وقد لخص الشيخ الحصرى ـ يرحمه الله ـ ما استنتجه من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء مايلى:

أولاً: تحسين الصوت والتطريب به حال القراءة مستحب ومطلوب شرعًا، والقارئ الذى لا يكون حسن الصوت بطبعه ينبغى أن يجتهد فى تحسينه فى حدود استطاعته، وينبغى ألا يكون هذا موضوع نزاع بين العلماء، لأن الأحاديث الكثيرة، والآثار الشهيرة المستفيضة قد دلت على هذا دلالة واضحة لا إيهام فيها ولا غموض.

ثانيا: القراءة بالألحان مختلف فيها، فمن العلماء من ذهب إلى حرمتها، ومنهم من ذهب إلى كراهتها، ومنهم من ذهب إلى جوازها واستحبابها.

ثالثًا: محل اختلاف العلماء فى القراءة بالألحان إذا كانت دائرة القواعد المحددة، والأحكام المقررة التى وضعها علماء التجويد، واستنبطوها من القراءة التى وصلت إلينا بطريق التواتر عن النبى ﷺ بحيث لا تخرج عنه قيد شعرة، أما إذا خرجت القراءة بالألحان عن حدود هذه القواعد والأحكام، وترتب على القراءة بها الإخلال بهذه القواعد، والعبث بها، والإنحراف عنها، فقد أجمع العلماء قاطبة على تحريم القراءة بها.

والذى أراه أنه يجوز لقارئ أن يقرأ بأية نغمة من النغمات الموسيقى؛ الحُجاز، النهاوند، والعُشاق، الصبا، العجم، الرسب. إلى غير ذلك من النغمات، بشرط أن يحافظ، كل المحافظة على قواعد التجويد، ولا ينحرف عنها يمنة ولا يسرة، بحيث يجعل هذه القواعد فى المحل الأول، ويؤثر رعايتها على رعاية قواعد الموسيقى، حتى إذا تعارض عنده ـ فى بعض الأحيان ـ ضبط الكلمة القرآنية من ناحية التجويد، وضبطها من ناحية الموسيقى بحيث يتعسر عليه ضبط الكلمة من الناحيتين معًا ـ فإنه يؤثر ضبطها تجويدًا، ولو ترتب على ذلك الإخلال بقواعد الموسيقى، أما إذا كانت القراءة بهذه النغمات تؤدى إلى الإخلال بأصول التلاوة وأحكام الأداء، فإن القراءة بها تكون محرمة بإجماع المسلمين. يأثم القارئ بقراءتها، ويأثم المستمع بسماعها، والله الموفق.

أتكون قراءته همهمة لا يعيها غير صاحبها فلا يفهمها السامعون حتى ولو كانوا مسلمين؟ إن هذا يستوى والعجمة التى تنزه عنها القرآن الكريم، لقد جاء القرآن بعربية بينة فيجب من ثمة أن تكون قراءته جلية بينة. يجب أن تكون ترتيلا يعطى الحرف حقه والكلمة حقها من الانفصال والاتصال والمد والإشباع.. وكل هذا يؤدى إلى أن تبقى ألفاظ اللغة نقية خالصة فى نقائها، قوية ثابتة فى قوتها لا تنال منها المؤثرات البيئية والحضارية والجسدية التى تطبع بعضا من آثارها على الآلسن.

إذن لابد من الترتيل.. قال تعالى: «ورتل القرآن ترتيلا» وفى الترتيل تزيين وتجميل يحبب النفوس ويجتذبها، فكم مستحفظ للقرآن يقرؤه فينفر الناس منه ويستعيذون بالله من ذلك الصوت الذى أطار أفئدتهم، لذلك قال ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم» بل إنه عليه السلام حث على التغنى بالقرآن لأن التغنى دلالة على الانشغال والشوق فكما يناجى الرجل محبوبته حتى يكاد كلامه يخرج شعرًا ملحنًا فكذلك يجب على المسلم حين يرتل القرآن أن يرتله مناجاة فالمناجاة دعاء والدعاء ترتيل وتغن وتزيين.

وإذا قيل إن القراء.. وعاء القرآن الكريم، وأنهم أهل الله وخاصته.. كما يردد ذلك الشيخ محمود خليل الحصرى.. فإن قراءة القرأن الكريم تشترط فيمن يرتل القرآن، أن يكون ذا صوت حسن جميل وأن يؤدى التلاوة بما يرضى الله ورسوله.

وقراءة القرآن لها قواعد وشروط، ولابد أن تكون فى إطار الأحكام المقررة التى وضعها أئمة القراءات، من الضبط والتجويد.. والتى جاءت بالتواتر عن النبى ﷺ - أول قارئ للقرآن فى عصر الإسلام.

وعظمة القرآن الكريم وإعجازه.. أنه لابد لمن يريد قراءته وحفظه، أن يتلقاه شفاها. فالإنسان مهما كانت قدرته وبلاغته، لا يستطيع أن يقرأ أو يحفظ القرآن بنفسه.. وهذا هو سر الإهتمام بالكتاتيب ومكاتب تحفيظ القرآن.

ثم هناك مرحلة أخرى بعد حفظ القرآن.. هى تدبر ودراسة تفاسيره ومعانيه.

ثم مرحلة ثالثة.. وهى للقارئين. إذ لابد أن تتوفر فى قارئ القرآن معرفة أحكام القراءة، والوقوف على أصول التجويد والأداء الحسم، ثم حسم الصوت..

فقراءة القرآن الكريم ـ تجويدًا وترتيلا ـ لها قواعد لا تخرج عنها، وهى المحددة فى نطاق القراءات السبع.. أما النغمة التى يتلى بها القرآن الكريم، فهى من عند المقرئ على حسب إجتهاده..

وهناك ما يعرف بالقراءات العشر: وهى القراءات أو النماذج لقراءة القرآن الكريم، وهى تنسب إلى الأئمة الذين يبلغ عددهم عشرة، وهم: نافع وأبو جعفر المدنيان، وابن كثير المكى، وأبو عمرو ويعقوب البصريان، وابن عامر الشامى، وعاصم وحمزة والكسائى وخلف الكوفيين.

ويثور تساؤل هنا.. يظهر بين حين وآخر حول تلحين القرآن الكريم.

هناك طوائف من متأخرى الفقهاء لم تر إجازة التلحين، وقالوا إنه لم يحدث فى عصر النبوة ولا فى عصر الصحابة. وقالوا كذلك: إن قراءة القرآن، كانت ترتيلا كما أمر الله فى كتابه العزيز: «ورتل القرآن ترتيلا»..

ومعنى الترتيل، هو التبيين، كما قال الزجاج، الذى لا يتم بأن يتعجل فى القرآن، وإنما يتبين جميع الحروف وتوفيتها حقا.. وهذا ما أمر به المولى جل شأنه..

وقد قيل: إن قراءة القرآن بالتلحين، أو الترنم بالصوت الحسن غير جائزة، وإنها من مبتدعات العصر العباسى، واستمرت إلى يومنا هذا، وأن القرآن الكريم لم يقرأ بالتلحين قبل العصر العباسى.. ولو وجدت قراءة التلحين فى عصر صدر الإسلام لجاءت بها الأخبار.

وأصحاب هذا الرأى يرون أن القراءة على هذا النحو مكروهة، إن لم تكن حرامًا.. لأن المستمع إلى القراءة بالتلحين ينصرف عن تدبر معانى القرآن الكريم، إلى الافتتان بغناء القارئ...

لكن.. هذا الرأى لا يوافقه بعض الفقهاء، ويدللون على ذلك أثر على النبى ﷺ. كما روى البخارى وأنه عليه الصلاة والسلام، قرأ سورة الفتح فى السفر «يرجع فيها، وأنه ﷺ ـ قال: «حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنا» وهذا الحديث رواه البيهقى.

وهناك حديث عن سعد بن أبى وقاص، عن ابن عباس، عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال: «ليس منا مَنْ لم يتغن بالقرآن» وهذا الحديث رواه الحاكم فى المستدرك.

كما روى عن الرسول ﷺ ـ أنه حين سمع لقراءة ابن مسعود، ونحن نعرف مَنْ هو ابن مسعود الذى قرأ القرآن أمام الكعبة وتعرض لإيذاءات المشركين ـ قال له الرسول: لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود» وقد فسر العلماء هذا المزمار أو الزمور، بأنه الصوت الحسن.

ومعنى ذلك: أن قراءة القرآن بالتغنى جائزة، وقد قرأ بها الرسول ﷺ ـ واستمع إلى القراءة بها من الكثيرين واستحسنها.

ففى كتاب «زاد المعاد» لابن القيم: أن عمر ـ رضى الله عنه ـ كان يقول لأبى موسى الأشعرى: ذكرنا ربنا، فيقرأ أبو موسى ويتلاحن وكان عقبة ابن عامر، أحسن الناس صوتا بالقرآن، فقال له عمر بن الخطاب: أعرض علىّ سورة كذا.. فعرضها عليه، فبكى عمر. وقالو كذلك أن الإمام أبا حنيفة وأصحابه كانوا يستمعون إلى القرآن بالتلحين، وأن الإمام الشافعى رحمه الله ـ وتلامذته كانوا يسمعون القرآن بالألحان..

بل إن هناك من يقول: إن الترتيل لا يتنافى مع التلحين.. وأن الرسول عليه الصلاة والسلام ـ قرأ به القرآن واستمع إلى القراءة به من بعض

أصحابه. وأن قراءة القرآن بالتغنى لا أعتراض عليها ما دامت لا تؤدى إلى زيادة فى المد، أو اختلال فى النطق وموافقة لما أوجبه علماء القراءات.

وهذا يعنى عدم صواب الرأى الذى يقول: إن التلحين من ابتداع العصر العباسى، إنه وجد فى عصر النبوة.

ونحن نقصد هنا بقراءة التلحين.. قراءة التطريب من المقرئ نفسه.. لا هذه الدعوة الآثمة التى تنادى بأن تكون القراءة بالتلحين مع أنغام الموسيقى. فهذه الدعوى لا تستند إلى أى أساس من الدين، فضلا عن أنها تخرج بالقراءة عن قصدها والمراد منها والشيخ محمود خليل الحصرى يقول: إن قراءة التلحين أو الألحان جائزة، إذا كانت فى دائرة القواعد المحددة، والأحكام المقررة، التى وضعها علماء التجويد، واستنبطوها من القراءة التى وصلت إلينا بطريق التواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم - بحيث لا تخرج عنها قيد شعرة والمقصود بالطبع - بالألحان، هى الألحان الصادرة عن الصوت الطبيعى للقارئ، وليست الألحان الناتجة عن آلات موسيقية مصاحبة لقراءة القرآن..

ويرى الشيخ الحصرى: أن القراءات المتداولة الآن بين قراء القرآن الكريم، كلها قراءات صحيحة، لأنها قراءات متواترة مأخوذة بالتلقى عن الرسول ﷺ - وهى ما تعرف بالقراءات السبع.

ولقد جاء فى الحديث الشريف عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن الرسول ﷺ - قال: أقرأنى جبريل فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف»... رواه البخارى ومسلم.

وفى كتاب «فن الإلقاء» لعبد الوارث عسر، يأتى بحديث رواه مسلم عن الصحابى حذيفة بن اليمان، يقول فيه: إنه صلى خلف الرسول ذات ليلة، وقد أخذ ينصت إلى قراءة الرسول فى صلاته.. وكان صوته عليه الصلاة والسلام.. جميلا بالقرآن. فكان إذا مر بآية فيها سؤال، سأل، وإذا مر بآية فيها تعوذ، تعوذ..

ومالنا نذهب بعيدًا.. إذا ما قلنا إن القرآن معجزة السماء نزلت على رسول ﷺ .. فى المجتمع المكى لكى تخشع الألباب: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعًا من خشية الله»..

إن هناك أيام بعثة الرسول ﷺ - عشرات، بل مئآت القصص والروايات التى تروى حول القرآن.. حين سمعه العرب لأول مرة، وما فعله فى القلوب الصلدة الغليظة، فرققها.. وجذبها إلى جادة الإيمان..

وعمر بن الخطاب، له عندما سمع القرآن لأول مرة قصة معروفة جعلته فى طريق الإيمان..

وهناك قصة لها دلالتها تروى عن أبى جهل وأبى سفيان والأخنس بن شريق.. الذين كانوا من ألد أعداء الإسلام.. هؤلاء كانوا يتسللون فى جنح الليل فرادى إلى جدار بيت الأرقم بن الأرقم ليستمعوا من الكوى والنواقد إلى النبى ﷺ - وهو يتلو القرآن.

كان كل واحد منهم يجلس فى مكان مظلم بحيث لاتراه العيون، وهو يظن أنه وحده جاء ليستمع..

وذات ليلة حدثت مفاجأة..

التقى الثلاثة وجها لوجه، وهم يهمون بالانصراف بعد أن انتهى الرسول ﷺ - من التلاوة.. وسأل كل منهم صاحبه.

من أين جئت؟

والكل تبادل الاتهام، فالاعتراف، فالعقاب

ثم أقسموا على ألا يعودوا إلى ذلك مرة أخرى، خشية أن يؤدى إقابلهم على سماع كلام الله، إلى اتباع محمد والإيمان بدعوة الإسلام.. وهذا ما يجب عليهم أن يقاوموه فى أنفسهم أشد المقاومة، ما داموا يقاومون فيه غيرهم من الناس.

ثم كانت الليلة التالية.. فيها تحدث كل واحد من الثلاثة إلى نفسه قائلا: إن أحدا لم يذهب الليلة إلى جوار بيت الأرقم، فماذا لو جئت فى قسمى وذهبت وحدى؟

وذهب الثلاثة.. وليستمع كل منهم إلى الرسول وهو يقرأ القرآن، وعندما فرغ ﷺ - من التلاوة أخذ كل منهم يطوف حول دار الأرقم ليتأكد من أنه وحده هو الذى ذهب.

وتقابلوا مرة أخرى ونشب الشجار بينهم، ووصل الأمر إلى التلاحم والتبارز بالألفاظ..

على أية حال ظل أبو جهل وصاحباه على تلك الحال من القسم باللات والعزى ألا يذهبوا.. ثم يحنثون فى قسمهم ويذهبون.. ولم يستطيعوا أن يكتبوا دوافع هذه الرغبة العارمة فى نفوسهم والتى جذبتهم إليها تلاوة الرسول للقرآن الكريم.. إلا بحيلة ساذجة، هى الاجتماع فى بيت أحدهم كل ليلة...

هذه قصة ذات دلالة

ثم.. هذا هو الوليد بن المغيرة أحد سادة الإبداع البلاغى فى العرب، يقف فى قومه مأخوذًا، بعد أن سمع آيات بينات من القرآن الكريم يقول لهم، لقد سمعت من محمد كلامًا.. ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن.. إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى عليه..

وإذا كان الوليد لم يدخل الإسلام بعد هذا خوفا وجبنا.. فقد دخله لبيد ابن ربيعة، أحد شعراء الحلقات السبع، وظل طوال أربعين عامًا فى الإسلام لا يقول الشعر، وكان كلما سئل لماذا لايقول الشعر؟.. يجيب بقراءة سورة من القرآن ويقول: لقد أبدلنى الله خيرًا من الشعر.

يقول حجة الإسلام الإمام أبوحامد الغزالى:

وكانوا - أى السلف الصالح - يتلونه حق تلاوته، تلاوة يشترك فيها اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعانى (وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار - فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ).

ويقول علماء التجويد والقراءات:

حقيقة التجويد هى إعطاء كل حرف حقه من الصفات الثابتة، مع بلوغ الغاية والنهاية فى إتقان الحروف وتحسينها وخلوها من الزيادة والنقص، وبراءتها من الرداءة فى النطق، وتحزير مخارجها وبيان صفاتها اللازمة لها من همس واستعلاء وقلقلة.. إلى آخر ما ذكره الأئمة...

فالتجويد.. هو حلية التلاوة، وزينة القراءة، وهو إعطاء الحروف حقها.. ورد الحرف إلى مخرجه، وتصحيح لفظة، وتلطيف النطق به.. من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف.

وقد أخرج الإمام البخارى رضى الله عنه - عن مسروق، عن عائشة عن فاطمة البتول، أنها قالت: أسر النبى ﷺ - إلى وقال: إن جبريل كان يعارضنى - أى يدارسنى - بالقرآن فى كل سنة مرة، فعارضنى الآن مرتين، ولا أراه إلا حصر أجلى».

وقد ذكر الأئمة أن النبى ﷺ - كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام من أوله إلى آخره بتجويد اللفظ وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها، ليكون ذلك سنة يإخذها السلف، وليعرض التلاميذ قراءتهم على الشيوخ..

إن تجويد الحروف، وترتيب السور والآيات، والقراءات المتواترات، هى أمر توفيقى، لأن جبريل عليه السلام أخبر الرسول ﷺ - بكل هذه الأحكام فى العرضة الأخيرة».

وقد علم النبى ﷺ - الصحابة رضوان الله عليهم ما فيها، ثم علم الصحابة التابعين ثم أئمة القراءة فى جميع الأمصار والعصور.. حتى وصلت إلينا القراءات مجودة بطريق التواتر...

لكن.. كيف نعلم القراءة والترتيل ونجودها.. وكيف نتعلمها؟؟

إن النبى - ﷺ - مع كمال فصاحته ونهاية بلاغته.. تعلم القرآن عن جبريل عليه السلام - فى جميع السنين ومنذ نزل القرآن.. وخصوصًا فى السنة الأخيرة التى لاقى فيها وجه ربه راضيا مرضيا..

ويقول العلماء: إن الأخذ عن الشيوخ يأتى على نوعين:

- النوع الأول: أن يسمع المتعلم من لسان المشايخ، وهى طريقة المتقدمين.

- النوع الثانى: أن يقرأ المتعلم فى حضرتهم، وهم يسمعون قراءاته.. وهذا مسلك المتأخرين..

وقد اختلف فى أى الطريقين أفضل؟

وقيل: إن النوع الثانى، هو أفضل طريقة فى زماننا لتجويد القرآن وحفظه لكن.. النوعين مطلوبان الآن.. وهما أن يقرأ الأستاذ ليسمع التلميذ.. ثم يحفظ التلميذ ويقرأ على الأستاذ.. والنوعان حدثا أيام النبى ﷺ وبحضوره وإقراره.

فقد روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه، أن الرسول ﷺ - قال لأبى بن كعب: إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن» - أى أعلمه لك - قال أبّى الله سمانى لك. قال الرسول «سماك» فجعل أبّى يبكى.

ويقول العلماء.. إن الله تعالى أمر رسوله، ليعلم أبيا أحكام التجويد والمخارج والصفات وأحكام القراءات.. كما تلقاها نبى الله عن جبريل عليه السلام، التى تلقاها عن اللوح المحفوظ عن المولى عز وجل.

فالمراد من قراءته - ﷺ - على أُبىّ، تعليمه وإرشاده وهو من أتقن قراء الصحابة، وأشدهم استعدادا لتلقف القرآن الكريم من رسول الله ﷺ - «الذى تلقفه عليه الصلاة والسلام من جبريل»..

وجدير بالذكر أن أبيا بذل جهده وسعى سعيا بليغا فى حفظ القرآن الكريم وما ينبغى له.. حتى بلغ الغاية العظمى وأصبح إماما فى هذا الشأن.. حتى قال الرسول ـ ﷺ ـ لأصحابه «أقرؤكم أبىّ».

وبالنسبة للنوع الثانى، وهو أن يقرأ المتعلم ليسمعه المعلم، والمعلم هنا هو الرسول الأعظم المرشد الهادى، والمتعلم هو عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه.

وقد روى البخارى عن النبى ﷺ ـ أنه قال : «من أحب أن يقرأ القرآن غضبا، فليقرأ قراءة ابن أم عبد»

وابن أم عبد هنا، هو عبدالله بن مسعود.

والمراد بالغض.. أى الطرى.. فقد كان ابن مسعود ـ رضى الله عنه قد أعطى حظاً عظيمًا فى تجويد القرآن وترتيله، كما أنزله الله تعالى.

وقد أمر الرسول ـ ﷺ ـ ابن مسعود «أن يقرأ عليه ما تيسر من القرآن. فقال ابن مسعود للرسول: أأقرأ عليك، وعليك أُنزل.، فقال الرسول: «أحب أن أسمع من غيرى فقرأ ابن مسعود على الرسول، سورة النساء.. إلى أن وصل إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١)﴾. [النساء:٤١]

عندها قال الرسول لابن مسعود: حسبك الآن.

والتفت ابن مسعود إلى الرسول بعد أن توقف عن القراءة.. فإذا هو يرى عينى الرسول ـ ﷺ ـ وهما تذرفان الدمع..

ثم نأتى إلى قضية القراءة نفسها.

وأهم ما فى هذه القضية هى الوقف والابتداء. وهما حالتان ينبغى لقارئ القرآن الكريم أن يحيط بهما علما، ليعرف ما يقف عليه وما يبتدئ به، حتى إن بعض الأئمة جعل الوقف واجبا.. طبقا لما ورد من أن عليا بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ سئل عن قوله تعالى: «ورتل القرآن ترتيلا».. فقال مجيبا: «الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.

فالوقف والابتداء واجب ينبغى تعلمه ومعرفته... لأن الوقف والابتداء - كما يقول ابن عمر - أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين..

وقد صح، بل تواتر، ذلك «حيث اعتنى السلف الصالح بالوقف والابتداء.. من أمثال أبى جعفر بن يزيد بن القعقاع أمام أهل المدينة الذى هو من أعيان التابعين، وكذلك الإمام نافع بن أبى نعيم، وأبو عمرو بن العلاء، ويعقوب الحضرمى وعاصم بن أبى النجود.. ولا شك أن تجويد القرآن الكريم بصفة عامة يتمثل فى إعطاء كل حرف حقه، من إظهار المظهر، وإدغام المدغم، وقصر المقصور، ومد الممدود وتفخيم المفخم وترقيق المرقق.. إلى غير ذلك.

يقول البيضاوى: إن معنى الآية الكريمة «ورتل القرآن ترتيلا» جودة تجويداً، وكما قال الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه، الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.

ويقول الرسول ﷺ - «إن الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل.. ويقول «اقرأوا القرآن كما علمتموه».. وأيضًا يقول - ﷺ: «رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه.. إذا أدخل بمبانيه أو معانيه، أو العمل بما فيه.. ومنها الترتيل والتلاوة بالطبع.

ومما لاشك فيه أن مولانا الشيخ محمد رفعت هو القارئ العظيم فى قراءة القرآن فى العصر الحديث، فقد كان يرحمه الله عالما ماهرًا بالقرآن الكريم، يعطى كل حرف حقه من إظهار المظهر وادغام المدغم، وقصر المقصور ومد الممدود، وتفخم المفخم وَترقيق المرقق مع علمه ومعرفته بالوقوف، فهو كان مصرفا مفتوحا مرتلا ومجودا ومفسرا ومشروحا «ناهيك عن عظمة أدائه للقراءات القرآنية بأوجهها المختلفة.

ومن بالغ الأسى والحزن أن حياة ذلك القارئ الكبير محمد رفعت قد انتهت بمأساة (وهى عدم تسجيل القرآن الكريم بصوته العذب الرخيم، ولو

قدر الله وتم تسجيل القرآن الكريم بصوت الشيخ محمد رفعت لامتلكنا مدرسة بل جامعة من أرقى وأعظم الجامعات فى علوم القرآن الكريم.

وهاك العالم الجليل الأستاذ الدكتور زغلول النجار يعطينا فكرة عن كيفية قراءة القرآن الكريم فيقول:

يجب أن نقرأ القرآن الكريم ونحن موقنون بالحقائق التالية: -

أولاً: أنه كلام الله الخالق الذى أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله: وحفظه بعهده الذى قطعه على ذاته العلية، فى نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه على مدى يزيد على أربعة عشر قرنا، وتعهد بهذا الحفظ الإلهى تعهدًا مطلقًا حتى يبقى القرآن شاهدا على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين.. وشاهدا بالنبوة وبالرسالة للنبى الخاتم الذى تلقاه، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى، مخاطبا خاتم أنبيائه ورسله - ﷺ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩)﴾ النحل ٨٩، والتعبير القرآنى تبيانا لكل شىء، يعنى: كل شىء من أمر الدين بركائزه الأربع الأساسية: العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات..

ولو شاء الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل القرآن الكريم تبيانا لكل شىء من أمور الدنيا أيضا لكان القرآن الكريم مجلدات عديدة لا يمكن للفرد الواحد أن يتمه قراءة فى عمره كله، فضلا عن حفظ نصه عن جميع أنبيائه ورسله وهم جمع غفير كما أخبريذلك رسول الله ﷺ.

ثانيًا: أنه الكتاب السماوى الوحيد الذى تعهد ربنا - تبارك وتعالى - بحفظه فحفظ فى نفس لغة وحيه على مدى الأربعة عشر قرنا الماضية وحتى القرن الحالى (وهو القرن الهجرى الخامس عشر)، وسوف يظل محفوظا بحفظ الله - تعالى - إلى ما شاء الله لأن الوعد الذى قطعه ربنا - تبارك وتعالى - على ذاته العلية بحفظ هذا الكتاب الكريم هو وعد مطلق

وهو وعد لم يقطع لرسالة سابقة أبدًا، وذلك لأن كل رسالة من الرسالات السابقة كانت محدودة بأقوام معينين، وكان حفظ كل رسالة منها قد ترك لاتباعها فضيعوها، وهذه آيات القرآن الكريم تشهد على ذلك بقول ربنا - تبارك اسمه -

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾ (البقرة آية ٧٥)

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)﴾ (النساء آية ٤٦)

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣)﴾ (المائدة ١٣)

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)﴾ [المائدة ٤١] .

ثالثا: إنه كتاب معجز في كل أمر من أموره، لأنه كلام الله الخالق البارئ، المصور، فهو ليس بالشعر ولا بالنثر، ولكنه نمط فريد من الصياغة العربية لم تعرفه العرب من قبل، وعجزوا عن الإتيان بشيء من مثله وهم في قمة الفصاحة والبلاغة وحسن البيان لم تتكرر في تاريخ الأمة العربية.

والإعجاز في القرآن الكريم ليس مقصورًا على نظمة كما يدعى البعض، فما من زاوية من الزوايا ينظر منها إنسان محايد إلى هذا الكتاب العزيز إلا ويجد منها وجها من أوجه الإعجاز الذي يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن

أن يكون صناعة بشرية، وفى ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨)﴾ يونس ٣٧، ٣٨ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِى كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)﴾ الواقعة ٧٧ ـ ٨٠ .

والأستاذ محمود السعدنى الكاتب الكبير وصاحب كتاب ألحان السماء، يعطينا فكرة عن قراء القرآن الكريم وما يجب أن يتوافر فى القارئ من علم وحسن صوت وقراءات قرآنية فيقول: ـ

والصوت الجميل فى دولة القراءة والتلاوة ليس ترفا، ولكنه شرط أساس لابد أن يتوافر فى كل من يتصدى لهذا الفن الجليل، وحتى رسول الله سيدنا محمد ـ ﷺ ـ سمع أبا موسى الأشعرى وكان حسن الصوت يقرأ القرآن، فأعجبه، فقال له: لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل دواد، لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة!!، وعن رسول الله أيضًا، أن رجلا من الصحابة جاء إليه بعد انتهاء من بناء المسجد، وقال له يا رسول الله، لقد رأيت فيما يرى النائم أننى أصعد على ظهر المسجد فادعو الناس إلى الصلاة قائلاً: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدٌ رسول الله، حى على الصلاة، حى على الفلاح، لا إله إلا الله، فقال له رسول الله: ـ نعم ما رأيت، فهرول الرجل يريد الصعود إلى سطح المسجد ليؤذن للصلاة، فاستوقفه الرسول وقال له: دع بلالا يؤذن، فإنه أندى منك صوتا.

ياللقيادة الحكيمة الجليلة التى تضع الرجل المناسب فى المكان المناسب. لقد انتهت مهمة الرجل فرأى فيما يرى النائم حلمًا. ولكن دوره توقف عند هذا الحد، أما تنفيذ الحلم فى الواقع، فسيعهد به إلى رجل آخر أصلح فى تنفيذه من الرجل الذى رأى فى المنام. ليه؟ ليس لأنه صاحب سلطة أو صاحب نفوذ، أو من الأنصار المقربين ولكنه لأنه أندى صوتا. الصلاحية هنا للموهبة والعمل لمن يستطيع القيام به، والشرف لم يستحقه، وهكذا صار سيدنا بلال هو مؤذن الرسول، لا لشىء ولا لسبب إلا لأنه كان أندى صوتا...

لم يعد الآن فى الساحة من هذا الصنف العظيم الذى هو أندى صوتا، إلا عمنا الشيخ عبدالباسط عبدالصمد، نسأل الله أن يخفف عنه وطأة مرض السكر، والشيخ الطبلاوى الذى لم تشهد دولة التلاوة مثيلا له من قبل، والشيخ مصطفى غلوش الذى استطاع أن يتخلص تماما من تأثير الشيخ مصطفى إسماعيل، واتخذ لنفسه مدار خاصًا، وصار بذلك واحدا من أقمار دولة التلاوة وحجز لنفسه مكانا مع عباقرة المقرئين. ولكن الصورة بعد ذلك لا تسر عدوًا ولا حبيبًا مقرئون وأخطأوا طريقهم إلى حلبات الملاكمة واشتغلوا بالترتيل، باعتباره أحسن من كافة شيء يغضب الرحمن الرحيم ومقرءون لا يعرفون ألف باء علم القراءات، أحدهم وقد تدخل الأزهر فمنعه من القراءة، مع أنه صاحب صوت جميل ولو كان الشيخ إياه على دارية بفن القراءة، لكان له الآن شأن آخر.. الشيخ إياه ولا داعى لذكر الإسم، تصور أن القراءة بالسبعة هى تكرار الآية سبع مرات، وكل مرة بلون مختلف ولأنه فهم السبعة على هذا النحو، قد خرج بقراءته عن الشكل السليم، وتصرف فى كلام الله بما لا يتفق مع الأصول، ولا يليق، استمع أخيرًا إلى شريط من أشرطته التى يتداولها الناس فى السوق سرًا وبلا رقيب، كان حريصًا على قراءة الآية سبع مرات، باعتبار أن هذه هى القراءات السبع حسب فهمه لها، وليس حسب القواعد والاصول وقد أرعش حاجبى صوته الجميل وهو يقول: «إذ قال إبراهيم، ومرة إذ قال إبراهام، ومرة إذ قال برهيم، ولاداعى لذكر الباقى، لأن ناقل الكفر كافر ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم. والقراءات السبع لفضيلة الشيخ إياه ولغيره من المشايخ الذين استغلا بالقراءة من باب أكل العيش، وباعتبار أن الحنجرة البطالة نجسة، واعمل بخمسة، وحاسب البطال.. أقول لهؤلاء جميعا إن القراءآت السبع علم يجب على المقرئين أن يتعلموه، وكتاب القراءات السبع لمؤلفه أبى بكر أحمد ابن موسى بن العباس بن مجاهد التميمى البغدادى المتوفى سنة ٣٢٤ هجرية. وقد اعتمد القواعد التى قرأ بها سبعة من كبار القراء وهم: أبو عمرو من أهل البصرة، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها

والكسائى من أهل العراق، وابن كثير من أهل مكة، وابن عامر من أهل الشام، ونافع من أهل المدينة، وكل منهم كما وصفه ابن مجاهد فى مقدمة الكتاب المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعانى الكلام، البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار، وفى تعريف الدمياطى البنا لعلم القراءات: علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم فى الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغير ذلك من حيث السماع، وببساطة وبدون حذلقة سأحاول أن أشرح للقارئ باختصار وعلى قدر الطاقة نماذج من التعديل والتبديل والحذف وكما يسمح علم القراءات.

مثلاً: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين، تقرأ (ملك يوم الدين)، ومثلاً: (ويضيق صدرى) يجوز قراءتها برفع يضيق ويجوز نصبها أيضًا ومثلا: (وانظر إلى العظام كيف ننشزها) تقرأ ننشزها بالزاى المعجمة، وتقرأ ننشرها بالراء المهملة، ومثلا (وزادكم فى الخلق بسطة) بالسين المهملة وتقرأ أيضًا (بصطة) بالصاد المهملة،.. و(طلح منضود) وتقرأ أيضًا وطلع بالعين المهملة، (وجاءت سكرة الموت بالحق) تقرأ أيضًا (وجاءت سكرة الحق بالموت)، (وما عملت أيديهم) وتقرأ (وما عملته أيديهم)، (إن الله هو الغنى الحميد) وتقرأ: (إن الله الغنى الحميد).

ومن معالم القراءات أيضًا الإظهار والإدغام والإشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والإمالة والفتح والتحقيق والتسهيل والإبدال والنقل، هذه كلها أوجه اختلاف فى علم القراءات وليس من بينها طبعا بدعة تغيير أسماء الأعلام فننطق مرة إبراهيم ومرة إبراهام، ومرة برهيم، ومرة برهوم، كما فى قراءة الشيخ إياه، ولكن مصيبة هذا الشيخ أرحم من مصيبة غيره، لأن هذا الشيخ لو تعلم أصول القراءات لكسبنا به نجمًا ساطعًا فى دولة القلادة فصوته جميل وقوى، وهو يشبه قيثارة فى يد عازف مبسوط، أما مصيبة الآخرين، فهى مصيبة نسأل الله أن يرفعها عن كاهلنا وأن ينجينا من شرها

فكلهم بلا صوت، وبعضهم بلا دراسة. أستمع إلى أحدهم أحيانا فأدرك فوائد أن يصاب الإنسان بالصمم، والغريب أن أغلبهم مواهب تفتحت بعد الأوان، فبعضهم يدور حول الستين أو فوقها. وأسماؤهم عجيبة كأصواتهم.. الكرداسى والباسوس، والسويس والجاموس والبرقاشى والإسماعيلى، ولعلنا نسمع قريبا عن الأولبى، أعوذ بالله!! وهناك بين المقرئين فى الساحة من كنت أتوقع له خيراً فى قادم الأيام، ولكنهم توقفوا عند الحد الذى وصلوا إليه ولم يتقدموا خطوة واحدة بعد ذلك، كالشيخ أحمد الرزيقى، وهناك من درس علم القراءات ولكن إمكانياته الصوتية ليست على مستوى علمه، فتفرغ فى نقد أصحاب المواهب على طريقة مدرس النحو العربى عندما يتفرغ لنقد الموهوبين من الشعراء كما الأستاذ أحمد شعبان! ثم لا شىء بعد ذلك فى دولة التلاوة إلا حناجر مبحوحة وأصوات مشروخة، وأفتح أذنى على كثير ولكن لا أسمع أحداً.!!!؟؟

والسؤال الآن هل عقمت مصر؟ هل جفت ينابيع المواهب؟ هل ذبلت شجرة التلاوة؟

الجواب لا بالطبع، لأن مصر ولادة والأرض التى أنجبت محمد رفعت وأنجبت من قبل أحمد ندا، ومنصور بدار، وعلى محمود وأنجبت بعدهم الشعشاعى وشعيشع وأحمد سليمان السعدنى وهريدى الشوربجى والسنديونى والبنا والمنشاوى والدروى وعبدالعزيز على فرج، والطوخى والفيومى والبهيمى والنقشبندى والغشنى وعبدالسميع بيومى هذه الأرض الطيبة قادرة على العطاء والإنجاب فى كل وقت وإذا كانت بعض العواصم العربية قد أغراها فترة القحط الحالية التى أصابت دولة التلاوة، فخرجت على الناس بمزاعم عن مدارس بغدادية فى التلاوة ومدارس دمشقيه فهى كلها مزاعم ولا أساس لها من الصحة، وأحياناً أستمع إلى بعض المقرئين فى تلك البلاد، فيزداد إيمانى بالحكمة الشعبية (تشوف بلاوى الناس، تهون عليك بلوتك). والعبد لله - والحمد لله - سمّيع قرآن قديم، وتشرفت بمعرفة الشيخ محمد رفعت قبل موته، وسعدت بصداقة الشيخ الصيفى والشيخ

الشعشاعى والبنا والشيخ محمد سلامة والشيخ مصطفى إسماعيل، وللعبد لله دراسة عن فن تلاوة القرآن صدرت منذ ثلاثين عاما فى كتاب بعنوان (ألحان السماء) ولكن هؤلاء الذين كتبت عنهم فى ألحان السماء مضى أغلبهم إلى رحاب الله، ولكن من نعم الدهر علينا أننا فقدناهم بأجسامهم بينما أصواتهم لاتزال بين أيدينا فى أشرطة بعضها صالح وبعضها لا بأس به.

أرجو أن تستعين أجهزة الإعلام بأصوات العباقرة الذين انتقلوا إلى رحمة الله، فهذا أجدر وأنفع عند الله والناس، أما البقرى والجاموسى والبنى والسويفى والدهشورى والأطفيحى فاتركوهم يحلون عن قفانا ويسرحون فى بلاد الله وخلق الله ورحم الله الشيخ محمد رفعت عمدة المقرئين فى زمانه وفى كل الأزمان، والذى عاش حياته كلها فى مواصلاته، والذى لم يحدد تسعيرة لنفسه كما يفعل كل مشايخ هذه الأيام، والذى جمع فى حياته كلها من قراءة القرآن أقل مما يحصل عليه الشيخ الدهشورى - أى دهشورى - فى ليلة واحدة ويا عمنا الكبير الشيخ محمد رفعت أعتذر لك وأنا أقرأ الفاتحة على روحك!!!.

وهناك آداب عامة ينبغى على قارئ القرآن أن يتحلى بها وأن يتعلمها حتى يستطيع قراءة القرآن قراءة متقنة وكان شيخنا الجليل محمد رفعت يحرص على التحلى بها كل الحرص، كيف لا؟ وهو سيد قراء العصر، وقد جمعها علماء القرآن فيما يأتى: -

١ - أن يكون على طهارة من الحدثين الأصغر والأكبر، لأن قراءة القرآن أفضل الأذكار، وكان ﷺ لا يحب أن يذكر الله إلا على طهارة، فإذا قرأ وهو محدث حدثًا أصغر جاز. بإجماع المسلمين، ولكنه يكون تاركًا للأفضل، فقد ثبت أنه ﷺ لم يكن يمنعه من قراءة القرآن إلا الحدث الأكبر، فقد كان يقرأ متوضئًا وغير متوضئ لبيان الجواز، وأما الجُنب والحائض فيحرم عليهما قراءة القرآن، سواء كان آية أم أقل منها ولو كلمة. نعم يجوز لهما النظر فى المصحف؛ وإمرار القرآن على القلب.

٢ ـ أن يتطيب ـ يستعمل الطيب ـ ويلبس ما يتجمل به بين الناس من الثياب، فإن مُناجٍ ربه بكلامه.

قال الزركشى: «لكونه بالتلاوة بين يد المنعم، فإن التالى للكلام بمنزلة المكالم لذى الكلام».

وقد ثبت أن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه كان يلبس الثياب الحسنة النظيفة ويدهن بالطيب إذا قام إلى الصلاة أو قرأ القرآن.

٣ ـ إذا أراد القراءة فلينظف فاه بالسواك تكريمًا للتلاوة، قال ﷺ: «نظفوا أفواهكم فإنها مجارى القرآن» أخرجه البزار، وقال يزيد بن أبى مالك: «إن أفواهكم طريق من طرق القرآن، فطهروها ونظفوها ما استطعتم». قال العلماء: إنما ندب للقارئ استعمال السواك قبل القراءة تطهيرًا لفمه لقصده إلى التلفظ بحروف القرآن، وهو راجع إلى تعظيم القرآن.

وإذا كان فمه نجسًا بدم أو غيره فيكره له قراءة القرآن قبل غسله، وقيل تحرم القراءة حينئذ كمس المصحف باليد النجسة.

وإذا كان قد أكل ثومًا أو بصلا قبل القراءة، فينبغى له أن يزيل رائحته ولا يقرأ إلا إذا زالت الرائحة بالكلية. قال قتادة»:

(ما أكلت الثوم منذ قرأت القرآن).

٤ ـ أن تكون القراءة فى مكان نظيف مختار، ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة فى المسجد لكونه جامعا للنظافة وشرف البقعة، ومحصلا لفضيلة أخرى وهى الاعتكاف، فإنه ينبغى لكل جالس فى المسجد أن ينوى الاعتكاف ليحصل له ثوابه.

وأما القراءة فى الطريق، فالمختار جوازها إذا تمكن القارئ من ضبط الحروف والتدبر فى المعنى، وإلا كرهت. وروى أبو داود عن أبى الدرداء أنه كان يقرأ فى الطريق، وكان مالك يكره القراءة فى الطريق مطلقًا.

٥ ـ أن يستقبل القبلة فى القراءة، فقد جاء فى الحديث «خير المجالس ما استقبل به القبلة» رواه الطبرانى. ويجلس خاشعا بسكينة ووقار، مطرق الرأس، والأكمل أن يكون جلوسه حال القراءة كجلوسه حال الصلاة، فلا يجلس متكئًا، ولا مستندًا على شيء كوسادة وحائط. إلا لعذر كمرض، ولا يضع رجله على الأخرى.

ولو قرأ قائمًا أو مضطجعًا أو فى فراشة أو غير ذلك من الأحوال جاز، وله أجر ولكن دون الأول. قال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قيامًا وقعودا وعلى جنوبهم﴾ ـ الآية. وجاء أنه ﷺ كان يقرأ القرآن ورأسه فى حجر عائشة رضى الله عنها. وعن أبى موسى الأشعرى قال: إنى أقرأ القرآن فى صلاتى وأقرأ على فراشى. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: إى لأقرأ حزبى من القرآن وأنا مضطجعة على السرير.

٦ ـ إذا أراد الشروع فى القراءة استعاذ فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.لقوله تعالى: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم). أى إذا أردت القراءة فاستعذ. والتعوذ مستحب وليس بواجب، وهو مستحب لكل قارئ، سواء كان فى الصلاة أم خارجها، وسواء ابتداء القراءة من أول السورة أم من وسطها، ويقول بعد تعوذه «بسم الله الرحمن الرحيم». فإن ابتداء قراءته من أول السورة وجب الإتيان بالبسملة عند جميع القراء، إلا أول براءة فلا يأتى بها إجماعا. وأما إن ابتداء من وسط السورة فإنه مخير بين الإتيان بالبسملة وتركها.

٧ ـ إذا شرع فى القراءة فليقرأ بتفكير وتدبر، وروية وإمعان، حتى يلين قلبه، وتخشع نفسه، وتستولى على مشاعره وأحاسيسه هيبة الله وخشيته، وجبروته وسطوته، وجلاله وسلطانه، وقهره وبطشه، فيكون لذلك أثره فى جوارحه، ونتيجته فى سلوكه.

وعلى القارئ أن يستحضر فى ذهنه أنه بين يدى مولاه يناجيه بتلاوة كلامه، ويتقرب إليه بقراءة خطابه.

وعليه أن يشغل قلبه فى معنى ما يلفظ به، فيعرف ما ترمى إليه الآيات، ويتأمل أوامرها وزواجرها، ثم يعرض عمله عليها فإن كان على شىء من التقصير أقبل بكل جوارحه على ربه، واستغفر من ذنبه، وإن كان سالكا سبيل الجادة حمد الله تعالى وسأله دوام نعمة التوفيق والتسديد، والتدبر هو المقصود الأعظم من القراءة، والمطلوب الأهم فى التلاوة، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب. قال تعالى ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ وقال ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)﴾ [ص: ٢٩].

قال العارف بالله سيدى إبراهيم الخواص: دواءُ القلب فى خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

ويستحب للقارئ أن يردد ما يشاء من الآيات بقصد التأمل فى معناها، والتدبر فى مغزاها، فقد ثبت عنه ﷺ أنه قام بآية يرددها حتى الصباح وهى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)﴾ [المائدة ١١٨] رواه النسائى وابن ماجه.

وعن تميم الدارى أنه كرر هذه الآية حتى أصبح، وهى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾ [الجاثية: ٢١].

وعن سعيد بن جبير أنه أخذ يكرر هذه الآية فى الصلاة بضعًا وعشرين مرة وهى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)﴾ [البقرة ٢٨١].

وردد الحسن البصرى فى الصلاة (وإن تعُدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ مرارا فسئل فى ذلك فقال: أرى فيها معتبرا، ما أرفع طرفا ولا أراه إلا وقع على نعمة، وما لا يعلم من نعم الله تعالى أكثر، وروى ترديد الآيات وعن كثير من السلف.

ويستحب البكاء عند تلاوة القرآن، وهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين، قال ﷺ: ﴿اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا﴾. أخرجه ابن ماجه.

وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلاً رقيق القلب إذا قرأ القرآن لا يملك عينيه من البكاء، وقد ذكرنا حديث ابن مسعود فى قراءته على رسول الله وبكاء رسول الله ﷺ عند قراءته.

وعن عمر بن الخطاب أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وسمعوا بكاءه من وراء الصفوف.

وقرأ عبدالله بن عمر (ويل للمطففين) فلما أتى على قوله: (يوم يقوم الناس لرب العالمين) بكى حتى انقطع عن قراءة ما بعدها.

وعن الحسن بن صالح أنه قام ليلة فقرأ (عم يتساءون) فما أن قرأ منها بضع آيات حتى غُشى عليه، ثم عاد فعاد إليها فغشى على، فلم يختما حتى طلع الفجر.

ومر النبى ﷺ بشاب يقرأ: (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) فوقف واقشعر وخنقته العبرة، ثم أخذ يبكى ويقول: وَيْحى من يوم تنشق فيه السماء: فقال له الرسول ﷺ: (والذى نفسى بيده لقد بكت السماء بكائك).

والآثار فى هذا كثيرة.

قال الغزالى: البكاء مستحب مع القراءة، والطريق فى تحصيله أن يحضر قلبه الحزن، بأن يتأمل ما فى القرآن من الوعيد والتهديد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى ذلك فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص، فليبك على فقد ذلك منه، فإنه من أعظم المصائب.

٨ ـ إذا مر بآية وعد ورحمة وقف عندها، وتأمل معناها، وفرح بما وعده الله منها، واستبشر بذلك، ورغب إلى الله تعالى، وسأله من فضله الجنة.

وإذا مر بآية عذاب استعاذ بالله تعالى من الشر، واستجار به من العذاب، وأشفق على نفسه.

وإذا مر بآية استغفار استغفر من ذنبه، أو بآية توبة رجع إلى ربه، أو بآية تنزيه لله نزه وسبح. أو بآية دعاء طلب وتضرع، أو بآية فيها ذكر الرسول ﷺ ، ويتأكد ذلك عند قراءة (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما).

وإذا مر بآية سجدة سجد إن كان متوضئًا ثم استأنف قراءته. فعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة، فمضى ثم افتتح آل عمران فقرأها وكان يقرأ ترسلا - بتؤدة وتأن - وإذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ. رواه مسلم.

قال العلماء: ويستحب هذا السؤال والاستعاذة والتسبيح لكل قارئ سواء كان فى الصلاة أم خارجها.

٩ - أن يجتنب فى حال قراءته ما ينافى احترام القرآن، ويخل بقدسيته، من الضحك، واللهو، واللغو، ومن الكلام لغير حاجة، فإن فى ذلك استخفافًا بالقرآن، كما لو قطع مكالمة أحد وحدث غيره ممن هو دونه، فإن فيه استخفافًا بذلك الإنسان، ولأن فى إتباع القرآن بعضه بعضا بالقراءة من الرونق والبهجة، ماليس فى تقطيعه، ففى التقطيع سلب زينة القرآن، فلذلك كان مكروها فإن كان ثم حاجة للكلام بأن رتج على القارئ ونسى بقية الآية يقرأ فيها فلا بأس من سؤال من بجواره عن بقية الآية، أو أراد الوقف على كلمة ولا يدرى أيجوز الوقف عليها أم لا فلا مانع من السؤال عن حكم الوقف عليها.

ويجتنب أيضًا العبث باليد وغيرها، والنظر إلى ما يُلهى ويبدد الذهن، وأقبح من هذا كله النظر إلى ما لا يحل النظر إليه.

١٠ ـ إذا تثاءب يستحب أن يمسك عن القراءة لأنه مخاطب ربه ومناج له، والتثاؤب من الشيطان، قال مجاهد: «إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة إجلالاً للقرآن، حتى يذهب تثاؤبك».

وإذا عطس فى حال القراءة فيستحب أن يقول: الحمد لله، ولو عطس غيره وهو يقرأ فى غير الصلاة، وقال الحمد لله، يُستحب للقارئ أن يُشمته ويقول: له يرحمك الله. وهذا إذا لم يكن فى المجلس من يشمته غير القارئ فإذا كان فى المجلس من يشمته فالأفضل وصل القراءة وترك التشميت.

١١ ـ الأفضل أن يقرأ على ترتيب المصحف، فإذا انتهى من سورة النحل مثلا يستحب أن يقرأ سورة الإسراء، وهكذا سواءٌ قرأ فى الصلاة أم فى غيرها. ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا لحكمة، فينبغى أن يحافظ على هذا الترتيب فى قراءته، إلا فيما ورد الشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة، فإنه يقرأ فى الركعة الأولى سورة السجدة، وفى الثانية «هل أتى على الإنسان» وصلاة العيد فإنه يقرأ فى الركعة الأولى «ق» وفى الثانية «القمر» أو يقرأ فى الأولى «سبح اسم ربك الأعلى» وفى الثانية «الغاشية»، وهكذا. فلو خالف ترتيب المصحف فقرأ سورة لا تلى الأولى أو قرأ سورة ثم قرأ ما قبلها جاز لكن ترك الأفضل..

فقد جاء عن عمر رضى الله عنه، أنه قرأ فى الركعة الأولى من الصبح الكهف، وفى الثانية يوسف. وقرأ النبى ﷺ فى الركعة الأولى النساء، وفى الثانية آل عمران لبيان الجواز، وهذا الحكم بالنسبة للسور، أما بالنسبة للآيات فقد ذكرنا فى المبحث السادس أن مثل ذلك لا يجوز فارجع إليه.

١٢ ـ قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب، لأن النظر فى المصحف عبادة مطلوبة، فتجتمع القراءة والنظر. وروى عنه ﷺ أنه قال: (أعطوا أعينكم حظها فى العبادة): قالوا: وما حظها من العبادة؟ قال: «النظر فى المصحف والتفكر فيه، والاعتبار عند عجائبه» أخرجه البيهقى وغيره، وثبت أن كثيرًا من الصحابة كانوا يؤثرون القراءة فى المصحف، ويكرهون أن يمر يوم دون أن ينظروا فى المصحف.

قال القرطبى: «فائدة القراءة من الحفظ، قوة الحفظ، وثبات الذكر وهى أمكن للتفكير فيه، وفائدة القراءة فى المصحف التثبت حتى لا يخلط بزيادة حرف، ولا إسقاط حرف، أو تقديم آية أو تأخيرها. وكان أبو موسى يقول: «إنى لأستحى ألا أنظر كل يوم فى عهد ربى مرة».

وقال الزركشى فى البرهان، بعد أن حكى القول الأول وهو أن القراءة فى المصحف أفضل.

«والقول الثانى: أن القراءة على ظهر القلب أفضل، واختاره عز الدين بن عبدالسلام، فقال فى أماليه: قيل القراءة فى المصحف أفضل لأنه يجمع فعل الجارحتين، وهى اللسان والعين، والأجر على قدر المشقة. وهذا باطل، لأن المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى: ﴿ليدبروا آياته﴾ والعادة تشهد أن النظر فى المصحف يخل بهذا المقصود فكان مرجوحاً.

«والثالث: التفصيل، وهو ما حكاه النووى حيث قال فى التبيان:

«ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص فتختار القراءة فى المصحف لمن استوى خشوعه وتدبره، فى حال القراءة فى المصحف وعن ظهر القلب، وتختار القراءة عن ظهر القلب لمن يكمل بذلك خشوعه، ويزيد على خشوعه وتدبره لو قرأ فى المصحف لكان هذا قولاً حسناً، والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل». انتهى.

١٣ - إذا ابتدأ من وسط السورة فالأفضل أن يبتدئ من أول القصة، أو من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض. وإذا أراد الوقف على غير آخر السورة، فالأحسن أن يقف عندما تنتهى القصة أو ينتهى الكلام المرتبط بعضه ببعض ولا يتقيد بالأجزاء والأحزاب والأعشار. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إن الله كان غفورا رحيما﴾ الذى بعده ﴿والمحصنات من النساء﴾ وقوله تعالى: ﴿وأن الله لا يهدى كيد الخائنين﴾ الذى يليه ﴿وما أبرئ نفسى﴾ وقوله تعالى: ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ الذى بعده ﴿فما كان جواب قومه﴾ فى سورة النمل. وقوله تعالى: (وكان ذلك على الله يسير) الذى يليه (ومن يقنت

منكن لله ورسوله) وقوله تعالى ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)﴾ [البقرة ٢٠٢] الذى بعده ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ إلى غير ذلك.

فلا يحسن أن يختم على قوله ﴿إن الله كان غفورًا رحيما﴾ ولا أن يبتدئ بقوله ﴿والمحصنات﴾ ولا أن يختم عند ﴿الخائنين﴾ ولا يبتدئ بقوله (وما أبرئ نفسى﴾ وهكذا لشدة التعلق والارتباط، بل يختم عند قوله (وساء سبيلا) ويبدأ بقوله ﴿حرمت عليكم﴾ أو يختم على ﴿إن الله كان عليما حكيما﴾ ويبتدئ بقوله ﴿ومن لم يستطع منكم طولا﴾ وكذلك ينتهى عند قوله ﴿إن ربى لغفور رحيم﴾ ثم يبتدئ ـ إذا أراد ـ بقوله ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف ٥٤] وهكذا.

فإن الوقف على آخر الجزء أو آخر الحزب، والابتداء بأول الجزء أو أول الحزب، غير واجب ولا مستحسن شرعًا، إلا حيث يكون الكلام تامًا يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده، ولهذا المعنى قال العلماء: قراءة سورة قصيرة بكمالها أفضل من قراءة بعض سورة طويلة بقدر القصيرة، فإنه قد يخفى الارتباط على بعض الناس فى بعض الأحيان.

قال العلماء: وإذا ابتدأ بقراءة أحد القراء، فينبغى أن يستمر على القراءة بها ما دام الكلام مرتبطًا، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أخرى. والأولى دوامه على القراءة الأولى، ما دام فى هذا المجلس والله أعلم.

١٤ ـ إذا قرأ ﴿والتين والزيتون﴾ وختمها استحب له أن يقول عقب ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، وإذا قرأ سورة القيامة وختمها، فليقل استحسانا: بل هو القادر، وإذا ختم تبارك الذى بيده الملك فليقل: الله رب العالمين، وإذا قرأ سورة الرحمن، فليقل عقب قراءة كل آية من هذه الآيات ﴿فبأى آلاء ربكما تُكذبان﴾: ولا بشىء من نعمك نكذب، ربنا فلك الحمد. وإذا قرأ (فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل: آمنت بالله. وإذا قرأ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ فليقل ثلاث مرات:

سبحان ربى الأعلى. وإذا قرأ ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ فليقل: اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. وإذا قرأ ﴿وقل رب زدنى علما﴾ قال: رب زدنى علما. وإذا ختم سورة البقرة قال آمين.

وكل هذا على سبيل الاستحباب، وينبغى أن يقول هذا الذى ذكرناه بصوت منخفض عن صوت القراءة ليتميز القرآن عما ليس بقرآن، والله أعلم.

ويجب على قارئ القرآن أن يكون ملما باللغة العربية، اللغة العظيمة، لغة القرآن الكريم والحديث الشريف «لغة قارب عمرها على ألفى عام أو يزيد، لغة استطاعة أن تستوعب معانى القرآن الكريم وتواكب تطورات العصور المختلفة التى طرأت على حضارة الإسلام.

فيجب على قارئ القرآن ومَنْ صناعته القرآن الكريم أن يكون حاذقا لعلوم العربية، نحوًا حتى يكون عالما بمواضع الكلمات والجمل، وصرفا حتى يكون على علم بما طرأ وما يطرأ من تغييرات على بنية الكلمات ولماذا استعمل القرآن الكريم تلكم اللفظة دون غيرها، وبلاغة حتى يكون على معرفة بعلوم البلاغة العربية من معانٍ وبيان وبديع ، ولماذا استخدم القرآن هذا الأسلوب دون غيره وهذه العبارة دون غيرها!!

بل ويجب علينا ـ نحن العرب ـ أن نعتز ونفخر بتلكم اللغة العظيمة التى صمدت وعاشت مئات السنين، وصنعت حضارة مازالت باقية على مر الزمان... فاللغة قِوام الوجود، فبوجودها يكون الوجود وبانحطاطها ينحط الوجود ـ كما هو الحال فى المجتمعات العربية ـ، فهاته الأكاديمية الفرنسية تصدر بيانا تقول فيه ـ إن اللغة الفرنسية هى عرض وشرف الشعب الفرنسى ولا يُسمح بخطاب يقرأ بغير اللغة الفرنسية .. وقد أصدرت فرنسا قانونا يجرم كل مَنْ يستخدم لفظة غير فرنسية ولها مقابل فرنسى فى أى مكاتبة رسمية ويعاقب على ذلك بالحبس ثلاثة أشهر... وقد أوضحت ذلك فى مقال صحفى لى صدر بتاريخ ٢ / ٥ / ٢٠١٢، ٩ / ٥ / ٢٠١٢ ـ بعنوان اللغة العربية باقية على الزمان ـ بجريدة صوت الأزهر.

وأنا أتعجب كيف يقرأ القرآن قارئ غير مُلم باللغة العربية؟؟ وقد نزل القرآن العظيم باللغة العربية وليس بغيرها قال تعالى: «بلسان عربى مبين» وقال تعالى: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم..»، بل إننى أرى أن تعلم اللغة العربية بعلومها وآدابها من أخص خصائص قارئ القرآن. من هنا تستطيع أن تحكم على القارئ، هل هو قارئ مجيد؟ عالم بالعربية وعلومها والتجويد والترتيل والقواعد الحاكمة لهما والقراءات بأوجهها المختلفة؟ أم أنه قارئ يردد ما يقول دونما فهم أو تمييز أو خشوع، وذلك لأنه كلام يخرج من الفم فقط وليس من العقل والقلب والروح!!

وقد كان عالمنا الجليل عظيما فى هذا الباب، فقد كان أستاذًا قديرًا فى اللغة العربية، وقد تعلمت منه الكثير والكثير ما لم أتعلمه من قارئ آخر أو كتاب أو جامعة أو مدرسة، وصدق الأستاذ الصحفى أنيس منصور - يرحمه الله - حينما قال ثلاثة علمونى اللغة العربية وكان من بينهم الشيخ العالم الجليل العبقرى أستاذ اللغة العربية محمد رفعت..

فالشيخ رفعت عندما نسمعه يقرأ فكأنما نسمع صوتا يدعونا إلى الإيمان وإلى الإحسان وإلى التآلف وإلى التعاون وإلى التعرف على تلكم الحضارة العربية الإسلامية - بكل ما فيها من معانى العظمة والرفعة والعلو والتمييز - ذكرت ذلك فى فصل نماذج ممن أسلموا على آثار صوت الشيخ رفعت - ويدعوك للتعرف على جمال وعظمة اللغة العربية بأساليبها المشوقة وأسلوب الشيخ الجليل وأدائه للقرآن الكريم.. لقد كان ماهرًا مجيدًا حاذقًا للغة العربية وآدابها وأساليبها، لهذا كان صوته طبعة ونسخة من تلكم اللغة العظيمة التى ترجمها الشيخ الجليل فى تلاواته - يرحمه الله -

يقول سعادة الأستاذ الدكتور العلامة - محمد عبدالرحمن مرحبا - الأستاذ بجامعة بيروت العربية - «فاللغة العربية التى كانت أداة التعبير لحفنة من الناس يعيشون فى أرض قفر وواد غير ذى زرع، قد أصبحت لغة الملايين فى مدة قصيرة جدًا لاتزيد عن عمر إنسان، وهى فترة ليست شيئًا مذكورًا فى حساب التاريخ. فقد نشأت طبقة من علماء الدين العرب أولاً ثم

من الأعاجم الذين تعلموا العربية وحذقوها، واتسع الأمر بعد ذلك. فلم تقتصر العربية على أن تكون لغة الثقافة الدينية، بل شملت أنواع الثقافات الأخرى، واستحالت بسرعة خاطفة من لغة السيف والنخل والبعير إلى لغة العلم والفلسفة والحضارة. وبمضى الزمن تكون ذلك الإنتاج الضخم فى ميادين الفكر والعلوم الإسلامية واللغة والأدب والفلسفة والتصوف والتاريخ والطب والعلوم، اشترك فى تكوينه العرب الأقحاح وأبناء البلاد التى دانت بالإسلام والتى غدت جزءًا من الأمة العربية، حتى ولو لم يكونوا عربًا فى أنسابهم ولغاتهم. فالعروبة ليست هى عروبة الدم والعنصر، وإنما هى عروبة البيئة والمجتمع والمناخ الفكرى والحضارى الذى كان ينتمى إليه العلماء والفلاسفة والمفكرين العرب فى عصور ازدهار الإسلام وحضارة الإسلام.

ويقول أيضًا: لقد استخدم الأقباط والبربر والفرس وبلاد الشام اللغة العربية، التى انهار بها الحاجز الشديد بين العرب ورعاياهم، بعد أن رأت الشعوب فى اعتناق الإسلام الطزيق إلى السيادة وإلى الدخول فى صفوف السادة، لقد تلاشت القوميات وأصبح الإنسان يعد نفسه عربينا سواء كان فارسيا أم شاميًا أم مصريًا.. وكان ذلك أهم حدث فى تاريخ الحضارة..

وبعد تلك الوحدة اللغوية، تم جعل الدراسات الإسلامية وثمارها من خراسان إلى الأندلس ملكًا مشاعًا بين العالم الإسلامى وجميع أصحاب الديانات الأخرى التى تعيش معا فى هذه الآفاق الواسعة. وبهذا التوحيد اللغوى والتفاعل الحضارى بين الأمم والشعوب التى اعتنقت الإسلام أو نشأت فى ظلها؟ من أجوائه، واستمتعت بالفرص والإمكانات الفنية الخصبة التى أتاحها لرعاياه من جميع الأجناس والأديان والمذاهب والمعتقدات، تكشفت مواهب، وتفتحت مدارك وتفجرت طاقات ونشطت عقول وأذهان لا يحصيها عد وتفوق كل خيال.

صوته والسُلَّم الموسيقى العربى

تحدث الكثير من العلماء والأساتذة والمقرئين والمطربين عن صوت الشيخ محمد رفعت ذلك الصوت الذى أثر فى قلوب المسلمين وغير المسلمين.

ولنبدأ بأقوال العلماء.. إنه فى حوار إذاعى مع الأستاذ الدكتور - يوسف شوقى - الأستاذ بكلية العلوم والمشرف على مشروع قياس السُلّم الموسيقى العربى بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا - دار هذا الحوار وكان موضوعه كيفية المقامات التى يتلو منها المرحوم الشيخ محمد رفعت.

قال الدكتور: (هو الأستاذ الشيخ محمد رفعت، رحمه الله.. إحنا بنسمعه من هذه التسجيلات.. وهى تسجيلات آخر أيامه.. وإنما الذى أستمع إليه من قبل أن يسجل يجد أن فيه ظاهرة غريبة جداً فى هذا الصوت وهنا فى هذه الحالة المرجع إلى الذاكرة أن الشيخ رفعت وهو فى آخر أيامه التى سجلت، وكان مريضاً، مع هذا صوته والكلام هنا، بقه مش للأذن البشرية ولكن للآلات لآلات القياس العلمى وعلى الرغم من هذه الظواهر المرضية التى كانت ممكن جداً أن تؤثر على صوت أى إنسان فتحرمه من الكثير من خواصه النادرة، كان وما زال هذا الصوت، ذا صفات عالية لدرجة أن الفروق بين صوت الشيخ محمد رفعت وبين الأصوات الأخرى من المغنيين والمقرئين - مش بس المقرئين - والمغنيين أيضاً، فروق كبيرة جداً، واحنا وضعناه فى محاذاة الأصوات الثلاثة العليا من حيث القيمة الفنية من الأصوات التى استمع إليها الناس سواء غناء أو قراءة - وهى أصوات: أم كلثوم والشيخ يوسف المنيلاوى والشيخ محمد رفعت - كان الثلاثة دول



الشيخ محمد رفعت يرتل القرآن

على مدى سبعين سنة من الاستماع إلى النغم هى قمة المميزات الصوتية التى أى إنسان يأمل، مش إنه يعنى يجاريها، لا يأمل أن يستمع إليها فى يوم من الأيام.

لو سيبنا المكن يتكلم: تلاقى الشيخ رفعت صوته له مميزات واضحة جداً: يبدأ القارئ فى قراءة القرآن الكريم تقليدياً من مقام البياتى ثم يتدرج إلى المقامات الأخرى، كما يوحى إليه معنى الآيات الكريمة التى يرتلها، وكذلك تعوده على التحرك النغمى عند التلاوة - وكثيرًا ما يعجز القارئ عن أن يعود إلى ذات الطبقة التى بدأ منها عندما، يقول «صدق الله العظيم» إنما ليس الشيخ رفعت.

كان حريصاً على هذا، «يعنى لو تصورنا» أن من باب الخطأ المحتمل أن يكون فيه مثلاً فرق ١ من ١٠٠٠٠من الناحية الحسابية، وهذا جائز أن يحدث من إنسان يستخدم صوته وبدون مصاحبة أى آلات، وهذا الخطأ الواحد من عشرة آلاف، ما كانش موجود فى صوت الشيخ رفعت وكان تردد النغمة التى يبدأ منها هو فى ذاته، وبدون حيدة، وبدون أى تأرجح فى نهاية التلاوة عندما يقول «صدق الله العظيم».

المذيع: من الناحية العلمية.. إذا حبينا نعرف القراءات وارتباطها بالمقامات.. هل هناك علاقة ما؟

الدكتور: هذا الموضوع يجب أن يبحث.. وهذا كان من بعض المشروعات المخططة على ورق لإنجازها من خلال دراسة تلاوة القرآن الكريم من صوت كبار

القراء.. وبمناسبة كبار القراء.. إن من الضرورى أن نعرف أن الشيخ رفعت من بين اثنين اللى كانوا بيشكلوا ظاهرة فنية خطيرة جداً.. ليس فقط فى قراءة القرآن الكريم.. ولكن فى الموسيقى العربية.. على مذهبها فى الأداء الموسيقى فى تلاوة القرآن الكريم.. كانوا بيكملوا بعض بحيث يكونوا ملامح الفترة اللى عاشوا فيها والتى لابد أن تدرس دراسة علمية تقنية، علشان الرابط بين تسلسل المقامات فى القراءة.. وأصول القراءات.. وتجويد القرآن الكريم. أنا بقول هذا لأن أى كلام عفوى أو اجتهادى فى مثل هذا الموضوع يكون على درجة من الخطورة.. لا تخدم الناحية العلمية أو الدينية بالنسبة لتلاوة القرآن الكريم.

المذيع: ما مدى الاستفادة من صوت الشيخ محمد رفعت فى بحث قياس السلم الموسيقى العربى؟

الدكتور: الموسيقى العربية فى حماية القرآن الكريم وهذا أمر مفروغ منه تماماً كاللغة العربية.. وما دام هناك قرآن كريم يقرأ بإذن الله.. فاللغة العربية فى حصانة شديدة.. مثلها كمثل الموسيقى العربية وبالعكس.. وإذا كان هناك بحث فى السلم الموسيقى العربى الذى يستمع إليه الناس ويطربون عندما يكون الأمر غناء ويخشعون عندما يكون الأمر قراءة فلا يمكن أن يستوفى البحث إلا إذا شمل صوت القراء كما يشمل صوت المغنيين.. وحاجة غريبة.. إن أحسن من غنى كان قد بدأ حياته فى تلاوة القرآن الكريم (أم كلثوم والمنيلاوى) قمتان يزاملان الشيخ رفعت فى قمة الأداء الموسيقى العربى.. فمن الناحية الفنية.. إحنا بنأخذ تسجيلات ـ وبصرف النظر عن النص المُغنَّى ـ إحنا بنأخذ الأنغام ونقيسها.. وكان صوت الشيخ رفعت مطواعاً شديد الطواعية.. ليه؟؛ لأنه كان سخيًا فى المدود.. عنده سخاء شديد فى مدود الكلمات وكان صوته ثابت التردد والذبذبة من أول حرف المد إلى آخره.. لا يتأرجح مهما اختلفت الطبقة سواء كان من قرار صوته أو من جواباته العليا.. ما سمعوش كل النطاق الصوتى الذى كان يتمتع به صوت الشيخ محمد رفعت للأسف.. وكنا نأمل أن يكون تحت أيدينا تسجيلات لحياته الأولى. من الحاجات اللى لاحظناها تأثير الشيخ رفعت فى ألحان المعاصرين له من الملحنين يعنى مثلاً هناك تقليد فى الأداء أن يكون فى

مقام "الحُجَاز" أو من مقام "الراست".. والشيخ رفعت كان جريئاً.. فيه هنا –فى الإذاعة " –أذان" من مقام "السيكا".. فكان فيه فرصة نادرة إن إحنا نقيس مقام السيكا من الأذان لنقارنها بمقومات المقامات الأخرى فى الآذان نفسه.. يعنى كان بيعطينا مواد قابلة للمقارنة ومع غير ما هو مألوف من مقامات التجويد أو التلاوة.

المذيع: يعتبر صوت الشيخ رفعت أساس البحث فى السلم الموسيقى العربى؟

الدكتور: بكل تأكيد.. مش هو بس وعدد كبير من المقرئين المسجلين على أسطوانات والمسجلين على شرائط فى الإذاعة.. واللى احنا كنا.. بنتتبعهم فى المساجد من بعض غير المشاهير من القراء اللى احنا نرى أنهم يجب أن يدخلوا فى مثل هذا البحث حتى تكون الصورة شاملة.. وما يكونش القياس متجه اتجاهاً إلى نوع معين.. ولكن علشان تتوافر صفة التعميم.

المذيع: هل هناك معيار معين؟

الدكتور: المعيار المعين هنا معيار آلى؛ لأن الأذن البشرية لا تدخل فى تقييم الأصوات.. أصوات التجويد أو التلاوة أو الغناء.. المكن هو اللى بيقول.. نحن لا ننظر بالعين ولا نستطيع أن نسمع بالأذن.. إنما الذى يقيس هذه الأصوات آلات إلكترونية.. والذى يقرأ قراءة رقمية أيضاً - عدادات إلكترونية - لعل العين تخطئ والمسائل دى بتدخل فى بروجرام فى الكمبيوتر.. فى الآلة الحاسبة والآلة الحاسبة تصنف هذه الأرقام وتطلع هذه الإجابة.. وثبت من هذه الأرقام أن صوت الشيخ رفعت يحتوى على مكونات النغم الموسيقى العربى التطبيقى.. منضبطة أيضاً انضباطاً طبيعياً.. يصل واحد إلى مائة ألف من احتمال الخطأ المحتمل فى أى نغمة تصدر عن الشيخ رفعت.. واحد إلى مائة ألف.. وهذا لا يمكن لأى أذن بشرية أن تدركه أو تميزه.. فاحنا بنسميه حقيقة الصوت الكامل..)

لقد اجتمع فى صوت الشيخ محمد رفعت كل مميزات الحنجرة العربية من الأنغام والأوتار الصوتية الخلاقة، فضلاً عن استيعابه المذهل لمعانى القرآن

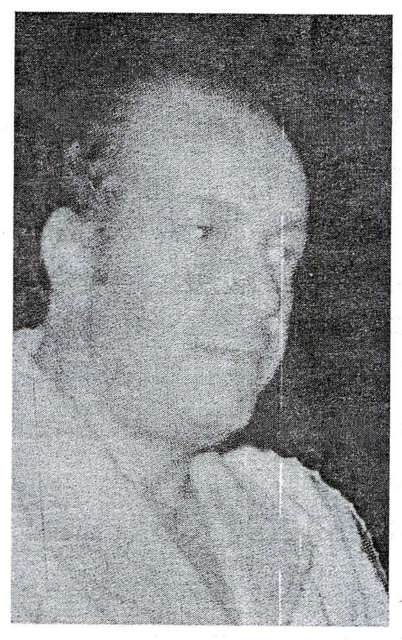
الكريم وتمثيله إياها للناس كأنما يلمسونها بالأيدى ويرونها بالأعين فلا تحس فى نبرات صوته شيئاً من الخلخلة أو الخروج عن مجرى النغم، لكنك تجده دائماً متحكماً فى صوته يبتدئ حيث يريد ويقف حيث يرغب فيهز وجدان السامع ويثير فى نفسه كوامن الإيمان، لقد أثبت بترتيله الساحر موسيقية القرآن الكريم.

فشدوه الفريد فى تسلسله وامتداده يريك من فنون البلاغة أعاجيب فيظهر لك انسجام الألفاظ وتآلف المعانى وقوة التصوير وروعة الإيمان فى بساطة معجزة، والواقع أن الشيخ رفعت لم يكن يفوقه قارئ للقرآن كان يقرأ من جميع النغمات والطبقات وبالتدرج على الأصول المرعية فى الأداء فكان يبدأ بـ: (البياتى فالحجاز ثم النهاوند ثم الراست ثم السيكا والرمل والجُهاركاه وما إلى ذلك من إبداعات فى ترتيل جميل وموسيقية رائعة، وبهذا الأداء الرائع والصوت الربانى الجميل دفع الكثيرين لأن يدرسوا الإسلام).

والغريب أن الشيخ رفعت كان يغنى القصائد فى رخامة ساخرة فغنى قصيدة (أراك عصى الدمع - بحق أهواك يا من أنت عمرى - وحقك أنت المنى والطلب)، وقد استمع إليه الناس فى هذه القصائد وهم مذهولون وفى طرب بالغ من هذا الصوت الذى يجمع ما بين قراءة القرآن والمغنى.

وقد تحدث الشاعر كمال النجمى تحت عنوان (أعظم صوت أحيا ليالى رمضان) فقال: أردت أن أكتب عن قراء القرآن الكريم - فى شهر رمضان المبارك فوجدت أن الشيخ رفعت - أعظم القارئين جميعاً - موضوع مستقل فأفردت له هذه السطور المتواضعة التى لا تفى إلا بقليل من حقه كصوت عظيم وفنان عبقرى وقارئ لم يعرف له فن التلاوة مثيلاً: يا سامعى القرآن الكريم أنصتوا تفوزوا إن شاء الله بالثواب والمحبة والرحمة التى وعد الله بها عباده الصالحين السامعين المنصتين إلى كتابه العزيز، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)﴾[الأعراف: ٢٠٤]

بهذه العبارة أو بعبارة مثلها رفع شيخ مكفوف صغير السن صوته الجهورى وقد جلس باطمئنان وسعادة وحبور، يترقب سماع الشيخ رفعت فى مسجد فاضل باشا بدرب الجماميز قبل صلاة إحدى الجمع.


كمال النجمى رئيس الكواكب والهلال

منذ أربعة وعشرين عاماً تقريباً، كنت فى ذلك الصباح الشتوى اللطيف من يوم الجمعة أرى الفنان العظيم الشيخ رفعت لأول مرة فى حياتى، وقد جئت القاهرة من قريتى فى الصعيد منذ يومين فقط واستمعت إلى أم كلثوم فى الليلة المنصرمة (ليلة الجمعة) أو ليلة الخميس كما يسمونها بمسرح حديقة الأزبكية تغنى حتى الساعة الثانية صباحاً بروائعها القديمة التى كانت تملأ الأسماع فى ذلك العهد كما تملأ روائعها الجديدة الأسماع الآن.

وفى صباح الجمعة صحوت مبكراً ولم يزل صوت أم كلثوم يخالط وجدانى فاتخذت طريقى مشياً على القدمين، قروياً وغريباً يسأل الناس: أين مسجد فاضل باشا ووصلت إليه بعد عشرات الأسئلة منى وعشرات الأجوبة من الناس.

وجلست على مقربة من الشيخ رفعت ألتمس عنده زاداً جديداً للوجدان بعد الزاد الذى ظفرت به عند أم كلثوم واعتدل الشيخ فى مجلسه وتنحنح فأصغى الناس إليه وأرهفوا الأسماع وكأنه إذ تنحنح هيأ القلوب للوجدان أو فتحها للطرب، ثم انسابت النبرات الموسيقية الرقيقة الدافئة تمتد من حنجرته الوهاجة إلى الجالسين حوله امتداد أشعة الشمس إليهم فى رحاب المسجد.

ولعلى فوجئت فى اللحظات الأولى بأن صوت الشيخ رفعت ـ بدون ميكروفون ـ لا يجلجل فيملأ الجو كما عهدناه ونحن نسمعه سنوات طوالاً من خلال الراديو فى قريتنا بالصعيد..

كنا فى قريتنا نسمعه فى الراديو مرتفعاً مدوياً، تسمعه معنا القرى المجاورة ولكنه فى المسجد أشبه بالكمان الخافت ينصت السامعون إليه بانضباط شديد حتى لا تفوتهم منه همسة فإن همسة من ذلك الكمان الخافت العبقرى تساوى أضعاف وزنها ذهباً وطرباً أو وجداً أو نوراً تستضىء به الروح.

لكن خفت خفوت الصوت لم يكن يحجب عن السمع اتساع مساحته وكثرة درجاته الموسيقية أو (مقاماته) فإن صوت الشيخ رفعت من الأصوات النادرة التى يضيق حجمها وتتسع درجاتها الموسيقية حتى تتفوق باتساعها على أكبر الأصوات حجماً ولهذا لم يكن الميكرفون يزيف صوت الشيخ رفعت كان يوضح حجمه فقط، أما درجاته الموسيقية المتعددة، فهى هى لا تتغير بالميكروفون وبدونه فلم يكن بين صوته الحقيقى الطبيعى وصوته الميكروفونى إلا فارق الوضوح فى الأسماع حين تصغى إليه من بعيد، كان صوتاً فذاً مكتمل الروعة تنطلق من حجمه الضيق درجاته الموسيقية المتعددة فتبلغ سماء الفن كما ينطلق الصاروخ من قاعدته الصغيرة فيبلغ الفضاء الأعلى.

والحق أنى لم أسمع طوال حياتى صوتًا ضيق الحجم خافتاً كصوت الشيخ رفعت، يحتوى برغم ضيق حجمه وخفوته على ثمانى عشرة درجة موسيقية أو ثمانية عشر (مقاماً) موسيقياً سليماً ويمتد على قسمين كاملين من أقسام الأصوات الرجالية الثلاثة المعروفة عند الموسيقيين، وله فوق هذا كله استعارة صوتية عجيبة تتألف وحدها من ثلاث درجات موسيقية ساحرة فما سمعنا مثلها حتى يومنا هذا.

فاجتمعت بذلك لصوته العبقرى مساحة موسيقية هائلة تضم واحداً وعشرين مقاماً تقريباً منطوية فى ذلك الحجم الضيق كما تنطوى الطاقات الهائلة فى الذرة الصغيرة.

بهذه المواهب الصوتية السماوية أبهر الشيخ رفعت معاصريه وملأ دنياه وشغل سامعيه، وقد كتب عن صوته (رضى الله عنه) الكثيرون، ووضع له الفنان السجينى (المثال المصرى) تمثالاً يمثل صوت الشيخ رفعت، وكتب عنه الأستاذ محمود السعدنى فى كتابه «ألحان السماء»، وكتب عنه أيضاً الأستاذ محمود الخولى فى كتابه «أصوات من نور».

وفى السبعينات نال أحد الدارسين فى الأزهر الشريف، رسالة الماجستير عن "التأثير الصوتى للشيخ محمد رفعت، وجاء فيها "إن حنجرة الشيخ رفعت كانت تضم ١٨مقاماً موسيقياً فى بداية الأربعينات واستمع إليه آباؤنا فى العشرينيات والثلاثينيات وكانت تضم ٢١ مقاماً تشتمل الأقسام الثلاثة من الأصوات الرجالية

وهى: (الباص ـ الباريتون ـ التينور)، وتنطوى بترتيب عجيب فى ذلك الحجم الضيق فقد كان صوته (رحمه الله) خافتاً بعض الشىء ولا يتمتع بكافة نبراته إلا القريبون منه، فلما جاءت الإذاعة واستخدمت الميكروفون استطاعت هذه الأجهزة الحديثة أن توضح صوته وتصل إلى المسافات البعيدة دون أن تضيف إليه شيئاً.

وهناك ميزات أخرى تمتع بها الشيخ محمد رفعت فى أدائه الصوتى وهى التى أدركها صاحب رسالة الماجستير عن التأثير الصوتى للشيخ رفعت، فمن مميزاته التى لم يجاره فيها أحد من المقرئين حتى الآن تلك المقدرة العجيبة على الانتقال من درجة موسيقية أولى (مقام) إلى أخرى فى سهولة وتناسق وبمقدرة محيرة، بل ومعجزة فعلاً فهو يعلو وينخفض فى النبرة والدرجة واللحن دون أن تسمع نشازاً، بل يملك منك الطرف والتواجد بكل مشاعرك، كما أن وقفات الشيخ رفعت فى تلاوته مصبوغة بروح الخشوع والتمعن تحدث فى النفس هزة وموجات تأثيرية كتلك التى تحدثها الشوكة الرنانة فى الهواء والماء.

صاحب رسالة الماجستير أجرى تجربة عن صوت الشيخ رفعت قام بحمل جهاز تسجيل وعدداً من الأشرطة القرآنية المسجلة لعدد من المقرئين واتجه إلى أحد المقاهى، حيث جلس الناس يشربون الشاى والقهوة والنارجيلة ويلعبون الدومينو والشطرنج ويعم الاسترخاء وتسود روح التسلية ثم قام بإذاعة الشرائط التى معه إلى أن جاء بشريط الشيخ رفعت فى النهاية، فوجد عند تشغيله وإذاعته أن الناس تركوا أماكنهم وما فى أيديهم وراحوا ينصتون فى اهتمام وانجذاب وخشوع شديد، وكما كانت قراءة الشيخ خاشعة متدبرة وكان فى تلاوته يعى ما يقول ويعايش الآيات بوجدانه ويصورها بأدائه الصوتى النادر ولم يكن هدفه من التلاوة سوى تذكير الناس واستحضار عقولهم وأفئدتهم لكلام الله تعالى.

وقد سأل الأستاذ محمد صفوت الحاج حسين محمد رفعت وماذا يرى عشاق الشيخ رفعت فى صوته؟

يقولون: إنه صوت فريد فى نوعه حتى بالمقاييس الحديثة وكانت ساعة تلاوته يوم الجمعة والثلاثاء ساعة مقدسة عند ملايين المسلمين، ومع ذلك لم تبطره النعمة بل زادته تواضعا وخشوعا ذلك الخشوع الذى اتسمت به تلاوته للقرآن الكريم... فكان يقرأ السبع قراءات وينتقل من أعلى مقام (درجة صوتية) إلى

أوطى مقام فى سهولة ويسر ويتحكم فى نغمات عدة أسماها العامة (بالرهاوى) و(النكرير) و(العجم). وكان يطوع هذه المساحة الموسيقية الهائلة لصوته للتلاوة وتصوير آيات الله تعالى.

ويقول الأستاذ محمد عبد الوهاب: «فى أوائل الثلاثينيات كان مستمعو الشيخ رفعت يكادون يفقدون عقولهم طربا مما يأتى به فى تلاوته برغم خشوعه التام وقيام تلاوته على أدق أصول القراءة العربية كما اتفق عليها علماء التجويد...»

وقال لى أحد أساتذتى الذين علمونى مادة الدين واللغة العربية، وهذا الأستاذ كان أزهريا تخرج عام ١٩٢٩: إن المصلين فى مسجد فاضل باشا كانوا يموجون بكلمة: الله... الله فى ابتهال وحبور من أول المسجد لآخره.. وكانت تنتاب بعضهم حالات تشبه حالات الجنون فيقفز من مكانه، بل إن هناك من كان يغمى عليه من الوجد والنشوة.

وقال المرحوم الأستاذ كامل الشناوى الذى كان يسكن بالسيدة زينب قريباً من مسجد فاضل باشا:

سمعت عن مقرئ شغل الناس يومئذ اسمه الشيخ محمد رفعت فتوجهت فى الساعة العاشرة صباحا إلى المسجد يوم الجمعة فلم أجد مكانا لأن المسجد كان مزدحما لأخره.. فتوجهت فى الجمعة التالية فى الثامنة صباحا رغم أن الصلاة تبدأ فى الثانية عشرة تقريبا فاستطعت الجلوس فى منتصف المسجد إلى أن ازدحم المسجد كعادته وكانت المرة الأولى التى أسمع فيها الشيخ رفعت، كان صوتا ناعما دقيقا رقيقا فيه خشوع كبير، ولم يحاول أن يعلو أو يرتفع ارتفاعًا مفتعلاً مع ذلك فقد كان كل من بالمسجد يستمعون إليه فى انتباه كامل حتى لا يفوتهم حرف واحد أو نغمة واحدة .. وأعتقد أن صوت الشيخ رفعت حفر فى قلبى الإيمان بنغمات جميلة جدا وظللت أتابعه فى المسجد إلى أن انتقلنا إلى جوار منزل الشيخ فصرت أزوره فى منزله حيث يقيم السهرات والاحتفالات الدينية التى يحضرها كبار الشخصيات وشاهدت هناك الشيخ على محمود لأول مرة وكان كفيفًا مثل الشيخ رفعت إلا أننى أحسست بالنور الذى يشع عن الشيخ رفعت

والشيخ على محمود أيضا وكنت أعرف أن الشيخ على محمود يستطيع الغناء بالإضافة إلى قراءة القرآن والتواشيح الدينية، أما الشيخ رفعت فهو يتلو القرآن فقد إلا أننى ذهبت وأنا جالس مع أولاد الشيخ رفعت ـ وكانوا زملائى فى المدرسة ـ فى حجرة مجاورة عندما سمعت الشيخ رفعت يغنى قصيدة الشريف الرضى ـ الشاعر العباسى ـ من تلحين الشيخ أبو العلا (وكانت تغنيها أم كلثوم) فوجدت أن صوته عجيب جدا .. وكان يفصلنا عن بيته شارع واحد فعرفت أنا وزملائى موعد خروج الشيخ الجليل من بيته وموعد عودته والطريق الذى يسلكه وصرنا ننتظر أمام الباب حتى نسلم عليه ونرى هذا الملاك لأنه فى تكوينه الجسمانى به خفة الروح ولأول مرة فى بيت الشيخ رفعت شاهدت الشاعر أحمد رامى... شاعر الشباب وكذلك محمد عبد الوهاب وكان صغيرا وعشت فى جو الشيخ رفعت فى البيت والمسجد وكان لنا صديق هو زكريا مهران ـ عضو مجلس الشيوخ ـ وكان من هواة صوت الشيخ رفعت وعنده جهاز تسجيل يستخدمه فى تسجيل قراءاته ويدعونا إلى بيته فكنا نزوره لتمضية السهرة عنده لسماع هذه التسجيلات ولا أستطيع أن أصف روعة تلك الليالى ونحن نسمع الصوت السماوى ومما آلمنى أن الإذاعة لم تستطع أن تسجل للشيخ رفعت وهو حى ربما لخلاف بينهما وعلى أى حال يمكننا القول بأن ما نسمعه من شرائط الشيخ رفعت ليس سوى إشارة الأصبع إلى وجود شىء عظيم لا يتكرر.



الشاعر والأديب والكاتب الصحفى
كامل الشناوى

وصدق المرحوم الأستاذ كامل الشناوى.. فقد كان صوت الشيخ رفعت يستحضر خشوع الناس ويثير وجدهم ويبعث فيهم الأمل بالمغفرة والرغبة فى الثواب والرهبة من العقاب ولأن قراءته كانت من قلبه ووجدانه قبل حنجرته فإن صوته كان يمس شغاف القلوب ويغمر حنايا النفوس ويحمل الناس إلى عالم

علوى وروحانى طاهر .. كان يقرأ القرآن بحزن متمثلا قول الرسول الكريم (ﷺ) إن هذا القرآن نزل بحزن فاقرءوه بحزن.

وفى حلقة خاصة من برنامج «أهل الذكر» عن الشيخ رفعت أذاعتها صوت العرب فى الستينيات مع الأستاذ محمود السعدنى يقول فيها: "الأصوات كالوجوه بعضها فضة وبعضها له بريق الذهب... ويندر جدا أن يكون الصوت من ذهب، ولكن من بين الأصوات التى نسمعها دائما كان هناك صوت غريب فريد باهر وسر غرابته أنه استمد طبيعته من جذور الأرض وصفاء السماء فجاء مشحونا بالأمل والألم مرتعشا بالخوف والقلق عنيفا عنف المعارك التى خاضها الشعب" عريضا عرض الحياة التى تمناها، كان ذلك الصوت هو صوت المرحوم الشيخ محمد رفعت.

وقال أيضا: كان الشيخ محمد رفعت هو قيثارة السماء كان صوته أشبه بخلطة ربانية من مزامير داود وهديل الحمام وصوت الكروان الشارد فى سماء الله فى الليل الحزين.

وكتب الأستاذ الدكتور مصطفى محمود تحت عنوان: صوت يقرأ القرآن وقال:

كلما جاء رمضان أتذكر صوتا وحيداً كان يقرأ القرآن صوتا ليس له أخ ولا مثيل ولا وارث ولا شبيه هو صوت الشيخ محمد رفعت..

وصوت الشيخ رفعت هو الصوت الوحيد الذى يعطينى معنى الدين والتدين إنه صوت فيه أدب وخشوع ورهبة وانكسار.

وهو ينكسر فى تواضع واسترحام وكأنه يرى الحضرة الإلهية أمامه حتى حينما يرتفع ويرتفع نسمعه ينسلخ فى ألم وكأنه يعتذر عن رفع نبراته أمام خالقه...

أبدا لم أسمعه مرة يلعلع بصوته فى زهو وتفاخر كما يلعلع باقى المشايخ

وما أكثر ما أسمع شيخا يقرأ فكأنى أسمع من خلال لعلعته أنه يقول: أنا جدع أنا صوتى حلو شوف يارب أنا صوتى مليان إزاى.. ويكاد يقول من فرط زهوه .. سبحانى أنا.. لا سبحان الله.

أبدا لم يكن الشيخ رفعت يشعرنى بالقدرة .. بل بعدم القدرة، بالعجز والضعف والتوسل لله وهى صفة انفرد بها صوته ومع ذلك فهو صوت عظيم قادر متمكن ولكن يا له من رجل رقيق مهذب يكاشفنا بهذه القدرة المذهلة فى تواضع فنان طيب القلب منكسر النفس مسلم مسالم مستسلم...

أسمع اسمه فيخيل لى أنى أرى الجمال مقترنا بالحياء جمال يجهد صاحبه أن يخفيه حتى لا يجرح الناس... وروعة يقدمها صاحبه بلا أبهة.. وسلطان بلا موكب .. وعظمة بلاد رايات.. وإنها لقمة حقيقية فى الأداء أن يعبر العظيم عن عظمته بهذه المذلة والانكسار، وبهذا الشعور المتدين بأنه فى حضرة الأعظم ذى الجلال..

والسر أننا أمام صوت ذى خلق.. صوت يشعر أنه بجماله مدين وليس دائنًا.. إنه الموهوب الذى عليه أن يشكر الواهب كل يوم.

رحم الله أعظم الأصوات.. الشيخ محمد رفعت.

وتحت عنوان «مواقف» كتب الأستاذ أنيس منصور يقول: كثيرا ما أشتاق إلى سماع أحد يتكلم باللغة العربية الفصيحة بشرط أن يكون أسلوبه فى الكلام سهلا، أى أنه يتكلم كالذى يمشى خطوة رياضية أو عسكرية دون أن يبذل مجهودا كبيرا فى ذلك.. فأكثر الذين نستمع إليهم يتكلمون اللغة العامية المهذبة وهى لغة المثقفين، وبعض الذين يحرصون على الكلام بالعربية هم أساتذة الدين والذين يشرحون الآيات القرآنية فى الإذاعة والتليفزيون بعضهم يغريك أن تستمع إليه وأكثرهم يصدك عن ذلك مع أن الجميع يتحدثون لغة واحدة.. ولكن الفرق هو فى سهولة العبارة وفى سهولة الأداء.

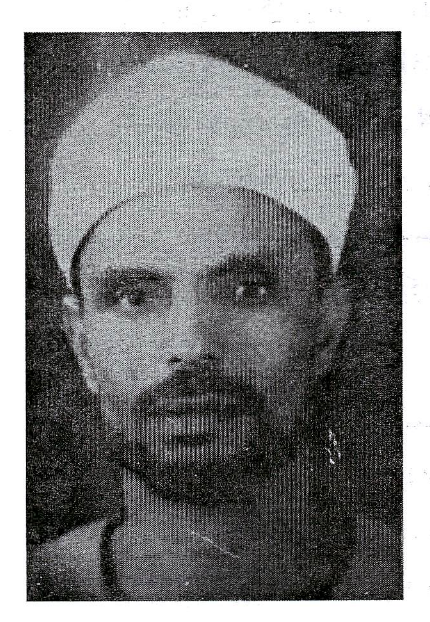
ومن الذين جعلونى أعشق اللغة العربية رجل مثل طه حسين. إنه متحضر العبارة، جليل النطق، سعيد بأنه يتكلم اللغة العربية وسعيد بأن يدعوك إلى أن تفعل مثله وهو لا يتكلم، إنه يتغنى.

ورجل آخر هو الشيخ عبد الوهاب خلاف، لم أكن من تلاميذه فى كلية الحقوق ولكن سمعت عن علمه وفضله واستمعت إليه كثيرا يتحدث فى القيم

الأخلاقية والدينية وهو رجل واضح الإيمان والتقوى وإذا سمعت إليه، لا بد أن تصدقه لأنه صادق فيما يقول ولأن كلامه صدى نفسه وصورة أعماقه وكانت الإذاعة تعيد بعض تسجيلاته الدينية وقد استمعت إلى أحاديث كثيرة أذيعت مرات .. وفى كل مرة ازددت اقتناعا بأن لغتنا جميلة وأن القادرين على أدائها قليلون ومن الممكن أن يكونوا ملايين إذا أردنا ذلك.

ورجل ثالث هو الشيخ محمد رفعت فليس مثل الشيخ محمد رفعت أحد من المقرئين فى مصر أو فى أى بلد آخر فلا يزال صوته عميقا وأداؤه جليلا فخما وهو إذا قرأ جعلك تشعر بأن القرآن الكريم يجب أن نحمله على القلب والرأس لا أن نطير به كما يفعل القارئون الذين يقلدون المطربات والمطربين ولكنه كلام من نوع فريد ويجب أن نقدمه إلى الناس على أن يحمل هذه الأمانة وأن يؤديها - يرحمه الله.

ويقول الأستاذ أنور الجندى: الشيخ محمد رفعت صاحب الصوت الذهبى إنه أروع صورة للأداء وأروع خلق للعزوف عن اتخاذ قراءة القرآن وسيلة للكسب والفخفخة والاشتراطات التى ينوء بحملها الكثير...



الإمام الداعية المفسر محمد متولى عبدالحافظ الشعراوى

وسئل الشيخ محمد متولى عبدالحافظ الشعراوى ذات مرة فى حوار تليفزيونى عن رأيه فى كل من الشيوخ : محمود خليل الحصرى، عبد الباسط عبد الصمد، مصطفى إسماعيل والشيخ محمد رفعت فقال:

إن أردت أحكام التلاوة فهو الحصرى وإن أردت حلاوة الصوت فهو عبد الباسط عبد الصمد وإن أردت النفس الطويل مع العذوبة فهو مصطفى إسماعيل وإن أردت

هؤلاء جميعا فهو الشيخ محمد رفعت- رحمه الله- الذى فضله الله بهذا الصوت، الصوت الذى تجسدت فيه كل معانى القرآن الكريم صوت يخرج من القلب ليصب فى قلوب المستمعين.

كما روى عنه الشيخ محمد متولى عبدالحافظ الشعراوى: «فى مطلع شبابنا كنت أنا وزملائى فى الجامعة نسعى وراء الشيخ رفعت أينما ذهب خلال عقد الثلاثينيات، فإذا عرفنا أنه سيحيى ليلة ذهبنا إليه وبصفة خاصة إلى مسجد الحسين حيث كان قارئ السورة فى يوم الجمعة من كل أسبوع وكنت أجلس أقرب ما يمكن من مكان الشيخ رفعت حتى لا تفوتنى أدنى شاردة أو واردة يأتى بها صاحب الصوت الذهبى الذى يطوف بنا عبر العوالم القدسية من خلال آيات القرآن الكريم، كان صوته بالفعل يغوص فى أعماق الوجدان والروح والعقل والإدراك الذى يأتى بفيض العطاء الذى يهب السامع نفحة هائلة من حلاوة الإيمان.

فى ذلك الوقت كانت الإسطوانات قد اخترعت، وكأنما جاءت فى وقتها المناسب حتى لا يفوت الأجيال اللاحقة فرصة الاستماع إلى هذا الصوت الرائع النادر الوجود، وكان بعض الناس لا يستطيعون سماع صوت الشيخ رفعت إلا إذا كانوا على وضوء حتى يستقبلوا إشراقات الصوت بما يليق به طهارة وخشوعاً وإن كان قد مُنّ على الشيخ رفعت بصوت فريد الجمال، قد مُنّ عليه بنعمة المقدرة على تجسيد المعانى إلى درجة يكاد معها الإنسان ينظر إلى أهل الجنة ينعمون وإلى أهل الجنة وهم يعذبون.

وقال عنه الشيخ أبو العينين شعيشع: «لم يظهر بعد الشيخ محمد رفعت خليفة ولا استطاع أحد أن يقترب بصوته من صوت الشيخ الراحل، فصوته عصى على التقليد أو التشابه، وشيوخ القراءة من الأجيال الشابة يعجزون حتى عن تقليد مَنْ هم أدنى من الشيخ رفعت فى حلاوة الصوت وقدراته الخاصة، فما بالنا بصوت رفعت؟».

وقال عنه الأديب محمد السيد المويلحى فى مجلة الرسالة: «سيد قراء هذا الزمن، موسيقى بفطرته وطبيعته، إنه يزجى إلى نفوسنا أرفع أنواعها وأقدس وأزهى ألوانها وإنه بصوته فقط يأسرنا ويسخرنا دون أن يحتاج إلى أوركسترا».

ويقول عنه الأستاذ أنيس منصور: «ولا يزال الشيخ رفعت أجمل الأصوات وأروعها وسر جمال وجلال صوت الشيخ رفعت أنه فريد فى معدنه وأن هذا الصوت قادر على أن يرفعك إلى مستوى الآيات ومعانيها ثم إنه ليس كمثل أى صوت آخر».

كما قال عنه: «إنه أروع القارئين، وهو يتميز بصوت لا يوصف وإذا وصف فهو الجلال والجمال معاً، جلال القرآن وجمال الأداء»، ويقول الفاهمون للأصوات: «إنه لا يقرأ وإنما هو يشرح أيضًا»، والذين يفهمون القرآن يقولون: «إنه لا يشرح فقط إنما فقط يقيم صلوات للمعانى الجليلة».

ويصف الأستاذ محمد عبد الوهاب صوت الشيخ محمد رفعت بأنه ملائكى يأتى من السماء لأول مرة، وسئل الكاتب محمود السعدنى عن سر تفرد الشيخ محمد رفعت، فقال: «كان ممتلئاً تصديقًا وإيماناً بما يقرأ ...».

أما الأستاذ على خليل (شيخ الإذاعيين) فيقول: «إنه كان هادئ النفس تحس وأنت جالس معه أن الرجل مستمتع بحياته وكأنه فى جنة الخلد، كان كياناً ملائكياً ترى فى وجهه الصفاء والنقاء والطمأنينة والإيمان الخالص للخالق، وكأنه ليس من أهل الأرض...».

ونعته الإذاعة المصرية عند وفاته إلى المستمعين بقولها: «أيها المسلمون فقدنا اليوم علماً من أعلام الإسلام ..»، أما الإذاعة السورية فجاء النعى على لسان المفتى، حيث قال: "لقد مات المقرئ الذى وهب صوته للإسلام، كما قال عنه مفتى سوريا أيضًا: إنْ الشيخ رفعت له صوت يسيطر على المشاعر ويتسلل إلى السويداء حيث يسكن القلب والعقل ويغلفها بغلاف روحى له جرس مميز، لقد جدد الشيخ رفعت شباب الإسلام بصوته الفريد فى ترتيل آيات القرآن الكريم....

وقال عنه الكاتب الصحفى محمد فهمى عبد اللطيف: "كانت الميزة التى تميز بها الشيخ رفعت عن سائر المقرئين فى عهده هى براعة الصنعة، وكان الشيخ يعطى كل ما عنده من جهد وشعور وصدق فى الأداء، فإذا كان صوت القراء وأهل الطرب يرتفع من حناجرهم، فإن صوت الشيخ رفعت كان يخرج من قلبه وفنه وروحه وقوة إحساسه وروعة تقديسه للقرآن الكريم؛ ولهذا كان يصب القرآن فى قلب السامع صباً وما يخرج من القلب يصل إلى القلب كما قيل...

وقال عنه فؤاد حلمى (عضو لجنة الاستماع للقارئين بالإذاعة): "امتلك الشيخ محمد رفعت صوتاً ملائكياً لا يتكرر فكان المستمعون يحرصون كل الحرص على الاستماع لصوته فى المواعيد المحددة له فى البث الإذاعى كحرصهم على الاستماع لعبد الوهاب وأم كلثوم ... ومن الناحية الفنية، فإن صوت الشيخ محمد رفعت قريب من طبقة (الألتو) وهى إحدى الطبقات الصوتية الأوبرالية، وأهله هذا الصوت إلى افتتاح الإذاعة عام ١٩٣٤م.

وقال عنه الناقد الفنى محمود عبد السميع: ما السر الذى طبع هذا المقرئ بالخلود؟ هل هى حلاوة الصوت؟ أو جمال الأداء؟ أو الأخلاق العالية التى كان يتحلى بها الشيخ رفعت؟ أم هو الفهم العميق لآى الذكر الحكيم؟ الحق إن هذه الصفات وأكثر منها هى سر خلود هذا الرجل....

ويقول الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى: إن الشيخ محمد رفعت أحسن من رتل بصوته آيات الله، صوته جميل كامل من القرار وسليم من الجواب.

ويقول الشيخ مصطفى الشامى الدمنهورى: «إنه قوى ولصوته نبرات ينفرد بها عن غيره»

وقال الشيخ منصور بدار عندما سمع صوت الشيخ رفعت لأول مرة: لقد شرفنى أكبر تشريف سماعى لذلك الصوت الذى أعتبره صوتا من الجنة لقد قرأت القرآن واستمعت إليه فى كافة الأقطار الإسلامية فلم أجد مثله على مدى ثلاثين سنة.

وفى مجلة أكتوبر قال عنه رفيق دربه الشيخ على محمود: «إنه صوت ينطق بكلمات الله من أعماق القلب ويعطى لكل حرف فيها جلاله وكماله».

ويقول الشيخ مصطفى إسماعيل: «الشيخ رفعت أستاذى عندما تستمع إليه تبدو وكأنك تعيش وتعايش تختلط وتمتزج بسور القرآن الكريم، إنه ليس موهوبا كما يقول البعض، بل إنه هبة من عند الله».

ويقول آيضا: «إنه أستاذ أستاذ أستاذ».

ويقول الشيخ عبد الباسط عبد الصمد: «إن كلام الله يخرج نورا فى قلب الشيخ رفعت فشاع هذا النور فيه وأشاعه فى مستمعيه».

ويقول أيضا: «إنه صاحب صوت شبابى ويظل شبابيًا دائما».

وفى الجمهورية مايو ١٩٩٢ قال الشيخ «رزق خليل حبة» شيخ عموم المقارئ المصرية: عندما سئل رسول الله (ﷺ) عن أحسن الناس صوتا فى تلاوة القرآن قال : «من إذا قرأ سمعته يقرأ حسبته يخشى الله». فالخشوع فى صوت الشيخ رفعت هو عصب تلاوته وسر تأثيرها فى القلوب، وقال أيضا: «والذى ليس فى قلبه شىء من القرآن كالبيت الخرب» وقد كان الشيخ رفعت يقرأ القرآن لله تعالى وقلبه مفعم بالتقوى والإيمان.

وقال الشيخ «أحمد الرزيقى» قارئ السورة بمسجد السيدة نفيسة رضى الله عنها: كان الشيخ رفعت ـ رحمه الله ـ يمتاز بمقدرته على الإتيان بالأداء الموسيقى المعجز وإعطاء حروف القرآن الكريم حقوقها، وصوته غير قابل للتكرار وأداؤه سهل ممتنع وهو صاحب مدرسة للأجيال على امتداد القرون الآتية، وأفيدكم بأن الشيخ ينتمى إلى محافظة سوهاج بصعيد مصر.

وقال الشيخ أحمد نعينع ـ قارئ السورة بالمسجد الحسينى ـ صوت الشيخ رفعت شىء لا يمكن وصفه، شىء لا يصدق، والشيخ رفعت ـ عليه رحمة الله ـ كان عندما يقرأ تحضر الملائكة مجلس قراءته، كان قارئا فى قمة الأداء القرآنى السليم، يرتفع صوته إلى جميع المقامات ولا شك أن التسجيلات المتوافرة حاليا لتلاوته لا تقارن بحالة من الأحوال بتلاوته على الجمهور.

ويقول الزعيم مكرم عبيد: الشيخ محمد رفعت علمنى القرآن الكريم.. فهو فاقد البصر نافذ البصيرة، عذب اللسان رفيع البيان ويكفى أن بيانه هو القرآن الكريم بيان الله للناس أجمعين.

وقال الشاعر فاروق جويدة: الشيخ محمد رفعت قارئ لا يتكرر وهو صاحب صوت جميل ومميز ويتمتع بطبقات غريبة الشكل ويكاد يكون المقرئ الوحيد الذى لا تخطئه الأذن على الإطلاق وصوته يتمتع بصدق التلاوة وهو عندى صدق الإحساس بمعنى أن الشيخ كان يشعر بكل آية يقرأها وإحساسه هذا فى اعتقادى كان أخطر ما فى صوته ذلك الصوت القادم من السماء - غير أرضى على حد تعبيرى.

وقال الكاتب الصحفى والإذاعى ضياء الدين بيبرس: كان للخشوع فى صوت الشيخ رفعت صدى عميق، فكأنه يعيد اكتشاف الإسلام فى صدر المسلم مرة أخرى ويفتح الباب على مصراعيه فى صدر غير المسلم أو حتى من لا يعرف العربية، ولم لا وفى صوته "بحة" ذات شجن، وقيل البحة يتجسد الخشوع بمعنى أنك لا تشعر أنه يتلو بقدر ما تشعر أنه يسبح بحمد الله فى كل آية يقرؤها، وكان نفاذاً إلى قلب من يسمعه؛ لأنه يقرأ من قلبه وليس من حنجرته، وعندما يتلو الشيخ رفعت القرآن تشعر أنه يتيه به على العالمين.

وكتب الأستاذ «أحمد شعبان» مدرس القراءات بالأزهر (الأهرام) تحت عنوان (من أعلام القرآن الشيخ محمد رفعت) يقول: «منحة من السماء وقبس من نور الذكر الحكيم يضىء القلوب ويهز الأفئدة فتخشع إلى ذكر الله فى تدبر وإنصات لتلك المعجزة وما فى آيات القرآن من إعجاز»، نفهم فى ترتيله المعنى البلاغى وهو يصور آيات الله البينات ببراعة وإتقان وصدق فى الأداء وخشية ورهبة وتقديس لكلام الله تعالى بطريقة فريدة فى الإحساس تملأ وجدان السامع من فقه القرآن وفهم ألفاظه وما يخرج من القلب يصل إلى القلوب، وبهذا كان يصب القرآن فى قلب السامع صباً، إنه المرحوم الشيخ محمد رفعت، شيخ شيوخ القراء، لقد عاش رفعت بحق على فقه لكتاب الله وتفسيره وعلم كبير بالقراءات وأروع ما يبدو فى أدائه المتقن وترتيله المفصل التصوير فى حركة الموقف إذا وقف أو فى الوصل إذا وصل الكلام وأساليب التشويق للمعانى القرآنية وتلك هى الجوانب المضيئة فى صوت الشيخ رفعت وسر عظمته وتفوقه على قرنائه من أهل القراءة والترتيل.

وقد تحير الفنان جمال السجينى فى كيفية التعبير عن صوت العملاق محمد رفعت، إنه لا يريد أن يرسم له تمثالاً يصور جسده، إنما هو يريد أن يجسد صوته فكيف يعبر عن ذلك؟، وتلك هى المشكلة التى واجهت الفنان النحات السجينى وذلك عندما أحس بدوافع قوية للتعبير عن إعجابه، بتلاوة الفنان الشيخ محمد رفعت فهو لا يريد أن ينحت تمثالاً للشيخ رفعت؛ لأن إعجابه ليس بشكل الفنان ولكن بصوته.

ومن هنا بدأ السجينى تمثالاً غير متقيد بشكل خاص سوى بالأشكال التى تصور العلاقات القائمة بينها خصائص هذا الصوت الخالد بكل ما فيه من أبعاد، ثم أطلق على تمثاله اسم «صوت رفعت» وكأنه يقول للمتفرج، ما تتعبش روحك، لن تجد فى تمثالى شبهاً للمقرئ الفنان أو علاقة بملامح وجهه.

فصوت الشيخ رفعت يجسد فى نفس السجينى معانى العذاب والموت والحياة والفضيلة، يقول: إن الموضوعات التى تستحوذ على تفكيرى، صوت الشيخ رفعت، كلما استمعت إلى تلاوته سبحت فى عالم جديد وأحسست أن رفعت عبارة عن قبة كبيرة يجلجل فيها الصوت فيصطدم بزمامها العشق الملون ليتسرب بعد ذلك سابحاً فوق صحراء عريضة واسعة.

ولست أدرى ولا المنجم يدرى - كيف توصل هذا الشيخ الضرير إلى موتسارت وليست وبتهوفن وباجانينى، هؤلاء العباقرة العالميين؛ وكيف أنه استطاع أن يسخر فنونهم فى خدمة القرآن الكريم، بعد أن درسها وأتقنها وأخذ منها المفيد النافع، وقد استتب له النجاح وحالفه التوفيق فى كثير من الأمر وفى كل خطوة من خطواته، لقد نجح الشيخ محمد رفعت بتقدير ممتاز ممتاز فى آن يستخلص من كل هذه الفنون صوته العبقرى الذى هو من مكوناته بيتهوفن وليست وموتزار وباجانينى، وغيرهم كثير من العباقرة العالميين، على حين أن معظم القراء اليوم، لا يعرف الواحد منهم مَنْ هو بتهوفن ولا ليست ولا موتزار، ناهيكم عن سؤال أحدهم عن العازف الإيطالى الكبير باجانينى، فإذا ما سألت بعضهم عن هؤلاء أو عن غيرهم تبادر ذهنه إلى أنه أحد آلهة الإغريق أو الرومان أو الفراعين، هذا إذا

لم يذهب عقله إلى أنه من الجن وليس الإنس!!، بقطع النظر عن سؤال بعضهم عن المقامات الصوتية وكيف يبدأ القارئ تلاوته؟ ومن أى مقام يبدأ، وكيف يتدرج فى التلاوة إلى ينتهى!! فتحية وسلامًا إلى روح العبقرى محمد رفعت.

الوقف والابتداء فى تلاوات الشيخ محمد رفعت

والوقف والابتداء من أهم موضوعات التجويد التى لابد للقارئ من معرفتها ومن مراعاتها فى قراءاته ما أمكن ومن إحاطته بالعلوم التى تبصره بهما وتجعله قادراً على تمييز ما جاز منهما مما لم يجز كعلوم: التفسير - وأسباب النزول - والرسم العثمانى - وعد الآى - والنحو - والبلاغة؛ وذلك لما للوقف والابتداء من فوائد كثيرة للسامع والقارئ تتلخص فى أمرين، أحدهما: إيضاح المعانى القرآنية للمستمع كلما كان القارئ أقدر على تحرى ما حسن من الوقف والابتداء فى قراءاته وما يوضح المعنى المراد وكلما حرص على ذلك، والثانى دلالة وقف القارئ فى تقدير درجات الوقوف جودة ورداءة تبعاً لتفاوتهم فى فهم القرآن ومقدار إحاطتهم بهذه العلوم وقد أدرك المتقدمون ما للوقف والابتداء من أهمية وفوائد حتى إنهم كتبوا كتباً خاصة بهما ككتابى: التمهيد فى الوقف والابتداء لابن هشام ومنار الهدى وكتاب منار الهدى فى بيان الوقف والابتدا تأليف أحمد بن محمد ابن عبدالكريم الأشمونى - من علماء القرن الحادى عشر الهجرى وغيرهما، والأصل فى أهمية الوقف والابتداء ما ورد عنه (ﷺ) فى كثير من الأحاديث من أنه كان يقف على رءوس الآى وأنه كان يقطع قراءته فيقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» ويقف، ثم يقول: «الحمد لله رب العالمين»، ويقف، ثم يقول: "الرحمن الرحيم" ويقف، وهكذا...

وأنه كان يُقرأ أصحابه على مثل ذلك ويعلمه لهم، وأن علياً (كرم الله وجهه) سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا﴾، فقال: الترتيل هو تجويد



القارئ محمد رفعت فى صورة يظهر فيها كأجمل من القمر والشمس

الحروف ومعرفة الوقوف، والوقوف هو حلية التلاوة وزينة القارئ وبلاغ التالى وفهم المستمع وفخر العالم.

ثم إنه لا يوجد فى القرآن وقف واجب يأثم القارئ بتركه ولا وقف حرام يأثم القارئ بفعله، وإنما يرجع وجود الوقوف وتحريها إلى ما يقصده القارئ منها وما يترتب على الوقوف والابتداء من إيضاح المعنى المراد أو إيهام غيره مما ليس مراداً، وكل ما ثبت شرعاً فى هذا الصدد هو سنية الوقف على رءوس الآى وكراهة تركه.

عليها وجوازه على ما عداها ما لم يوهم خلاف المعنى المراد، وقد يكون الوقف تاماً فى قراءة من القراءات وغير تام فى قراءة أخرى، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى . . .﴾، فكلمة «اتخذوا» قُرِئت بالكسر، بكسر الخاء وفتحها، فعلى قراءة الكسر يكون الوقف تاماً على كلمة «أمنا»، أما قراءة الفتح يكون المعنى ناقصاً فى الوقف على كلمة «أمنا»، يقول الإمام ابن الجزرى (رضي الله عنه) فى منظومته.

وليس فى القرآن من وقفٍ وجب ولا حرام غير ما له سبب

ومن أمثلة الوقف القبيح فى القرآن الكريم:

كأن يقف القارئ على كلمة إله فى سورة محمد من قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ﴾[محمد: ١٩] عامدا متعمداً.

وكأن يقف على كلمة.. يغفر.. من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ﴾ [النساء:١١٦].

وكأن يقف القارئ على كلمة مريم ابنة عمران.. من قوله تعالى: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ [التحريم:١١].

وكأن يقف القارئ على الحرف «لا» من قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاَ﴾ [القصص:٩].

وكأن يقف على الفعل فأكله من قوله تعالى ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ﴾ [يوسف:١٧]

وكأن يقف القارئ على كلمة والموتى فى قوله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى﴾ [الأنعام:٣٦].

وأمثلة الوقف القبيح كثيرة فى القرآن الكريم، ويأثم القارئ بفعله عامدا متعمدًا، ولم يقرأ به الشيخ محمد رفعت فى تلاواته المباركة.

ومن أمثلة الابتداء القبيح فى القرآن الكريم:

كأن يبدأ القارئ بكلمة وإسحاق من قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣] ويقف، وكأن يبدأ القارئ بكلمة حق فى قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿... بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة:١١٦] ويقف، وكأن يبدأ القارئ بالحرف الناسخ إنّ فى قوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿... إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وكأن يبدأ القارئ بالحرف الناسخ إنّ من قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿... إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ [المائدة ٧٣]، وكأن يبدأ القارئ بالحرف الناسخ إن من قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿... إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة ١٧]، وكأن يبدأ القارئ بالحرف الناسخ إن من قوله تعالى فى سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ....﴾ [النساء: ٤٨]، وكأن يبدأ القارئ بكلمة يد فى قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿. يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ..﴾ [المائدة:٦٤]، ولم يقرأ الشيخ رفعت بتلك الابتداءات القبيحة.

- الوقف النبوى أو وقف جبريل عليه السلام أو وقف السنة:

وفى القرآن العظيم ما يقرب من خمسة عشر وقفا علمها جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وألزمه بها فى القراءة، وليس له علامات فى المصحف وهى:

الوقف على كلمة الخيرات فى قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ . .﴾ [البقرة:١٤٨]، والوقف على كلمة ـ الله ـ من قوله تعالى فى سورة آل عمران: ﴿... قُلْ صَدَقَ اللَّهُ...﴾ [آل عمران:٩٥]، والوقف على كلمة الخيرات، من قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة ٤٨] والوقف على كلمة بحق فى قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦]، والوقف على كلمة قولهم من قوله تعالى فى سورة يونس: ﴿... وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ . . .﴾ [يونس:٦٥]، والوقف على كلمة «بشر» من قوله تعالى فى سورة النحل: ﴿.. إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ..﴾ [النحل:١٠٣]، والوقف على الفعل خلقها فى قوله تعالى فى سورة النحل: ﴿.. وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا . .﴾ [النحل:٥]، والوقف على كلمة الناس.. فى قوله تعالى فى سورة يونس: ﴿... أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ...﴾ [يونس:٢]، والوقف على كلمة «الأمثال» فى قوله تعالى فى سورة الرعد: ﴿.. كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ..﴾ [الرعد:١٧]، والوقف على كلمة فاسقًا من قوله تعالى فى سورة السجدة: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . .﴾ [السجدة:١٨] ، والوقف على كلمة بالله فى قوله تعالى فى سورة لقمان: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ . .﴾ [لقمان:١٣]، والوقف على كلمة الله فى قوله تعالى فى سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ . .﴾ [يوسف:١٠٨]، والوقف على الفعل «فحشر» فى قوله تعالى فى سورة النازعات: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ﴾ [النازعات:٢٢]، والوقف على كلمة «شهر» فى سورة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:٣]، و الوقف على كلمة أمر فى نفس السورة ﴿.. مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . .﴾ [القدر:٤].

وكلها وقوف نورانية وقد التزم بها مولانا القارئ الشيخ الورع محمد رفعت.

فتعجب المتعجبون من فهم ذلك الرجل الأعمى لآيات الكتاب العزيز التى لم يصل إليها المستمعون، سبحان الله وصدق الله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ صدق الله العظيم.

وكان يقرأ ذات مرة فى سورة القصص، وكان ذلك فى حضور أساتذة البلاغة العربية واللغة، ووصل فى القراءة إلى قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا . . .﴾، فقرأ الشيخ رفعت: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي . . .﴾ ثم وقف، فظن المستمعون أن النفس قد انقطع، فقام الشيخ بإعادة الآية بنفس الطريقة... وبعد التلاوة سأله أساتذة البلاغة واللغة والأدب عن هذا الوقف، فأجاب الشيخ قائلاً: أرى أن الحياء يكون فى القول أبلغ منه فى المشى، فوصلت التلاوة لأصب الحياء فى المشى لا فى القول، ففهم الشيخ صاحب البصيرة الثاقبة ذلك المعنى الذى غاب حتى عن أساتذة اللغة العربية وليس على عامة الناس فقط، فتعجب المستمعون مما وصل إليه هذا الشيخ الجليل من الفهم الدقيق لكل كلمة وكل آية وكل معنى يتلوها على الناس، ووقفوا مذهولين من ذلك، فليس لديهم ما يستطيعون فعله أو قوله؟!.

كيف وصل الشيخ رفعت إلى هذه الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة، رجل يقرأ القرآن ويعرف كل كبيرة وصغيرة عن هذا الكتاب، وصدق الله العظيم إذ يقول:﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيرا﴾.

كان يفسر القرآن أثناء التلاوة، رجل أخلص لكتاب الله ولم يبتغ به عرضاً زائلاً، ففهّمه الله مراد كتابه العزيز، من عمل بما علم أورثه الله، علم ما لم يعلم، هكذا كأن الشيخ الفذ الذى نفذ فى قلوب معاصريه وقلوب من أتوا بعده وإلى يوم القيامة؛ لأنه عمل بكتاب الله فأورثه الله تعالى علوم القرآن الكريم وكشف له أسرار كتابه العزيز..

وقد يرجع الوقف إلى حسن وقوف القارئ على المعنى وتذوقه له يقول أبو مُزاحم الخاقانى:-

وقفْ عند إتمام الكلام موافقاً   لمصحفنا المتلوِّ فى البر والبحر

هكذا كان يفعل مولانا الكبير محمد رفعت ومن أمثلة ذلك:-

يقف بطريقته الجميلة المشوقة فى سورة الفاتحة على قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ...﴾، ثم يبدأ بقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ...﴾، بطريقة تدعو المستمع للتأمل والتفكير فى قراءة الشيخ الجليل.

ويقف فى سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ...﴾، ثم يبدأ: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ....﴾.

وفى سورة آل عمران، يقف على كلمة "وطهرك" من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾. [آل عمران:٤٢].

يقف فى سورة النساء على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ...﴾، ثم يبدأ ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ..﴾ ويقف فى سورة النساء أيضًا على كلمة «أنفسهم» المجرورة بحرف الجر فى.. من قوله تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم....»، ثم يبدأ ويقول: «ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما».

وفى نفس السورة يقف على كلمة «مودة» من قوله تعالى ﴿ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة . . .﴾ ثم يبدأ ويقول: ﴿ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا﴾. بطريقته المشوقة التى تدعونا للتأمل والتدبر فى كل كلمة من كلمات المصحف الشريف، ويقف فى نفس السورة عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ...﴾، ثم يبدأ بقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ..﴾، دونما تكلف أو تصنع بل بإنسيابية وتلقائية وفهم وتدبر.

. وفى سورة المائدة، يقف أكثر من مرة، فيقف على كلمة «كَسَبَا» فى قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا...﴾، ثم يبدأ بقوله ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، ويقف عند قوله تعالى ﴿... سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سماعون لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ...﴾، ثم يبدأ ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ...﴾، ويقف ثم يبدأ ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا»، ثم يقف على كلمة ﴿خِزْيٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ

قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ...﴾، ثم يبدأ: ﴿لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ويقف على كلمة ﴿بالأذن﴾ من قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ...﴾، ثم يبدأ: ﴿وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ...﴾، ثم يقف على كلمة «ابن مريم» من قوله: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ...﴾، ثم يبدأ: ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ التَّوْرَاةِ...﴾.

ويقف فى نفس السورة (سورة المائدة) على كلمة «فينبئكم» فى قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ..﴾، ثم يبدأ بقوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

كلها وقفات نورانية تبصرنا بكلمات القرآن الكريم وتضىء عقولنا وتفتح أذهاننا إلى فائدة الوقف والوصل مع اكتمال المعنى.

وفى سورة الأنعام: يتلو علينا القارئ الورع العالم الجليل محمد رفعت فيقف بذكائه على كلمة «والزرع» من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ..﴾، ثم يبدأ بقوله: ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ....﴾، ويقف على كلمة "ميتة" من قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَجِدُ فِى مَا أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾، ثم يبدأ: ﴿إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً..﴾، يقف أيضاً على كلمة فسقاً السابقة، ثم يبدأ: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...﴾.

ويا له من رجل عظيم الفهم لكتاب الله تعالى، يقف على كلمة «أجلٌ» عند قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ..﴾ فى سورة الأعراف.

ويقف فى سورة التوبة على كلمة «فعسى» من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى﴾، ثم يبدأ بقوله: ﴿فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ﴾ بطريقة لطيفة جميلة كلها تدبر فى آيات الله، ويقف فى نهاية السورة على كلمة "عليكم" من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، ثم يبدأ ويقول: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وفى سورة يونس: يقف على كلمة «وظنوا» من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا﴾، ثم يبدأ ويقول: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾، ثم يقف على كلمة «مظلما» من قوله تعالى فى نفس السورة: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾، ثم يبدأ بداية عجيبة فريدة لم نعهدها عند غيره من القراء فيقول: ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وبالقراءات المختلفة يستطيع بجمال صوته وبراعته فى الأداء أن يرينا ما لم نره من قبل فى دنيا التلاوة وذلك عند قراءته لقوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ...﴾.

ويأتى فى سورة هود، ويرينا المشاهد كأنه تقع وتحدث أمام أعيننا، فيقف على الحرف «لولا» من قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا﴾، ثم يبدأ بقوله: ﴿أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾، ثم يقف على كلمة «استطعتم» من قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾، ثم يبدأ بقوله: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ويقف على كلمة «الرأى» من نفس السورة عند تلاوته لقوله تعالى: ﴿... وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾، ثم يبدأ بقوله: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾، وفى نفس السورة يقف على كلمة «أتنهانا» من قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا﴾، ثم يبدأ: ﴿أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، ويقف على كلمة «تخف» من قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾، ثم يبدأ: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾، وفى نفس السورة يقف على كلمة «يجادلنا» فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا﴾ ثم يبدأ: ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾، ويقف على كلمة «نفعل» وقفة

مدهشة محيرة فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ﴾ ثم يبدأ: ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾.

ويتجلى الشيخ رفعت بتلاوته لسورة يوسف ووقفاته الرائعة المذهلة، والتى لا يستطيع أحد أن يطاوله فيها، فيقف على كلمة «أتمها» فى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا﴾، ثم يبدأ: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، ويقف على الفعل «لتنبئنهم» فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾، ثم يبدأ بقوله تعالى: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾، ويقف على الفعل «فكذبت» فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾، ثم يبدأ: ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وقفا وابتداء هادفين للمعنى، ويقف على كلمة «مؤذن» فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾، ثم يبدأ: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

ويأتى فى سورة الرعد، ويرينا ألوانًا عجيبة من الوقفات والابتداءات قمة فى الأداء وروعة فى البلاغة وعبقرية فى التلاوة، فيقف على كلمة «الحسنة» فى قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾، ثم يبدأ بقوله تعالى: ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ...﴾، ويقف على كلمة "كباسط" فى قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ﴾، ثم يبدأ: ﴿إلا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾.

وفى سورة إبراهيم، يقف الشيخ الجليل على الفعل «يعبد» فى قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ﴾، ثم يبدأ بقوله: ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

ويقف فى سورة الحجر على كلمة «عبادك» فى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ﴾، ثم يبدأ بقوله تعالى: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

ويقف فى سورة النحل على الفعل «وخلقها» فى قوله تعالى: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾... هو لا يقف لقصر نفسه، إنما هو قارئ بصير يعى كل كلمة يقرؤها.

وفى سورة الإسراء يقف الشيخ الجليل وقفا مشوقا علي الضمير المجرور «لنا» فى قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا . . .﴾ ثم يبدأ بداية جميلة فيقول ﴿..... بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾ وفى سورة الإسراء، يقف الشيخ الجليل على كلمة «ويبشر» من قوله تعالى: وفى سورة الإسراء يقف الشيخ الجليل وقفا مشوقا على الضمير المجرور لنا ـ من قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا . . .﴾ ثم يبدأ بداية جميلة فيقول ﴿ . . . بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾. وفى سورة الإسراء يقف الشيخ الجليل وقفا مشوقًا على الضمير المجرور لنا ـ من قوله تعالى: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا . . .﴾ ثم يبدأ بداية جميلة فيقول ﴿ . . . بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾. ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ﴾، ثم يبدأ: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾، ويقف على الحرف «له» فى قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾، ثم يبدأ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾.

ويطالعنا بتلاواته النورانية لسورة الكهف والتى يصور لنا أحداثها كأنها تقع أمام أعيننا، وبوقفاته الرائعة المذهلة نراه يقف على الفعل «لنبلوهم» فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ...﴾ ثم يبدأ بقوله: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾، ويقف على كلمة «الحوت» فى قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ . . .﴾، ثم يبدأ: ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِى الْبَحْرِ عَجَباً﴾، ويقف على الفعل «فانطلقا» فى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّى عُذْراً (٧٦) فَانطَلَقَا﴾ ثم يبدأ: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾، ويقف على كلمة «ملك» فى قوله تعالى:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾، ثم يبدأ: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، كأنه يدعوك بوقفه على كلمة «ملك» للتفكير والسؤال عن هذا الملك استحضاراً للذهن وشوقاً لسماع بقية الحدث.

ويطالعنا في سورة طه، بوقفاته المعهودة التي تفرد بها وحده دون غيره من القراء، فيقف على كلمة «غنمي» في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾، ثم يبدأ: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٨)﴾، ويقف على الفعل "تخف" في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾، ثم يبدأ: ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١)﴾، ويقف على كلمة «الساحل» في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾، ثم يبدأ: ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ...﴾ ويقف، ثم يبدأ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، ويقف على كلمة «قدر» في قوله تعالى: ﴿... فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى..﴾، ثم يبدأ بداية لم ولن نعهدها عند غيره لا في الوقف ولا في الوصل فيقول: ﴿يَا مُوسَى (٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي(٤٢) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣)﴾، ويقف على كلمة «كتاب» في قوله تعالى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾، ثم يبدأ: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

ولم يتقيد الشيخ رفعت بوقف متكلف، إنما كان يقف أينما يريد ثم يعاود ويربط الكلمات بعد ذلك، نرى ذلك عند تلاوته لسورة النور فنراه مثلاً يقف على كلمة «كوكب» وهي تقع موقع الموصوف في قوله تعالى: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ..﴾، ثم يبدأ: ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ...﴾، أتبع الصفة بالموصوف عند عودته لتلاوة الآية الكريمة، ويقف على الفعل "يجده" في قوله

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ﴾، ثم يبدأ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ...﴾.

ونفتقد تسجيلاً لمولانا الشيخ رفعت من أول سورة «الشعراء» حتى ختام سورة «محمد»، ويأتى فى سورة الفتح، ويقف على اسم الإشارة «هذه» فى قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾، ثم يبدأ بقوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾، ويقف على كلمة «ذريتهم» فى سورة الطور فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، ثم يبدأ: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، مع إعادة لهذه الآية الكريمة بأوجه القراءات المتعددة بصوته الجميل الرخيم.

ويتجلى الشيخ رفعت بتلاوته العطرة لسورة الرحمن، حيث ينتقل بنا من زهرة إلى بستان ويطوف بنا فى رحاب الجنان، ويقف على الفعل «استطعتم» فى قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾، ثم يبدأ: ﴿إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾.

ويأتى فى سورة المزمل ويقف على الجار والمجرور «عليه» فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، ثم يبدأ بقوله: ﴿وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾، ويقف أيضاً على الجار والمجرور .. (به) .. فى قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾، ثم يبدأ: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً﴾.

ويأتى فى سورة الإنسان، ويقف على كلمة السبيل" فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾، ثم يبدأ بقوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلاً وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾، ويقف فى نفس السورة على الفعل «ولقاهم» فى قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ﴾، ثم يبدأ: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾، ويقف أيضاً على كلمة «فضة» فى قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ﴾، ثم يبدأ مع الوصل ويقول: ﴿بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾، ويقف على كلمة «وإستبرق» فى قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾، ثم يبدأ بقوله تعالى: ﴿سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾.

وفى سورة المرسلات لا يحرمنا من وقفه الإنسيابى مع الحرص على قواعد التلاوة وإتمام المعنى، فنراه يقف على كلمة «قدر» فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ﴾، ثم يبدأ ويقول: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾.

ويقف فى سورة النبأ على كلمة «الحق» فى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾، ثم يبدأ :﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾.

وبتلاوته لسورة المطففين يطالعنا بوقفه على كلمة «مسك» فى قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾، ثم يبدأ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

وفى سورة البروج يطالعنا ملك قراءة القرآن محمد رفعت ويرينا الأحداث وهى تقع أمام أعيننا بتلاوته الكريمة ووقفه المدهش، فيقف على كلمة «وشاهد» فى قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ﴾، ثم يبدأ: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾

وكلها وقفات عظيمة مدهشة تدعوك للاستماع والاستمتاع بعظمة وجلال القرآن الكريم وتدل على أنه قارئ مجدد بصير بالقراءة، وكأنه يقول لك: اقرأ القرآن فهو كتاب يسره الله للعالمين، للإنس والجن على اختلاف أجناسهم وألسنتهم، وكأنه يقول لغير العربى: تعلم القرآن فهو كتاب سهل فى تعلمه، فالجاهل تعلمه وحفظه، والأمى قرأه وحفظه، وحتى الأعجمى تعلمه وحفظه ودرسه وفهمه، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

إن عظمة صوت الشيخ رفعت تتمثل فى عدم تكلفه فى التلاوة، فالمتأمل لصوته يجد أنه يقرأ القرآن على مكث متمثلاً قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾.

ولقد فرق علماء البلاغة العربية بين المطبوع والمصنوع، فالمطبوع هو ما جاء من الطبع والفطرة مع تنمية الموهبة والفطرة والمصنوع هو المتكلف المغالى فيه،

ومما لا شك فيه أن الشيخ محمد رفعت كان يقرأ القرآن بلا تصنع ولا تعسف ولا تكلف ولا مغالاة، بل كان مطبوعاً وكان القرآن يخرج منه وكأنه جاء إلى هذه الدنيا ليقرأه على الناس.

تلك كانت قصة الحنجرة الذهبية الخاشعة التى سحرت ملايين المسلمين كأن صوته من الجنة يضىء الوجدان ويحيى القلوب والضمائر، احتبس صوته فى المسجد فتعطلت القيثارة السماوية إلى الأبد.

* * *

كيف كان يطوّع صوته حسْب المشاهد القرآنية؟؟

موهبة فطرية فذة وقدرة موسيقية عجيبة على تطويع الصوت حسب المشاهد القرآنية، كان يضع قلبه فى معانى آياته وروحه فى حروف كلماته ...!!.

وأهم ما يميز قيثارة السماء الشيخ محمد رفعت استيعابه المذهل لمعانى القرآن الكريم وارتباط اللفظ بالمعنى، بحيث كان يصور المعنى تصويرًا يملأ شغاف قلب السامع وكان صوته يجمع بين الخشوع وقوة التأثير ويعرف مواضع الترهيب والزجر والتشويق والترغيب وكان يطوع صوته تبعًا للآية التى يتلوها، فتارة تراه إعصارًا فى قوة وتارة أخرى يفيض عذوبة ورقة.

إن الشيخ رفعت فى صوته ما هو إلا آية من آيات الله فى خلقه كان على عكس البعض من القراء صوتهم يخرج من حناجرهم ولكن صوته كان يخرج من القلب فيلمس قلب المتلقى فيحدث به هدوءًا وطمأنينة.

ويتحدث الأستاذ محمد عبد الوهاب عن ذلك فيقول: "كان الشيخ رفعت يعرف مواضع الترهيب والزجر وأساليب التشويق والترغيب، فيكون إعصارًا عنيفًا، أو نسيمًا رقيقًا ولم يكن الشيخ رفعت فنانًا فى أدائه الصوتى وحسب، بل كانت روح الفنان تغمر جوانب مضيئة من حياته، كان يحب الموسيقى ويعشقها وقد دفعه هذا الحب إلى دراستها، فقد تعلم قواعدها وأصولها على أيدى كبار الملحنين فى عصره وحفظ منهم عشرات من الأدوار والقصائد والتواشيح وتعلم

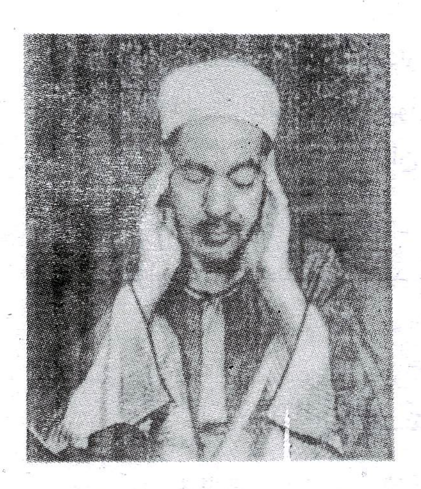
العزف على العود، كما كان يتلقى دروسًا متواصلة فى التفسير ـ تفسير القرآن الكريم وفى علم القراءات بكل أعدادها.

ويقول الشيخ أبو العينين شعيشع: إنه لم يأت قبل الشيخ رفعت ولا بعده قارئ يرتل ترتيله؛ لإيمانه بالله وخشوعه وإحساسه بالقراءة والشيخ رفعت كما أرى «سمِّيع» بقدر ما هو قارئ مجيد، وهو أيضًا (كما أرى) القرآن الذى يسمع حقًا فقد كان يقرأ من جميع النغمات والطبقات وبالتدرج على الأصول المرعية فى الأداء.

وقال المرحوم الأستاذ كامل الشناوى: «لقد بهر الشيخ محمد رفعت معاصرين وملأ دنياه وشغل الناس؛ لأنه لم يكن فقط موهبة صوتية وإنما كان إنسانًا مخصوصًا بتلاوة القرآن الكريم، كان كأنما وجد فى الدنيا ليتلوه على الناس ويرتله ترتيلاً متمثلاً آياته مصورًا معانيه مرددًا ألفاظه فى أداء رائع من جديد».

كان يضع قلبه فى معانى آياته وروحه فى حروف كلماته واعيًا متدبرًا ما يتلو وكان يعيش محكم آياته تعالى وينطبق عليه قول الله سبحانه: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقوله: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨]، فإذا تلا من آيات الثواب والرحمة استبشر صوته كأنه يستقبل نفحة من الجنة وإذا مر بآيات العذاب سرت فيه رجفة ورعدة كأنه يخشى حسابًا عسيرًا.

إن جيل آبائنا عندما يسمع صوت الشيخ رفعت الآن من شرائطه وأسطواناته يعودون بذاكرتهم إلى سهرات الإذاعة المصرية فى رمضان فى الثلاثينيات والأربعينيات حين كان الشيخ رفعت يقرأ كل ليلة فيضىء الوجدان وتطمئن النفوس وتستريح الضمائر بعد نهار الصوم، فاسم الشيخ رفعت ظل مرتبطًا بشهر رمضان يتذكرهما الناس معًا وينتظرونهما معًا كأنهما معنى واحد "شهر القرآن وخادم القرآن..".



ويقول الأستاذ كمال النجمى: "كان حين التلاوة يضع قلبه فى معانى آياته وروحه فى حروف كلماته متدبرًا ما يتلو تدبر المؤمن كأنه يرفع أمام بصيرته فى كل وقت هذا السؤال القرآنى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، إذا تلا آية من آيات الثواب والرحمة رفع صوته عندها فرحًا مستبشرًا كأنه يستقبل رائحة الجنة وإذا مر بآية من آيات العذاب والنقمة سرت فى صوته الرعدة والرجفة والخشية كأنه يخشى أن يختل توزانه فوق الصراط.

وكان صوته العجيب يمثل لسامع القرآن التوبة والدعاء والضراعة والتنزيه والتسبيح والندم والاستغفار، كانت دموع قلبه تجرى فى نبرات صوته، فتلاوته حزينة باكية، ووجدانه ممتلئ بهذه الآية: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، ويياله مشغول فى كل لحظة بقول النبى (ﷺ): «إن هذا القرآن نزل بحُزن فاقرءوه بحُزن»، وكلما سمعت الآن (ونحن فى رمضان) تسجيلاً للشيخ رفعت تذكرت سهرات رمضان البعيدة التى كانت تضىء فى الإذاعة كل ليلة فى قلوب الناس بتلاوة القرآن، كان صوته يحمل للمستمعين فى كل البلاد راحة الضمير واطمئنان النفس وحلاوة الثقة بعد نهار الصوم الطويل فى الصيف أو نهار الصوم القصير فى الشتاء.

وكان اسم الشيخ رفعت مرتبطًا بشهر رمضان يتذكرهما الناس معًا وينتظرونهما معًا كأنهما معنى واحد من معانى الإيمان وجمال الوجود، وانقسم فكان مادة إنسان ومادة زمان.

وكان صوت الشيخ رفعت خاشعًا دامعًا حزينًا يستدر دموع السامعين ويستحضر خشوعهم وقد لبث (رحمه الله) يبكيهم ويرقق أفئدتهم لآيات الثواب والعقاب وقتًا طويلاً، حتى أبكاهم فى نهاية أمره على نفسه، وأسال دموعهم على صوته.

يتكلم أحد المتحدثين عن مقدار تفهم الشيخ رفعت لمعانى القرآن الكريم وحسن أدائه لمعانى الوعد والوعيد فيقول: ومن حرمة القرآن أن يستعمل القارئ فهمه وذهنه حتى يعقل ما يخاطب به وأن يقف على آية الوعيد فيستعيذ بالله منه.

وفى حلقات عن إمام المقرئين، حلقة (٣) يتحدث الأستاذ محمد صفوت عن ذلك فيقول: يهزنا الشيخ محمد رفعت ويمس شغاف قلوبنا بترتيله لآيات الله وتصويره لها فإذا ما سمعته يقرأ فى سورة الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(آية ٢) سمعت فى صوته نغمة الشكر والحمد على عطاء الله ونعمته، وفى قراءته: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (آية ٦) تشعر بضراعته فى طلب الهداية.

وفى سورة البقرة عندما يقرأ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)﴾ من سورة البقرة تشعر فى صوته الابتهال والخشية من قدرة الله وعظمته فى الخلق، وفى تلاوته للآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا وعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)﴾ من سورة البقرة نحس فى صوته الاستبشار بثواب الله للمؤمنين، وفى نفس السورة عندما يقرأ: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾(آية ٦٩) نجده يعايش الآية فتصدر كلمة ما لونها؟ بنغمة الاستفسار.

وفى آل عمران عندما يتلو الآية: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠)﴾ تلمس فى صوته تعجب سيدنا زكريا عندما بشرته الملائكة بسيدنا يحيى، لكنه أمل فى قدرة الله.

وفى سورة النساء، نسمع فى قراءاته للآية: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾، نغمة للإقرار بعدم قدرة الزوج على العدل الكامل بين الزوجتين، ونرى صوته يعلو فى رجاء وحث فى قراءته للآية ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

فى سورة المائدة، وفى نفس السورة يحمل صوته لعنة الله على اليهود فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾، وعندما يتلو قوله سبحانه فى سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، يصور لنا لحظة الموت الرهيبة بالنسبة للكافرين الذين يلقون العذاب عند طلوع الروح وكراهية الملائكة لهذه الأرواح بسبب إعراضهم عن ذكر الله، وفى نفس السورة ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(٩٥) فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(٩٦)﴾ (الأعراف ٩٥، ٩٦) نسمع ترنيمة إلهية بقدرة الله على الحياة والموت والسيطرة على الزمن والنعمة التى أسبغها الله على عباده، ونسمع نغمة التحذير فى صوت عال منبهًا إلى ما وصى به الله تعالى فى قوله: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)﴾ (الأنعام ١٥٢).

وفى سورة الأعراف نسمع نغمة الزجر عن ارتكاب الفواحش والتذكير بأجل الإنسان المحتوم فى ميعاده الدقيق وصوت الشيخ يجلجل فى رعدة وتحذير فى قراءة الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ(٣٤)﴾.

ثم نحس بنغمة الاستبشار وكأنه يستقبل نغمة من الجنة فى تلاوته لقوله تعالى فى سورة التوبة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(٧٢)﴾ (التوبة ٧٢)

ثم تهتز مشاعرنا بنغمة التذكير بآيات الله فى دورة الليل والنهار فى تلاوته لقوله عز وجل فى سورة يونس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٥)﴾(يونس ٥) وفى نفس السورة نسمع من الشيخ رفعت صرخة التذكير بيوم الساعة التى لا يعلمها إلا الله عندما يتلو قوله سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ

الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٢٤)﴾ (يونس ٢٤).

وفى سورة هود تعلو صوت الشيخ نغمة الرضا والاستبشار والسعادة لما ينال المؤمنين من خير فى الجنة إلى ما شاء الله وذلك فى تلاوته للآية: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾. (هود)

وفى سورة يوسف نسمع نغمة الإشفاق الباكية التى صدرت من سيدنا يعقوب والخوف على ابنه الثانى بنيامين بعد أن فقد يوسف وذلك فى تلاوة الشيخ للآية: " قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ "، وفى نفس السورة نسمع من صوت الشيخ محاولة التبرئة على لسان إخوة يوسف من تهمة سرقة صواع الملك فى قراءته لقوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ(٧٥)﴾

وفى سورة الرعد ـ وهى سورة تهز السامعين ـ نلمس الرعدة والخشية فى صوت الشيخ وهو يتلو كلام رب العالمين﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ(١٣)﴾

ثم نسمع صرخة الشيخ الداعية إلى تغيير أنفسنا إلى ما هو أفضل وأنقى فى تلاوته للآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(الرعد ١١)، كما نلمس الضراعة فى الدعاء فى ترتيله لقوله تعالى : ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)﴾ سورة إبراهيم.

ويصور لنا بصوته عصيان إبليس لأمر الله بالسجود لآدم وطرده من الجنة فى سورة الحجر فى تلاوته لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ(٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ(٣٥)﴾

ثم ينتشى صوت الشيخ فرحًا واستبشارًا للمؤمنين الذين لم يستمعوا لغواية إبليس الذين أثابهم الله فى جنات النعيم ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ(٤٦)﴾ «الحجر»

وفى سورة النحل تذكير بنعمة الله فى عسل النحل يصوره لنا صوت الشيخ لدى قراءته للآية:﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٦٩)﴾ وفى سورة الإسراء نعمة التذكير بالأمانة التى حملها الإنسان والمسئولية الملقاة على عاتقه تسمعها من الشيخ رفعت فى تلاوته لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ [الإسراء: ١٣:١٤].

كما نسمع الدعوة الحارة إلى صالح العمل فى نفس السورة عندما يتلو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا(١٩)﴾ [الإسراء: ١٩].

وفى سورة الكهف يصور لنا صوت الشيخ رفعت طلوع الشمس وغروبها وهى تميل عن أهل الكهف فى قول ربنا سبحانه: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)﴾[الكهف: ١٧] ،ويصور لنا صوته ذلك الرعب الذى يملأ من يشاهد أهل الكهف الذين ظلوا نيامًا ويحسبهم المشاهد أيقاظًا وقد طالت لحاهم وامتدت أظافرهم وكأنهم أشباح من قرون خالية وذلك عندما يقرأ الشيخ، قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا(١٨)﴾. [الكهف:١٨].

وفى نفس السورة يصور بصوته هلع الكافرين عندما يتناول كل واحد منهم كتابه بشماله وقد أحصى كل ما عملوه فى دنياهم وذلك فى تلاوته للآية الكريمة: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ

أَحَدًا(٤٩)﴾ [الكهف:٤٩] كما يصور بصوته فى نفس السورة تعب سيدنا موسى وفتاه (ذى النون) فى مسيرتهما للقاء سيدنا الخضر عليه السلام عند التقاء البحرين وذلك فى تلاوته للآية الكريمة: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢)﴾ [الكهف ٦٢] ثم نغمة الاعتذار من موسى لسيدنا الخضر (عليهما السلام) بسبب نفاد صبره فى الآية: ﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا . .﴾. [الكهف:٧٣: ٧٤].

وبصوته العذب الملائكى فى سورة مريم يصور دهشة السيدة مريم؛ لأن الله سيهبها غلامًا رغم عدم زواجها وذلك فى الآية: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ . . .﴾.

كما يصور خوف سيدنا موسى وطمأنة الله له عندما تحولت العصا إلى حية فى قراءته لقوله تعالى من سورة طه: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى (٢١)﴾ [طه:١٩ ـ ٢١].

وفى سورة الحج يصور لنا بصوته تلك الصورة الفريدة فى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ(٣١)﴾ [الحج:٣١] وفى سورة النور تسمو نغمة الشيخ وكأنه يبتهل ويرقى إلى درجات علوية من الروحانية وهو يتلو قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾ [النور: ٣٥].

وفى سورة الفرقان نسمع نغمة الندم حيث لا ينفع الندم، من الظالم الذى يعض على يديه يوم القيامة عندما يتلو قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً(٢٩)﴾. (الفرقان ٢٧ :٢٩)

ويمثل صوته نغمة القوة واليأس على لسان جنود بلقيس عندما جاءها كتاب النبى سليمان يدعوها للإيمان ويردون على فتواها بهذا الشأن فى الآية الكريمة من سورة النمل: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣)﴾

وفى سورة الفتح يصور الشيخ بصوته كيف رفع الله الحرج عن الأعمى وعن الأعرج والمريض وأن الثواب جزاء المطيع مهما تكن حالته وذلك فى قوله:﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[الفتح:١٩]...

وفى سورة الطور يصور لنا الشيخ الفرح والاستبشار وهو يتلو قول ربنا العظيم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠)﴾. (الطور ١٨:٢٠)

وفى سورة القمر يعلو صوت الشيخ ويرتفع ويهز السامع مصورًا الطوفان الذى نزل على قوم نوح لما كذبوا به عند تلاوته سبحانه: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(١٢)﴾ ونسمع نفس الصرخة المهولة فى قراءته للآية التى تصور ما أصاب قوم عاد جزاء عنادهم وتكذيبهم لسيدنا هود وهى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ(١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)﴾. (القمر ١٩:٢٠)

والآية التى تصور ما أصاب ثمود قوم صالح - لما عقروا ناقة نبيهم وتقول الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)﴾ (القمر٣١)

أما تلاوة الشيخ (رحمه الله) لسورة الرحمن فهى تلاوة سامية نورانية ولا يدرك سموها إلا من سمعها ويصور لنا صوته ما يحدث عند قيام الساعة فى تلاوته لقوله تعالى فى سورة الواقعة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ(١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ(٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ(٣) إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا (٤)﴾ (الواقعة ١:٤) إلى آخر تلك المعانى من رج الأرض ونسف الجبال .. إلخ.

ويتلو (رحمه الله) سورة الحديد فتلمس خشوعه لعزة الله وملكوته فى قراءته لكلام الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢)﴾ (الحديد ٢،١)

ونفس الخشوع فى سورة الحشر وأيضًا نغمة الوعيد للكفار واليهود والذين كفروا بالله ورسوله فأعد الله لهم العذاب فى الدنيا والآخرة: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ(٤)﴾ [الحشر: ٤]

ونلمس نغمة التقرير لحدود الله التى رسمها فى الطلاق وذلك فى تلاوة الشيخ لقوله تعالى فى سورة الطلاق: ﴿يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ . . .﴾، ويملك الشيخ مشاعرنا فى تلاوته للحاقة وما يحدث للكفار من جزاء فتصيب صوته رعدة شديدة ويهزنا بتلاوته: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ(١٥)﴾ [الحاقة ١٣ ـ ١٥].

وفى سورة الجن: تصوير لإيمان الجن بالقرآن لما سمعوه يتلى على الناس قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا(١٣)﴾ [الجن:١٣].

أما ترتيل الشيخ لسورة المزمل فهو ترتيل خاشع متبتل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) وفى سورة القيامة يتلو الشيخ مصورًا هذا اليوم العظيم: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ(٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠) كَلاَّ لا وَزَرَ(١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢)﴾. (القيامة ٧:١٢)

وتصور قراءته لسورة الإنسان حال المؤمنين وحال الكافرين فى قوله تعالى:﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلاً وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)﴾ (الإنسان ٤:٦).

واستمع إلى تلاوته فى المرسلات والنبأ والنازعات والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق والبروج والطارق والأعلى والغاشية والفجر والبلد والشمس والليل والضحى والشرح والعلق والقدر والزلزلة والعاديات والقارعة والتكاثر والعصر والهمزة والفيل وقريش وهى تلاوة خاشعة باكية وكأنها ابتهالات ربانية فى محراب الإيمان.

وكان المرحوم الشيخ مصطفى إسماعيل عندما يقابل حسين ابن الشيخ محمد رفعت يقول له: أهلاً بابن رئيس جمهوريتنا، وهو يقصد بذلك زعامة التلاوة القرآنية.

هكذا رأينا الموهبة الفطرية الفذة التى أودعها الله فى قلب الشيخ محمد رفعت (رحمه الله)، والقدرة الموسيقية العجيبة على تطويع الصوت حسب المشاهد القرآنية المختلفة.

***

الشيخ محمد رفعت
مدرسة متفردة لم تتكرر حتى الآن!!

يعد الشيخ محمد رفعت ـ من أعظم قراء القرآن الكريم على مر العصور ـ فقد استطاع بصوته العذب الخاشع أن يغزو القلوب والوجدان فى قراءته للقرآن.. ويكون صوته الشجى ولا يزال يشرح الآيات ويفسرها وهو فى قمة الخشوع والتأثير.. فكان رحمه الله أسلوبًا فريدًا ومدرسة متفردة.. وأحد الأقطاب الذين ساهموا فى تشكيل وجدان الشعب المصرى.. فكان كفاحه الأكبر فى تنمية موهبته وصقلها، كما كان همه طيلة حياته تلاوة القرآن الكريم وتبليغ رسالته وتميز بأمانته وحسن صوته وموسيقية الأداء حتى أطلق عليه قيثارة السماء...

يقول الشيخ أحمد محمد عامر: شاءت إرادة الله أن تلقى أذنى صوت مولانا الشيخ محمد رفعت لأول مرة قبل وصول الكهرباء... حيث كتب الله لى أن يتوفى شيخى الذى يحفظنى القرآن الشيخ الشرباص، فذهبت إلى قرية العززية مركز المنزلة لأكمل تعليمى عند شيخى إبراهيم نجم وعند وصولى إلى المنزلة وجدت مقهى كبيرا وله راديو كبير الحجم ولاحظت أن رواد المقهى يلتفون حول هذا الراديو تاركين أدوات التسلية والمشاريب ليسعدوا بصوت معجز وكأنه من الجنة ومن خلال تلاوته عليه رحمة الله وجدت أن صوته يجذب الآخر بشدة من أول ما يقرأ حتى ينتهى ـ صوت مفيش زيه ـ ليس له مثيل .. مما دفعنى أن أقوم بشراء جهاز الراديو المزود بالحجارة، لأتمكن من سماعه وحاولت أن أقلده كثيرًا فلم أستطع ودفعنى حبى للشيخ رفعت إلى الذهاب إلى القاهرة لمقابلته بالمسجد الذى كان يقرأ فيه سورة الجمعة فاضل باشا بدرب الجماميز ـ بالسيدة زينب ـ رضى

الله عنها ـ وإذا بى أجد المسجد قد امتلأ عن آخره من الساعة التاسعة والنصف صباحًا فلا أجد موضوعا لقدم حبًا فى الشيخ رفعت رحم الله الشيخ رفعت فقد كان أول شىء تفتحت أعيننا عليه..

ويضيف الشيخ محمد السيد ضيف: حينما أسمع مولانا الشيخ رفعت يخيل إلىّ إنه ولد فى الجنة ثم أهداه الله لنا ليقرأ لنا فى الدنيا لنشعر بحلاوة القرآن وجماله بعد خروجه من هذه الحنجرة الذهبية الربانية.. وأقسم بالله العظيم أننى سمعته ذات مرة وأنا نائم مستغرق فى النوم ـ فاستيقظت على صوته وأحسست أننى متُّ وأدخلنى ربى الجنة وأننى أسمع هذا الصوت فى جنة عدن..

أضاف الشيخ ضيف: الشيخ رفعت ليس ككل القراء الذين نسمعهم فى عصرنا فهو صاحب الصوت الملائكى والخلاصة أنه معجزة القرن العشرين والواحد والعشرين..

ويغوص الشيخ محمد الهلباوى ـ أستاذ التواشيح ـ وكان واحدًا من بطانة الشيخ طه الفشنى ـ فى بحر علم نغم الشيخ رفعت فيقول: أقيم صوته فأقول: صوت قيثارة السماء فضيلة الشيخ محمد رفعت ندى، نادر، نحيل.

ندى.. يجذب الآذان حتى تنتهى تلاوته، نادر.. صوت نادر الوجود، يملك الدواوين الثلاثة «أكتاف» ووصف النحيل أى أن صوته ليس بعريض أى ليس بخشن يعنى ذهبى، والنحيل مثقف أى درس المقامات الصوتية الشرقية والغربية، لأنه كان يستمع إلى الموسيقات الغربية «موتسارت» معروفة عند الفرنسيين ـ موزار.

هى موسيقات عالمية واستمع الشيخ رفعت إلى الموسيقات الشرقية مثل بلاد فارس وتركيا والعراق.

أما نادر فأقول: نادر الوجود فلم نستمع إلى صوت جاء قبله أو بعده يواكب الكلمة بمكانها.. بمعنى أنه إذا قال الشيخ رفعت «السماء» تكون عالى بالجواب العالى وإذا قال الأرض يصبح من القرار وإذا قرأ من المنتصف يقولها من الوسط أى ما بين الجواب والقرار وهكذا وكان الشيخ رفعت يصور معنى الجملة

بالمقامات أى إذا تلا قوله تعالى: «وأُزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ» هذه بشارة، والبشارة تقال بمقام الفرح وهو مقام (الراست).. وإذا تلا قوله الله: «قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله» يقولها من مقام الصبا وهو مقام الحزن فتراه يبشر فى مقام البشارة وينذر فى مكان الإنذار.

وهذا الرجل كان وليا من الله وأفضل قصة قصها لنا ولده حسين قال حسين: كان أبى يصلى العشاء فى مسجد السيدة زينب إن لم تكن عنده مواعيد.

وفى يوم من الأيام صلينا العشاء ثم خرجنا من المسجد وأنا معتقد أننا سنتوجه إلى البيت فإذا بوالدى يقول لى: لا تتجه ناحية البيت يا حسين سنذهب إلى شارع مارسينا.. يقول حسين محمد رفعت فذهبنا بالكارتة إلى هناك وأنا متعجب وهناك رأينا حفل «مأتم» فقال لى والدى: توقف هنا.. وحينما توقفنا وجدت الجميع يلتف حول والدى... فقال لى والدى... يا حسين اذهب وأحضر إلىّ صاحب المأتم بسرعة، فأسرعت وأحضرت له صاحب المأتم وكان شابا صغير السن فوجدت والدى يقول له: ألم توصك أمك قائلة لك عندما أموت تأتى لى بالشيخ محمد رفعت فهو الذى يقرأ مأتمى؟

- فتعجب الشاب وقال : نعم هى أوصتنى بذلك ولم يكن معنا إلا الله فمن الذى أعلم الشيخ رفعت بذلك؟ وقال الشاب للشيخ رفعت: ولكن يا مولانا لا أملك مالا حتى أنفذ وصية أمى، فقال الشيخ: يا بُنى إن الوصية لابد أن تنفذ فاذهب إلى مَنْ يقرأ واستأذنه فى أن أنفذ الوصية..

واختتم الشيخ الهلباوى أفمن أخلص للقرآن كما كان يفعل الشيخ رفعت فتح الله عليه ما لم يكن فى وسعه، وصدق رسول الله ﷺ القائل فى حديث شريف: «رب قارئ للقرآن والقرآن يرحمه» رحم الله الشيخ رفعت رحمة واسعة...

وهذا الشيخ محمد محمود الطبلاوى نقيب قراء جمهورية مصر العربية يصنف الشيخ محمد رفعت فيقول هو عمدة المقرئين بلامنازع، والشيخ العملاق محمد رفعت ليس فى حاجة لأن نتكلم عنه فهو عمدة المقرئين.. وأرى أن كل

الأسماء الكبيرة رحلت ودُفنت أسماؤهم معهم إلا مولانا الشيخ محمد رفعت فمازال موجودا بيننا بصوته العذب وبتقواه، وكان رحمه الله يقرأ القرآن للقرآن.

شرفت برؤيته أكثر من مرة، كان طيب القلب... زاهدا فى الدنيا .. طلبت منه النصح فأوصانى بألا أكف عن مراجعة القرآن مهما حدث قائلاً لى: أقرأه وأنت تمشى، راكب السيارة، فى العمل، المهم أنك تقرأ.

ويعطينا الشيخ الكبير والعالم الجليل الذى أصفه بمعلم القرآن فى العصر الحديث، والشيخ محمد خليل الحصرى، صورة عن قراء القرآن الكريم فيقول:

ولكل قارئ من القراء أسلوب خاص فى القراءة .. فما يميز هذا القارئ... قد لا يميز قارئا آخر.. وهذا التنوع فى الأداء وفى الأسلوب، هو فى الحقيقة ثراء واسع تختص به مصر فى قراءة القرآن...

فما يميز الشيخ محمد رفعت.. نجد غيره فى الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى، والشيخ محمود خليل الحصرى له سمات غير تلك التى توجد عند الشيخ مصطفى إسماعيل أو الشيخ عبدالباسط عبدالصمد أو الشيخ محمود على البنا أو الشيخ الطبلاوى والشيوخ غلوش وعبدالعظيم زاهر ومحمود عبدالحكم..

وكل جيل من القراء يختلف فى طريقته وفى بيئته عن الجيل الذى جاء بعده، غير الجيل الجديد من القراء...

ولا شك أن الأصوات الحديثة.. غير الأصوات القديمة، فالأصوات الحديثة وجدت التسهيلات التى كان يفتقدها فى الماضى المقرئون القدامى. ففى الماضى لم تكن هناك مكبرات للصوت، ولم تكن هناك إذاعات.. وكان القارئ يعتمد على حلاوة صوت وقوة نبراته، وحلو نغماته.. أكثر من أى شىء آخر...

كذلك فإن جمهور السامعين فى الماضى يختلف عنه الآن فقد كان «سمّعية» الثلاثينيات مثلا، غير «سمّيعة» الخمسينيات أو الستينيات أو السبعينيات. وأيضًا فإن القراءة فى عصر بداية تأسيس الإذاعة، غيرها فيما تلى ذلك من حقب.. اتسعت وتنوعت فيها موجات الأثير، وزادت فيها قنوات التليفزيون.. وهكذا.

وفى الماضى أيضًا.. كان القارئ «محلى».. إن صح هذا التعبير... وكان همّ كل قارئ أن يبدأ فى قريته ثم يصل بصوته إلى العاصمة.. وهذا منتهى ما كان يرغب فيه.. أما الآن فالقارئ يركب السيارة والطائرة.. ويلف بلاد العالم من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب..

زمان كان القارئ يحفر طريقه بأظافره ومؤهلاته الصوتية ومواهبه .. وكان يبنى «صيته» .. بعد الكثير من العنت والإرهاق.. أما الآن فالطريق صار سهلا وميسورا وليس صعبًا مثل أيام زمان...

وزمان أيضًا كانت الدنيا غير الدنيا، كانت الدنيا سخاء ورخاء، وكانت القناعة كنز لا يفنى.. فلم يكن القارئ يشترط أو يساوم ـ مع التماس العذر ـ على إحياء ليلة.

وزمان أيضًا كان لكل قارئ شهير ندوة.. يجتمع فيها مع رواد ندوته، وكانوا من العارفين بالأنغام والأصوات ومن الملحقين أو الدارسين لتفاسير القرآن وعلم الموسيقى والقراءات، وهؤلاء الرواد كانوا دائمًا وراءهم محبيهم من القراء... مثل نجوم الفن والأدب..

وعلى ذكر الجماهير.. «السمّيعة».. فنحن نلمس الآن أنهم يختلفون عن زملائهم أيام زمان، الآن تعود كثير من الناس رفع أصواتهم بنحو «الله..الله» .. وألفاظ أخرى يوجهونها إلى قارئ القرآن.. تشجيعا له، كلما أعجبتهم قراءته..

بحيث ينقلب هذا الاستحسان إلى نوع من التشويش والتهريج الكريه، وخصوصًا فى بيوت الله... التى يذاع منها القرآن الكريم على موجات الأثير.. هذا بالرغم من أن الحديث الثابت يقول: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وشراءكم ورفع أصواتكم»

ويعبر الأستاذ الصحفى محمد الأبنودى مدير تحرير عقيدتى عن خواطره فى ذكرى الشيخ محمد رفعت فيقول:

منذ أن تفتحت عيناى على الدنيا وأنا كغيرى من ملايين المستمعين عاشق لصوت قيثارة السماء الشيخ محمد رفعت ـ رحمه الله ـ ذلك القارئ الذى

يشعرك بأنه يقرأ القرآن ليس كأى قارئ آخر.. لكنه يبحر بك فى ملكوت الآيات وجلالها.

ورغم مرور ١٣٠ عامًا على ميلاده إلا أنه لايزال هو القارئ الكبير الأول المتربع على عرش التلاوة بلا منازع حسب استطلاع رأى المستمعين والذى أجرته إحدى القنوات الفضائية الدينية حول قراء القرآن الكريم الأكثر تأثيرًا فى المستمعين.. رغم ظهور العديد من المدارس القرآنية المتميزة فى فن التلاوة والتجويد ورغم ظهور المحسنات الصوتية التى لم يعرفها الشيخ إلا أن مدرسته كانت ومازالت هى الأولى والمتفردة خلال القرن الحالى.

ولقد شهدت السنوات الماضية ظهور العديد من قراء القرآن فى مصر والعالم الإسلامى الذين لهم باع طويل فى دنيا التلاوة وذاع صيتهم كل أرجاء الدنيا إلا أن هؤلاء الكبار لم يستطع أحدهم أن يقترب من صوت الشيخ الذى يعد أكبر وأعظم قارئ فى عصره وحتى كتابة هذه السطور... فلا يوجد صوت يضاهيه أو حتى يقاربه فى جماله وقوته ورقته وخشوعه وعبوديته.. ولا يوجد قارئ من كبار قراء هذا الزمان إلا وقد استمع وتعلم من الشيخ رفعت.. فقد أطرب بصوته الآذان وزلزل الأبدان ورقق القلوب وخشعت وعاشت مع هذا الصوت الربانى وصاحبه، فاستحق لقب معجزة السماء على الأرض لأنه بصوته الجذاب يرفعك إلى مستوى الآيات ومعانيها..

لكن أمام هذا العلم القرآنى الكبير فى دنيا التلاوة تجدنى أقف مذهولا أمام الموقف السلبى من المؤسسة الدينية والثقافية لإحياء ذكرى الرجل الذى ملأ أرجاء الدنيا بصوته العذب وتلاوته الفريدة.

ويزداد عجبى حينما أعلم أن دولا كثيرة تحيى ذكرى القارئ الكبير فى ظل التجاهل التام فى مصر.. فلا الأزهر يعرفه ولا الأوقاف تحيى ذكراه ولا الثقافة تذكرته... ولا حتى نقابة قراء القرآن الكريم قالت عنه شيئًا.. فى الوقت الذى تنشغل فيه إذاعاتنا بإحياء ذكرى الفنانين والمطربين والممثلين... رحمك الله يا شيخ رفعت جزاء ما قدمت لأمتك الإسلامية..

وهاك الأستاذ الكاتب الكبير والصحفى الساخر محمود السعدنى يعبر عن حزنه لما أصاب دولة التلاوة فيقول:

أكاد أستغفر الله - أشق الجيوب وألطم الخدود كما كانت تفعل النساء فى الجاهلية الأولى، وليس سبب حزنى وبلائى إلا القحط الشديد الذى أصاب دولة التلاوة بعد أن كانت أخصب بقعة فى غيط الفن العظيم فى الثلاثينيات وحتى الخمسينيات من هذا القرن، كانت مائدة التلاوة دسمة ومترامية الأطراف وعليها من كل بستان زهرة..

كان الشيخ محمد رفعت هو قيثارة السماء، كان صوته أشبه بخلطة ربانية من مزامير داود وهديل الحمام، وصوت الكروان الشارد فى سماء الله فى الليل الحزين..

وكانت خامات صوته من معدن نفيس قراراته ناعمة كالحرير وجواباته سليمة ومتقنة ومقتدرة وشامخة كأعلام فرقة من الجند فى طريقها إلى غزوة فى سبيل الله.

وكان مع الشيخ محمد رفعت عدد من المشايخ الموهوبين على رأسهم الشيخ مصطفى إسماعيل صاحب أعذب وأجمل وأرق صوت أنجبته أمة محمد وكان هناك الشيخ عبدالفتاح الشعشاعى صاحب الصوت القوى والنبرات الواضحة والفن العظيم. وكان هناك الشيخ عبدالعظيم زاهر وصوته الذى كان علامة رمضان المميزة وفاكهة رمضان المحببة إلى النفوس، وكان هناك عبقرى النغم والتلاوة الشيخ على محمود، أعظم صوت رفع الأذان فى تاريخ الأمة بعد صوت مؤذن الرسول سيدنا بلال وإلى جانب هؤلاء كان هناك عشرات من المقرئين المبدعين، الذين تجاوزت شهرتهم حدود مصر إلى الخارج فى وقت لم يكن العالم قد عرف من وسائل الاتصالات إلا التلغراف.

الشيخ الفيشاوى والشيخ القهاوى.. الشيخ منصور بدار، الذى دعاه الخليفة العثمانى ليكون قارئ الخلافة، وشهد فترة من بزوغها وعاش حتى شهد سقوطها، وعاد إلى مصر، وكان مأتم الزعيم سعد زغلول هو آخر مناسبة شعبية

تربع فيها الشيخ بدار على دكة المقرئين، ولكن كان هذا زمان ومضى، وخلت الساحة الآن إلا من قلة قليلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وهذه القلة الموهوبة هى التى حفظت دولة القراءة من الزوال، الشيخ عبدالباسط عبدالصمد والشيخ الطبلاوى والشيخ مصطفى غلوش، وسيصيبك الإجهاد حتما لو حاولت البحث عن آخرين لتضمهم إلى قائمة الموهوبين وسط هذا الكم الهائل من المقرئين الذين تزدحم بهم مصر هذه الأيام، والصوت الجميل فى دولة التلاوة ليس ترفا، ولكنه شرط أساس لابد أن يتوافر فى كل من يتصدى لهذا الفن الجليل.

- ويقول فؤاد حلمى عضو لجنة الاستماع للقارئين بالإذاعة: امتلك الشيخ رفعت صوتا ملائكيًا لا يتكرر، كان سببًا فى تقريب الناس من الإذاعة، فكان المستمعون يحرصون كل الحرص على الاستماع لصوته فى المواعيد المحددة له فى البث الإذاعى، كحرصهم على الاستماع لعبدالوهاب وأم كلثوم... ومن الناحية الفنية، فإن صوت الشيخ رفعت قريب من طبقة (الألتو) وهى إحدى الطبقات الصوتية الأوبرالية، وأهّلة هذا الصوت إلى افتتاح الإذاعة سنة ١٩٣٤م بتجويد القرآن الكريم، وكان البث الإذاعى يبدأ كل صباح بصوت الشيخ رفعت، ثم أغنيات محمد عبدالوهاب وأم كلثوم..

ويتذكر الشاعر أحمد شفيق كامل السنوات التى عاصر فيها سماع صوت الشيخ محمد رفعت ويقول:

أنا لست فى موضع يسمح لى بهذا التقييم لكن الشيخ محمد رفعت أعتبره كروان القارئين مثلما كان للإذاعة المصرية كروان وأعتبره من أفضل القارئين رغم وجود أسماء كثيرة ظهرت فى وقته وبعده.

هذه هى المدرسة العظيمة مدرسة أستاذى وعمى الجليل الشيخ محمد رفعت الذى تعلمت منه ما لم أتعلمه من أستاذ فى الجامعة أو قارئ للقرآن، وياله من رجل رائع جميل وهو يتلو سورة آل عمران وسورة الرعد وسورة النور وسورة الأنعام من قوله تعالى: «وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع...» بالقراءات المختلفة، وهو يتموج كموج البحر، بانسيابية وطلقائية

متفردة، فهو بحق مدرسة عظيمة جديرة بالبحث والتنقيب والدراسة - يرحمه الله.

بهذه العبارة أو بعبارة أخرى، فإننى أحتفى كل الحفاوة وأفخر كل الفخر وأعتز كل الاعتزاز بالشيخ محمد رفعت ابن الحضارة العربية الإسلامية الذى أعاد لنا مجد هؤلاء العظماء الذين ملأوا الأرض بعلومهم النافعة وحضارتهم التليدة المزدهرة العظيمة، هذا العبقرى محمد رفعت الذى دعا وأيقظ العالم للتعرف على تلكم الحضارة التى سادت جنبات الأرض ألف عام أو يزيد، تلك الحضارة التى كان أساسها القرآن الكريم، وسنة النبى الأعظم محمد ﷺ، تلك الحظارة التى شهد لها القاصى والدانى، وشهد بفضلها على العالم اليهود والمجوس والنصارى والوثنيين.. وعندما أسلم مَنْ أسلم لما سمعوا صوت العبقرى محمد رفعت، قاموا على الفور بالتعرف على علوم العرب وعلى كل ما كتب باللغة العربية، وذلك لأنهم رأوا فى صوت الشيخ محمد رفعت تلكم الحضارة العملاقة التى انتشرت - لا بحد السيف كما يزعم المرجفون من آن لآخر - بل بعدل وسماحة الفاتحين، وسبحان الله العظيم: حتى الدول التى لم يصل إليها الفاتحون، انتشر الإسلام هناك بسرعة خاطفة، كجنوب إفريقيا، وإندونسيا التى يعيش فيها أكبر عدد من المسلمين الآن وجزر الفلبين وغيرها من البلاد، لقد نشر التجار الإسلام فى تلك البلاد، وذلك لما رآه الناس من عدل وأخلاق وأمانة ونظافة هؤلاء التجار، فأسلموا وآمنوا برسالة محمد العظيم لأن فيها الحضارة وفيها التقدم، وفيها العدل وفيها الحق وفيها العلم...

علنا نعتز بحضارتنا العظيمة ونفخر بما كان عليه أجدادنا العظماء من علم وتقدم وفكر ولغة، اعتزازًا باللغة العربية - لغة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف... هكذا كان عمنا وأستاذنا محمد رفعت يعتز بلغته العربية التى هى هويته وهويتنا وقوامنا جميعا فكل قوم الآن يعتزون بلغتهم كل الأعتزاز ويفخرون بها كل الفخر، ويحب الفرنساوى والألمانى والإنجليزى الموت أكثر من أن يسمع - لا أن يتكلم - لغة غير لغته وحضارة غير حضارته.. إننا على الرغم من أرجلنا المبدعة فى الرقص، وشعورنا المفرطة فى الطول، وسياراتنا الفاخرة التى تطوى

المسافات طيًا، وبترولنا الذى يملأ العالم ويتدفق فى خزاناته، ما نزال على هامش الحضارة ـ بعد أن علم أجدادنا وأسلافنا العظماء العالم الحضارة ـ أصبحنا يُفكرَّ لنا ولا نفكر لأنفسنا، ويُبتُّ فى مصيرنا دون أن يكون لنا فى ذلك رأى أو مبادرة.، فالمشكلة ليست فى استيراد الرفاهية وتكديس السلع الاستهلاكية، ولا هى فى نمو اقتصادى بعيد عن دور الإنسان وفعاليته، فهذه دول النفط تكتظ بمنتجات الحضارة الأوربية والصينية واليابانية والروسية، بينما الإنسان العربى فيها غريب الوجه واليد واللسان منعزل عن كل دور يكفل لهذا الازدهار دوامه!!

فهل تعود الأمجاد ويبعث الله فينا رجالاً يعتزون بقرآنهم وسنة نبيهم وبحضارتهم التى سادت العالم ويعيدون مجدها الذى فقد ـ لست أدرى ولا المنجم يدرى.

وإن الشيخ محمد رفعت هو الذى جعلنى أكتسب هذه الكلمات، لأننى عندما أسمعه كل يوم، فإننى لا أسمع قارئًا يقرأ القرآن فقط! لا بل إننى أسمع منه قرآنا صنع تلكم الحضارة التى أنجبت هؤلاء العباقرة الأفذاذ، الذين توكلوا على ربهم حق توكله فرزقهم كما يرزق الطير، والذين أدوا للعالم خدمات جليلة لا تقدر بأثمان، وكانوا هم القيمين على كعبة العلم ومحراب الحقيقة، وقد انتقلت علوم العرب إليهم عن طريق صقلية وجنوب فرنسا والأندلس، وتسابق الموهوبون وأصحاب القرائح إلى بلارما وطليطلة لتلقى اللغة العربية وآدابها ودراسة العلوم الإسلامية.. وهكذا تسابق أيضًا أولوا الألباب وأصحاب الصدور المنشرحة إلى مصر لرؤية الشيخ الجليل العبقرى الكبير محمد رفعت لإعلان إسلامهم وتغيير أسمائهم، وللتعرف على تلكم الحضارة العربية الإسلامية التى أنجبت هذا الشيخ الضرير الذى حمل إليهم رسالة الإسلام وحضارته العظيمة..

وتحية وسلامًا إلى روح معلمنا المبجل محمد رفعت وإلى كل مَنْ سمع تلاوته فعزف الحقيقة وتعرف على الإسلام.

فالشيخ رفعت لم يكن مدرسة متفردة فى قراءة القرآن الكريم فقط، بل كان جامعة من أعرق وأعظم جامعات العالم، والتى ستظل رايتها عالية خفاقة فى العالمين إلى أبد الآبدين..!

بل إننى أذهب إلى أبعد من ذلك فأقول على رءوس الأشهاد وأنا أدرك أبعاد كل كلمة أقولها.

أن الشيخ محمد رفعت لم يكن قارئاً بارعاً فى تلاوة القرآن فحسب، بل إنى أعده فى الطبقة الأولى من العباقرة الذين شهدهم الزمان سواء كانوا من المسلمين أو من غيرهم، لقد استطاع هذا الرجل بعبقريته أن يطاول العباقرة وأن يزاحمهم ويوجد لنفسه مكاناً بالصف الأول بينهم.

أصبح رفعت القارئ الضرير من هؤلاء العظماء الذين أصبحوا غرة فى تاريخ العرب والإسلام والذين صنعوا لجيلهم وللأجيال اللاحقة حضارة راقية مزدهرة متجددة لم تغرب عنها الشمس فى يوم من الأيام، ولم تعرف الإنسانية لها مثيلا....

هؤلاء العظماء الذين باهى بهم العرب العالم والذين أرسوا دعائم حضارة راقية أسدت للإنسانية خدمات لا تقدر بثمن، الذين ظهرت عبقرياتهم وبرزت مواهبهم، وتفتقت قرائحهم وتفجرت طاقاتهم فخر العالم لهم ركعاً وسجوداً...

وإن الشيخ محمد رفعت العبقرى ليذكرنى ـ وأنا أسمعه يتلو كتاب الله الذى كان سبباً وفضلاً على العرب فى براعتهم فى تلك العلوم الجمة ـ بأصول حضارتنا التليدة الباقية التى كانت سبباً رئيسياً من أسباب تقدم العالم كله لا أوربا وحدها.

وأقول لكم: إن ما كتب باللسان العربى وما خلفه لنا أسلافنا العظماء فى شتى مناحى العلم والمعرفة من مخطوطات يفوق عدد المخطوطات التى خلفتها الأمم الأخرى مجتمعة أضعافاً مضاعفة، فلا اليونان ولا الرومان ولا الهنود ولا الفرس تركوا آثاراً فكرية بقدر ما ترك العرب.

فليس غريباً على حضارة قائدها العظيم محمد (ﷺ) تلك الحضارة التى أنجبت علماء عباقرة أفذاذاً كانوا غرة فى جبين الدهر وسادة العلم فى العالم قروناً طويلة، وبعبارة أخرى لم تنجب أى أمة علماء كالذين أنجبتهم أمة العرب.

فليس غريباً على تلك الحضارة العظيمة أن تنجب لنا العبقرى الفذ «محمد رفعت».

نماذج ممن أسلموا على آثار صوت المرحوم الشيخ محمد رفعت

لقد أسلم على آثار الصوت الملائكى صوت الشيخ محمد رفعت (رحمة الله عليه) الكثيرون ممن على غير ملة الإسلام وسمعت عن ذلك كثيراً من الناس وقرأت عن ذلك أيضاً ومما وقعت عليه يدى من تلك النماذج:

إنه مع بداية الحرب العالمية الثانية كان الشيخ محمد رفعت قد ذاع صيته فى أرجاء الدنيا وفى عام ١٩٤٠م دخل ضابط كندى على مدير الإذاعة الإنجليزى يطلب منه طلباً غريباً:

الضابط: سيدى مدير الإذاعة، أنا (البريجادير جون هنتر) من سلاح الطيران الأمريكى، أريد رؤية الشيخ محمد رفعت!

المدير: مقرئ القرآن تقصد!

الضابط: نعم، لقد سمعت صوته مصادفة ومن يومها وأنا أتتبعه حتى أصبح صوته من مستلزمات حياتى ومنذ ذلك الحين وأنا أقرأ كل الكتب التى كتبها المستشرقون عن الإسلام.

المدير: أوه لعلك عثرت على أشياء مسلية لذيذة فى هذه الكتب؟

الضابط: بل لقد عثرت على شىء آخر يا سيدى المدير، عثرت على الإيمان، أوه!! لقد أصبحت مسلماً وأريد رؤية الشيخ محمد رفعت ليبارك إسلامى ويختار الاسم الذى يناسبنى.

هذه القصة تعطينا صورة عن مدى تأثير الشيخ محمد على مستمعيه من مسلمين وغير مسلمين.



القارئ الشيخ محمد رفعت وعن يمينه ويساره رجلان انجليزيان ويقف أبناؤه الثلاثة وراءه

وكتب سعد القاضى - أكتوبر - عن سائق الترماى الدانماركى يقول: كان الشيخ رفعت يرتل آيات الله يوم الجمعة وكانت المواصلات تعطل فى ذلك اليوم ويضيق المسجد بالمصلين فيفترشون الحصر خارج المسجد ليستمعوا إلى آيات القرآن الكريم.

كان سائق الترماى المتجه إلى حى درب الجماميز القريب من مسجد فاضل باشا، كان سائق هذا الترماى من الدانمارك ويعمل فى شركة الترماى - كان يتعمد أن يوقف الترماى لينصت إلى صوت الشيخ وتكرر هذا منه أكثر من مرة حتى إن رؤساءه هددوه بالعقاب إذا تكرر منه ذلك، إلا أنه كان يصمم على أن يوقف آلة الترماى ويستمع بكل جوارحه إلى صوت الشيخ وكذلك حتى لا يؤثر صوت الترماى على صوت الشيخ ويقال إن هذا السائق أعلن إسلامه قبل وفاته بعام واحد.

وعائلة بأكملها أعلنت إسلامها: حضرت العائلة من لندن إلى القاهرة.

وكثيرون من أقباط مصر كانوا يستمعون للشيخ رفعت فى خشوع وجلال كما يستمع المستمعون إليه.

حتى إنه مع خلاف الشيخ رفعت مع الإذاعة تكاتف عدد من تجار القاهرة المسيحيين وهددوا بعدم دفع الضرائب إن لم تصالح الإذاعة الشيخ رفعت.

ويقول الأستاذ محمد صفوت فى حواره مع الأستاذ حسين محمد رفعت: سمعت من أحد زملائى المدرسين أن صديق والده كان مسيحياً وأسلم لدى سماع صوت الشيخ محمد رفعت، ويجيب الأستاذ حسين رفعت: نعم هناك من أسلم فقد كان صوت الشيخ رفعت خاشعاً يصور آيات الله تصوير القارئ المتدبر المؤمن.

وقال الأستاذ محمد عبد الوهاب: إن الشيخ رفعت يقرأ القرآن وكأنه بين يدى الله تعالى، ولجمال صوته وروعته فى الأداء وبراعته فى التعبير،وفصاحته فى النطق، فقد اعتنق الإسلام الكثيرون، وبهذا الصوت السماوى الملائكى راح كثير من الناس يدرسون الإسلام ويتعلمون القرآن ويشهروا إسلامهم.

وكتب الأستاذ أحمد شعبان (الأهرام) يقول: «والشيخ رفعت لم يستقطب اهتمام المسلمين فى مصر وحسب، وإنما استقطب قلوب المسلمين فى دنيا الإسلام رغم أنه لم يذهب خارج مصر أبداً وكان المسلمون كلهم ينصتون وينتظرون تلاوته فى الوقت المحدد للإذاعة ولإذاعات العالم، ولحلاوة صوته الربانى وأدائه الخاشع، فقد اعتنق الإسلام بسببه الكثيرون وأشهرهم العائلة الإنجليزية التى حضرت من كندا إلى مصر لتقابل صاحب هذا الصوت النادر "معجزة القرن العشرين».

وإلى اليوم وبعد رحيل الشيخ عن عالمنا بنصف قرن والناس يعجبون كيف كان الشيخ رفعت يقرأ القرآن بهذه الروعة وهذا الجمال؟، هذا مع كل ما فى تسجيلاته من ضعف ووشوشة وسوء فى التسجيل، فما بالنا لو قدر الله له الحياة إلى اليوم أو لو قدر الله لعصره آلات تسجيل كالتى توجد فى عصرنا هذا؟!!.

هذا هو الشيخ العبقرى محمد رفعت الذى استطاع بعلمه وعبقريته أن يذكر العالم من المحيط إلى الخليج من بلاد الهند وبريطانيا، وكندا، بأن الحضارة العربية الإسلامية لم تنته ولم يُمت أبناؤها، وإنها حضارة مزدهرة متجددة، وأن هذه الحضارة هى التى أنجبت الفاتحين العظماء الذين نشروا الإسلام فى كل بقاع العالم من القسطنطينية شمالاً إلى قرابة شواطئ إنكلترة غربًا فعندما خرج

العرب الفاتحين من باديتهم يحملون لواء الإسلام اتجهت جماعة منهم شمالاً ففتحت ما يُعرف اليوم بفلسطين وسوريا والعراق، ثم توغلت هذه الجماعة شرقًا إلى الإمبراطورية الفارسية ففتحت ما يُسمى اليوم بإيران وأفغانستان وباكستان وشمال التبت. وأمعنت هذه الجماعة شمالاً بعد أن وطدت أقدامها فى المناطق المذكورة فوصلت إلى الاتحاد السوفياتى ووقفت عند حدود الصين، وخرجت جماعات أخرى من شبه الجزيرة العربية فاتجهت إلى الغرب واستولت على مصر وشمال إفريقيا ثم قطعت جبل طارق لتستولى على الأندلس ومنه تتوغل إلى الأرض الفرنسية لتقف على بعد ٢٥٠ ميلا من شواطئ إنكلترة.

واتجهت بعد مضى بعض الوقت جماعات من شمال إفريقيا بحرًا فاستولت على صقلية وغزت جنوب إيطاليا، وهكذا استطاع العرب فى وقت قصير جدًا نسبيًا أن يهزموا أقوى إمبراطوريتين على عهدهم هما إمبراطورية فارس وإمبراطورية الروم، ويقيموا دولة تمتد من المحيط الأطلسى إلى حدود الصين...

فى هذه الفترة من التاريخ كانت أوربا تتطلع إلى الإمبراطورية العربية كما نتطلع نحن اليوم إلى أوربا.. فقد كانت تلك الإمبراطورية حينئذ هى مركز الصناعة والتجارة والعلوم والآداب، وكانت هى المسيطرة على الطرق البرية والبحرية المعروفة حتى أصبح أى شخص فى أوربا تلك الأيام لا يستطيع أن ينقل فى البحر الأبيض المتوسط ولو لوح خشب إلا بإذن من العرب، كما يقول أحد الأوربيين المعاصرين، وإذا أرادت أوربا أن تحصل على أى نوع من المصنوعات فقد كان عليها أن تبتاعه من البلاد العربية..

وإن الشيخ محمد رفعت ليذكرنى بهؤلاء العمالقة الذين فتحوا البلاد والمدائن ونشروا دين الله بأخلاقهم السامية التى استمدوها من رسول الإنسانية العظيم محمد ﷺ، والشيخ محمد رفعت يجسد لنا حضارة «اقرأ» كما وصفها المستشرقون حين قالوا: إن أهم ما تتسم به حضارة العرب وأصدق وصف يمكن إطلاقه عليها هى أنها حضارة «اقرأ»..

وهكذا استطاع الشيخ الضرير أن يجدد شباب الإسلام ويذكر العالم بحضارة اقرأ حضارة العلم والعلماء الذين علموا أوربا العلم، فهم رواد العلم الحديث بكل

معنى الكلمة وطلائع حركة النهضة فى أوربا والعالم، لأنهم هم الذين علموا أوربا الأرقام التى ماتزال تحمل اسمهم، وهم الذين نقلوا صناعة الورق إلى أوربا عن طريق صقلية والأندلس، وقاسوا محيط الأرض قبل أن تصل أوربا إلى فكرة كروية الأرض بستة قرون...

وحضارتنا العربية هى التى علمت العالم الحفاظ على الكتب وعلى تكريم الكلمة المكتوبة والصفحة المطبوعة والكتاب المرقوم... وقد كان الناس - حكامًا وشعراء وكتابا - إنما يقاسون بقدر ما يقتنون من كتب وما تزدان به خزائنهم منها.

فقد ترك الوزير المُهلّبى عند وفاته عام ٩٦٣م مجموعة من الكتب بلغت - على ما يذكر المؤرخون - ١١٧,٠٠٠ مجلد.. واشتملت مكتبة الخليفة العزيز فى القاهرة على ١,٦٠٠,٠٠٠ مجلد، فكانت بذلك أجمل دار للكتب على عهده وأكملها.. ونمت دور الكتب فى بلاد الإسلام نمو العشب فى الأرض الطيبة، ففى عام ٨٩١ أحصى مسافر عدد دور الكتب فى بغداد مثلا فوجدها تربو على المئة، وكان فيها مئات الآلاف من المجلدات، وهكذا كان الحال فى كثير من بلاد الإسلام، وحتى المكتبات الصغيرة كانت تشتمل على عدد لا يُستهان به من الكتب. فإن مكتبة صغيرة كمكتبة النجف فى العراق كانت تحتوى فى القرن العاشر على ٤٠,٠٠٠ مجلد، بينما لم تكن تحتوى أديرة الغرب على أكثر من اثنى عشر كتابا ربطت بالسلاسل إشفاقا عليها أن تضيع أو أن تمتد إليها يد اللصوص ، وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة، بل لقد كان لكل مستشفى قاعة صُفت على رفوفها شتى الكتب الطبية لتكون مادة لدراسة الطلاب، ومرجعا للأطباء، ومتاعا لرواد المستشفى من الزائرين والمرضى الذين تتيح لهم حالتهم الصحية متابعة القراءة والإطلاع...

أرأيتم إلى هذه الأصالة فى حيازة الكتب واقتنائها!! أرأيتم إلى هذا التكريم المنطقع النظير للحرف المكتوب!! أرأيتم إلى هذا التجسيد الحى لأول آية نطق بها القرآن الكريم «اقرأ»!! أرأيتم إلى هؤلاء العباد الخاشعين فى هيكل العلم كأن على رؤوسهم الطير!! أرأيتم إلى هؤلاء العشاق الوالهين يصلون فى محراب الكلمة

ويتبتلون إليها وتذهب نفوسهم حسرات عليها إذا عرض لها عارض أو نزلت بها نازلة، أو مسها سوء!! ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من قيمتها ووقفوا على أسرارها وإشفاقا عليها أن يستهتر بها جاهل تافه طائش...

هكذا أسلم الناس لما سمعوا صوت الشيخ محمد رفعت، فالناس لم يسلموا ولم يؤمنوا لأنهم سمعوا صوتا جميلا فحسب، بل لأنهم سمعوا صوتا يجسد حضارة «اقرأ» حضارة العلماء العظماء الذين ملأوا الأرض عدلاً وعلما، سمعوا صوتا يجسد تلك المعانى التى ذكرنا بعضها، وإلا فالأصوات الجميلة كثيرة، ولكنها لم تجسد معنى الحقيقة حقيقة هذا الدين العظيم، وحقيقة هذه الحضارة المزدهرة والمدن العامرة والشعوب الواعية والمدارس المكتظة بالطلاب ورجال العلم والمدارس الزاخرة بنفائس الفكر والمعرفة إلى غير ذلك من مظاهر العمران واستفحال الحضارة.

وإن إيمان الكثيرين من البشر إثر سماعهم لصوت ذلك العبقرى محمد رفعت من بلاد الهند ومن أمريكا ـ ليذكرنى ويعود بى إلى الوراء إلى أكثر من ألف وأربعمائة عام عهد الفتوحات العظيمة والفاتحين العظماء أمثال عمرو بن العاص وعقبة بن نافع وطارق بن زياد وموسى بن نصير وعبدالرحمن الداخل، ومحمد الفاتح وعماد الدين زنكى وصلاح الدين الأيوبى وسيف الدين قطز، وغيرهم كثير من الأبطال العظماء الذين تكتظ بهم كتب التاريخ والحضارة وتمتلأ المكتبات بكتبهم وأسمائهم الخالدة، الذين نشروا دين الله وفتحوا الكرة الأرضية فى فترة وجيزة جدًا، وصنعوا حضارة فى تلك البلاد مازالت باقية محفورة بأسمائهم الخالدة ودمائهم الذكية.. لقد صنعوا لا للعرب وحدهم ولا للمسلمين وحدهم، بل للإنسانية كلها نهضة من النهضات الفذة الفريدة فى التاريخ الإنسانى، فهى لم تكن نهضة عربية ولا يصح أن تسمى كذلك، كذلك لم تكن نهضة إسلامية.. لقد كانت شيئًا فريدًا، إنها لم تنحصر فى بلاد العرب. كذلك لم تسعها بلاد الإسلام، بل امتدت إلى البلاد المسيحية وعمت منافعها اليهود والنصارى والوثنيين والملحدين وغيرهم بطوائفهم المختلفة وشيعهم المتباينة، وبهذه المثابة فهى نهضة إنسانية بكل معنى الكلمة...

لقد استطاع الشيخ محمد رفعت العالم على مدى أربعين عامًا أو يزيد ـ أن ينقل للعالم عبر صوته العبقرى ـ حضارة ألف وخمسمائة عام حضارة العظيم محمد وأتباعه الأبطال الذين صنعوا انتفاضة عظيمة وكيف أن هذه الانتفاضة قد بدلت نظم الحياة العربية رأسًا على عقب، فاستتبع ذلك نشوء مجتمع جديد، له حاجات جديدة وآمال جديدة وأهداف جديدة، ومسئوليات وأعباء جديدة وقيم ومثل جديدة، وهذا ما جعله يرنوا إلى آفاق جديدة، وتكون له تطلعات جديدة، وإذن فإنتفاضة الإسلام، ومبادئ القرآن، والتغييرات الداخلية التى طرأت على الجزيرة العربية، هى وحدها التى خلقت الظروف الملائمة لتكوين عقليات جديدة، والإقبال على دراسة علوم جديدة، وهى بالتالى السبب فى بروز عبقريات ومواهب لم تعرفها الجزيرة العربية من قبل ولا الأقطار التى انتشر فيها الإسلام فى تاريخها الطويل.. كل ذلك حصل فى فترة قصيرة جدًا جدًا إذا ما قيست حضارة العرب والإسلام بحضارات العالم الآخر.. يقول المستشرق روم لاندو فى كتابه العظيم (الإسلام والعرب): وحين نتذكر كم كان العرب بدائيين فى جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافى الذى أحرزوه خلال مئتى سنة فقط انقضت على وفاة الرسول، وعمق ذلك التقدم (يصبح ذلك كله) ـ أمرًا يدعو إلى الذهول حقًا. ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضًا أن النصرانية احتاجت إلى نحو ألف وخمسمئة سنة لكى تنشىء ما يمكن أن يدعى (حضارة مسيحية) (روم لاندو، الإسلام والعرب، صفحة ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

هكذا أسلم الناس من الهند ولندن وألمانيا وفرنسا وكندا وأمريكا، لأن صوت الشيخ محمد رفعت فتح عقولهم للإيمان بدين جديد ومجتمع جديد وحاجات جديدة وآمال جديدة وأهداف جديدة ومسئوليات وأعباء جديدة وقيم ومثل جديدة، دعاهم إلى الإقبال على دراسة علوم جديدة، واستطاع العبقرى محمد رفعت أن يقوم بفتح صفحات هؤلاء العباقرة الأفذاذ الذين صنعوا تلك الحضارة، التى طويت وذهب أبطالها إلى غير رجعة مخلفين وراءهم العطر والشذى يفوح فى كل مكان.. وحاول الشيخ رفعت الجليل أن يصور للعالم أحداث تلك الملحمة العظيمة التى صنعها محمد العظيم هو ورجاله والتى سجلوها بعصارة أدمغتهم وذوب أعصابهم نفوسهم وقلوبهم..

والدليل على ذلك أن علوم العرب وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط حياتهم نقلها المستشرقون إلى المجتمع الغربى ومع ذلك لم يؤمنوا إلا قليل منهم، ولكنهم لما سمعوا صوت الشيخ رفعت أسلموا على الفور وصدق الله العظيم حين قال: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

فقد كانت دعوة ورسالة الشيخ محمد رفعت عالمية لأنها رسالة للإسلام العظيم الذى هو دين الأنبياء والمرسلين، ووصلت رسالة الشيخ محمد رفعت إلى المجتمع الغربى الكافر المنكر الجاحد لفضل تلكم الحضارة العربية الإسلامية على العالم كله، ولكنهم لا ينسون تراث أثينا وأمجادهم فهى عندهم غذاء أساسى فى البيت والشارع ومراحل التعليم المختلفة، حتى إن تلاميذ المدارس يحفظون أسماء رواد الفكر والفن والأدب فى كل بلد، المهم أن التراث هناك يأخذ مكانه فى كل عقل، وينبض فى كل قلب ويحيا فى كل روح ويُعنى الجميع بدراسته وتمحيصه.

وقد فرضت أوربا نوعا من الرقابة على تاريخ العرب وحضارتهم ـ لعوامل متعددة ـ هو أبشع ما عرف من أنواع الرقابة ـ فالأوربيون عندما يكتبون التاريخ لأبنائهم يحذفون عامدين تلك الصفحات المجيدة منه، لأن العرب كانوا هم الشعب الوحيد فى العالم الذى استطاع أن يغزو الأوروبيين فى عقر دارهم، وأن يفرض عليها حصارا طويلا، لكن غزو العرب لأوربا كان فكريا أكثر منه ماديا، كما أن حصارهم لها كان حضاريا أكثر منه عسكريا.

فالعرب هم الذين أيقظوا أوربا من سباتها، وردوها إلى وعيها، وأسبغوا عليها نعما وبركات إذا كانت لا تريد أن تقابلها بالشكر والعرفان، فقد كان ينبغى عليها على الأقل ألا تذكرها بالنكران والكفر والجحود. ولكنه اللؤم من شيم النفوس المريضة.

وقد استطاع الشيخ الضرير محمد رفعت أن يكسر تلك الحدة، وأجبر عددا كبير منهم على الاعتراف بفضل تلكم الحضارة التى قادها محمد العظيم هو وأتباعه ـ كما أوضحت ـ واستطاع الشيخ رفعت أن يغير كثيرًا من الأوربيين

والأمريكيين والهنود الكفرة الذين يملأهم التعالى والغرور وجرائيم الكبرياء التى تلقاها منذ الطفولة فى الجو المنزلى، وفيه تكوّن تصور هؤلاء الجاحدين للإسلام ولحضارة محمد العظيم أنهم أصبحوا يعتقدون أن العالم والحضارة مقصوران على أوربا وأمريكا وأن التاريخ الأوروبى هو التاريخ العالمى وأن التاريخ والحضارة إنما يبتدئان من أثينا ويمران بروما، ثم يختفيان فجأة من الوجود لمدة ألف عام - هى فترة ازدهاء الحضارة العربية الإسلامية العظيمة- ثم يظهران من جديد فى إيطاليا وباريس فى حركة النهضة. أما قبل أثينا فلا شىء يستحق أن يذكره هذا الفرد. كذلك لا شىء بعد أثينا، إنه لا يرى بين أرسطو وديكارت إلا فراغا فى فراغ، وعماءً فى عماء...!!

رحم الله الشيخ الجليل العالم الإنسان محمد رفعت الذى أثرى الحضارة العربية الإسلامية بعلمه وقرآنه وإنسانيته، وصنع نهضة استطاع من خلالها أن يجمع بين المسلم والمسيحى واليهودى على مائدة واحدة وأن يذكرهم بأن أباهم واحد وأن دينهم واحد وأن ربهم واحد.. وأن هذه الحضارة العظيمة خلقت لنا فكرًا ثريًا غنيًا - لا للعرب ولا للمسلمين وحدهم - بل للإنسانية كلها - فهو فكر متموج متحرك كثير الصور والألوان والظلال والنبضات، لا يسعه قالب واحد ولا يكفيه وصف واحد، ولا يعبر عنه طراز واحد، إنه رحب رحابة أشكال الوجود، متنوع تنوع صور الحياة، متعدد تعدد المراتب والكائنات.

هكذا كان الشيخ محمد رفعت متموج متحرك ثرى - غنى كثير الصور والألوان والظلال والنبضات، لا يسعه قالب واحد ولا يكفيه وصف واحد ولا يعبر عنه طراز واحد، رحب - متعدد، متنوع..

وصدق المستشرق القائل: «إن ما صنعه الإسلام بقيادة محمد العظيم لا يقل أهمية عما تحدثه الشمس والنجوم والكواكب السيارة لهذه الدنيا. وإن مغيب شمس الإسلام لا يعد كارثة على المسلمين وحدهم ولا على العرب وحدهم بل على الإنسانية كلها..!!

مآثره وأخلاقه

وهناك آداب وأخلاق عامة ينبغى أن يتحلى بها قارئ القرآن، وقد تحلّى بها شيخنا الجليل العالم الورع التقى النقى الطاهر النظيف محمد رفعت، وكان يحرص على المواظبة عليها ـ ولعل قارئى القرآن ـ فى عصرنا الحالى أن يتحلوا بها، منها: ـ أن يكون لله ذاكرًا ولنعمه شاكرًا وعليه متوكلاً، وبه مستعينًا، وإليه راغبًا، وبه معتصمًا، وللموت مستعدًا، وأن يكون دائمًا خائفًا من ذنبه، راجيًا عفو ربه، ويكون خوفه من الله فى حال الصحة أغلب عليه، ويكون الرجاءُ عند حضور أجله أقوى فى نفسه، لحسن الظن بالله تعالى، قال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله» أخرجه مسلم. أى أنه يرحمه ويغفر له، وأن يجعل نصب عينيه الزهد فى دنياه، والورع فى دينه، ومراقبته لمولاه فى سره وجهره، فى خلوته وجلوته، وأن يربأ بنفسه عن الانغماس فى المنهيات وتعاطى الشبهات، وأن يأخذ نفسه بالحلم والوقار، والرفق والأدب، والتواضع للفقراء، والتحبب إلى المساكين، وتجنب الكبر والعجب ، والبعد عن المِراء والجدل.

ويرحم الله عبدالله بن مسعود حيث يقول: «ينبغى لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون».

وقال عبدالله بن عمرو: «لا ينبغى لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض. ولا يجهل مع من يجهل، ولا يلغو مع من يلغو، ولكن يعفو ويصفح تعظيما لحق القرآن، لأن فى جوفه كلام الله تعالى».

وعن الحسن البصرى قال: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل ، وينفذونها بالنهار».

وينبغى لحامل القرآن أن يتخير من الأصدقاء من يعينه على الخير، ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق، وأن يكون ممن يؤمن شره ويرجى خيره، وأن يتفقه فى أحكام القرآن ومعانيه، فيعرف محكمه ومتشابهه وناسخه، ومنسوخه، ومجمله ومفصله، ومطلقه ومقيده، وما فرضه الله عليه، وندبه إليه، فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو.



يتزين قبل صلاة الجمعة وقراءة السورة

فإنه لا يجمل بحامل القرآن أن يتلو فرائضه، ويردد على لسانه أحكامه وشرائعه، وهو لا يفهم، ما يتلو، ولا يعى ما يقرأ كما لا يحسن منه أن يسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدرى منه شيئًا.

ويؤثر عن فضيلة الشيخ محمد رفعت الكثير والكثير من المآثر الحسنة الجميلة التى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن هذا الصوت العظيم لم يأت من فراغ وإنما جاء من خشية الشيخ لله وتوقيره لآيات الله تعالى أشد توقير.

ومن ذلك: يروى أحد الصالحين من مريدى الشيخ محمد رفعت أنه دعى ذات يوم لإحياء ليلة مأتم وأراد أهل المتوفى تكريماً للشيخ ولحضوره أن يمنحوه فى نهاية الليلة جنيهاً من الذهب (بمقاييس عصره) وقد كان ... وذهب الشيخ إلى بيته وقبيل الفجر سمع طرقاً على الباب ففتح أهل منزله الباب وسأل الطارق عن الشيخ فجاءه الشيخ مستفسراً فقال الرجل: أنا الذى كنت عندهم بالأمس وقد أخطأنا عن غير قصد فأعطيناك مليماً لا جنيهاً من الذهب، وهأنذا أرد لك الجنيه، فما كان من الشيخ إلا أن طيب خاطره قائلاً له: هذا رزق ربى والحمد لله على ما رزقنى.

يذكر الأستاذ حسين محمد رفعت أنه فى يوم من الأيام دق باب الشيخ فى حى البغالة - رجل قدم نفسه قائلاً: أنا ياور المهراجا عثمان حيدر أباد، قال إن المهراجا يبلغه تحياته ويطلب منه أن يزور الهند للقراءة ويعطيه مائة جنيه عن كل ليلة، فرد الشيخ رفعت قائلاً: أبلغ المهراجا تحيات العبد الضعيف إلى الله محمد رفعت وقل له إنه كان يود السفر لولا ضعف صحته خاصة مع حرارة الجو فى الهند، فظن الياور أن الشيخ رفعت غير راض عن المبلغ فظل يزيده حتى بلغ ٥٠٠جنيه عن الليلة، فقال له الشيخ رفعت: إن المسألة ليست مسألة أجر؛ لأن القرآن لا يباع ولا يشترى، وهنا تدخل أحمد رفعت متناولاً الحديث مع أخيه حسين: إننى لا أنسى أن والدى فى صلاته كان يدعو الله أن يتوب عليه يعفيه من أخذ أجر على تلاوة القرآن.

كتب سعد القاضى عن نفس القصة فى أكتوبر، فقال: عندما اعتقد مندوب حيدر أباد أن الشيخ رفعت يعتذر بسبب ضآلة المال المعروض عليه وكان ١٥ ألف جنيه عام ١٩٢٥م وجاء مندوب أباد وعرض عليه ٣٠ ألف جنيه إلا أن الشيخ رفعت قال: «أنا لا أجرى وراء المال مهما تضاعفت الألوف».

ويرفع المندوب المبلغ إلى ٤٠ ألف جنيه، فيقول الشيخ لمندوب حيدر أباد: أنا لا أبحث عن المال أبداً أبداً فإن الدنيا عرض زائل، ورفض الشيخ رفعت أن يسافر إلى الهند لأنه كان يكره أن يجيئه الثراء عن طريق تلاوة القرآن، فليت بعض قراء القرآن يقرءون هذه السطور.

ويلجأ المهراجا إلى وزارة الخارجية المصرية لتتوسط إلى الشيخ رفعت ليسافر إلى الهند، إلا أنه يصر على الإعتذار وقال إنه مريض لا يتحمل متاعب السفر.

وفى برنامج قال لى صاحبى وهو يحاورنى (إذاعة الشرق الأوسط تقديم الأستاذ عاطف عبد الحميد):

استدعى الشيخ محمد رفعت للقراءة فى قصر أحد الباشوات وكان معه محمد عبد الوهاب حيث كان يعرف الباشا وعندما دخلوا قصر الباشا كان ذلك قُبيل المغرب بثلث ساعة فآثر الشيخ رفعت أن يجلس ويقرأ فى حديقة القصر،

حيث زقزقة العصافير والجو الجميل، واعتدل الشيخ للقراءة، فعندما قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، سكتت العصافير، وعندما سكت الشيخ عادت العصافير للزقزقة، وعندما قرأ أول آية سكتت العصافير، هكذا إلى آذان المغرب.

رحم الله أرق الأصوات وأعذبها، فكان صوته (رضي الله عنه) تحن له الطيور، وكأنه صوت من السماء للإنس والجن والحيوان والطير، فهو بهذا يُذكرنا، بتسبيح سيدنا داوود، والطير يردد تسبيحه لله تعالى، قال تعالى: ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ . . . ﴾[سبأ: ١٠] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ . . .﴾. [الأنعام: ٣٨] صدق الله العظيم.

يا له من رجل ذى أخلاق عظيمة كأخلاق الأنبياء والمرسلين الذين بلغوا دعوة الله دون أن يسألوا الناس أجرا على عملهم فكل نبى قال لقومه: «ما أسألكم عليه من أجر».

رجل شرى الدنيا واشترى الآخرة وكان قادراً على أن يفعل عكس ذلك ويكون أغنى الأغنياء لكن أخلاقه العالية أبت أن يبيع آيات الله البينات بعرض زائل أو ثمن قليل ونادراً ما تجد مثل هذه الأخلاق العظيمة.

إنها قيثارة سماوية حقاً جاءت من عند الله لتقول للناس: جئت من عند الله لأريكم آيات الله فى أسمى معانيها وأجمل صورها دون مقابل لأن كتاب الله لا يقدر بثمن، وأن الدنيا وما عليها من متاع لا تعدل حرفاً واحداً من كلام العظيم رب العالمين.

ويؤثر عنه أنه أتاه أحد الفقراء يطلب منه أن يقرأ فى مأتم والدته المتوفاة ويرجوه أن يخفف عنه الأجر، فقال له: سأقرأ بلا أجر وأرسل إليه الكراسى لجلوس الحاضرين وفى نفس الليلة ـ قبل أن يقرأ ـ جاءه أحد البكوات يرجوه أن يقرأ نظير أجر كبير فرفض الشيخ نظراً لارتباطه بالقراءة فى دار الفقير، وقلت له (الابن حسين) يا أبى كيف تترك الأجر لتقرأ بلا أجر؟ قال لى: وما يدريك أن يدعو لنا هذا الفقير دعوة طيبة مستجابة تكون خيراً من المال؟

وكتب سعد القاضى فى أكتوبر يقول: "ويذكرنى موقف الشيخ من أن أسرة كبيرة أرادت أن يحيى ليلة المأتم الشيخ رفعت نفسه وكان مشغولاً لمدة ثلاث ليال، فما كان من الأسرة الكبيرة إلا أن أخرت إعلان الوفاة حتى يتفرغ القارئ!

لقد أجلت الأسرة دفن الجثة ٢٤ ساعة حتى توافق موعد القارئ، رحمة الله عليك يا شيخ رفعت يوم أن ذهبت لتحيى ليلة مأتم فرّاش مسجد فاضل باشا رافضاً لمبلغ ١٠٠جنيه ذهباً لإحياء ليلة مأتم شقيق مرتضى باشا غنام.

وقد حدث أن ذهب لزيارة أحد أصدقائه فوجده مريضاً فى النزع الأخير وعند انصرافه التفت إليه صديقه وقال وهو يمسك بيده فيضعها على كتف ابنته الطفلة الصغيرة: ترى من سيتولى تربية هذه الطفلة الصغيرة التى ستصبح غداً يتيمة؟!

لم يتكلم الشيخ رفعت لأن قلبه كان يبكى وفى اليوم التالى كان يتلو القرآن فى أحد السرادقات سورة الضحى وعندما وصل إلى الآية الكريمة التى تقول: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾، [الضحى:٩] هنا توقف الشيخ عن التلاوة بعد أن ارتفع صوته بالبكاء والنحيب ويبكى كل من فى السرادق عندما يستمعون إلى البكاء مع قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ وتذرف الدموع من عيون كافة من بالسرادق.

الجدير بالذكر أن الشيخ محمد رفعت تولى تربية هذه اليتيمة وأصبح يجرى عليها مبلغاً من المال كل شهر حتى كبرت وتزوجت وجاءت بتوءم من الذكور فأطلقت على الأول اسم محمد وعلى الثانى اسم رفعت.

كانت حياته فى غاية البساطة والقناعة والرضا، فلم يغير الشيخ بيته الذى عاش فيه حتى مات، ولم يفكر فى استبدال سيارته بأخرى أحدث؛ لأنه كان يستخدم رجليه وعصاه فى التنقل من بيته إلى مسجد الأمير فاضل باشا أو للأماكن التى يرتل فيها آيات الذكر الحكيم.

وكان يملك عصا ذات رأس مصنوع من الذهب الخالص، جاءته هدية من حرم صديقه يحى باشا إبراهيم أحد رؤساء الوزارة فى مصر فى أوائل العشرينات عندما ظل يقرأ على جثمانه طوال الليل، فأهدته حرم الباشا هذه العصا إلا أنه كان لا يستعملها ويستعمل عصاه الخشبية الأقل من العادية.

ومن مآثره العالية أن البرنس محمد على افتتح مسجداً ـ كلفه غالياً ـ بتلاوة من الشيخ رفعت، وبعث إليه بخمس جنيهات فرفض فظن أن المبلغ قليل فزاد له الأجر فرفض.

ويقول الأستاذ حسين محمد رفعت: كان والداً باراً طيب القلب متواضعاً يخشى الله فى حركاته وسكناته وكنت أقرأ له من كتب السيرة والتفسير وكان يصحح لى الإعراب ومخارج الحروف ويندمج مع ما يسمع من عظات وأحاديث وتسيل دموعه.

ويقول الشيخ القوصى: عاش الشيخ محمد رفعت فى بلده مصر لم يبرحها ولم يستجب للبلاد الكثيرة التى طلبته بإلحاح شديد فقد كان نافعاً، ليس من همه جمع المال، وكان عفيفاً يرفض ما يقدم إليه فى مرضه على سبيل الهدايا أو العون.

ويروى الشيخ عتريس القوصى رئيس رابطة القراء العامة أن المقاهى والنوادى كانت تستعد لروادها مساء الإثنين والجمعة موعد إذاعة القرآن بصوت الشيخ رفعت فيزيدون من الكراسى لكثرة المستمعين ومع ذلك فإن كثيراً من الحاضرين كانوا لا يجدون أمكنة فيقفون فى عرض الشارع ليستمعوا إلى تلاوة الشيخ الفذ الذى تفوق على فحول القراء المعاصرين له مع أنهم كانوا كثرة ولهم مع ذلك قدرة وشهرة واسعة.

لقد عاش الشيخ محمد رفعت عمره فى الحياة عفيف النفس، ويروى أنه كان يقرأ القرآن فى سرادق عابدين، ولما فرغ من قراءته وكانت عادة الملك فى ذلك الوقت إعطاء نفحة من النقود للقراء، وطلب الشيخ رفعت لذلك فرفض فى إباء قائلاً: إنه يقرأ القرآن لله ولذلك فلا أجر عليه.

وكتب على عبد الهادى فى مجلة الشباب مايو ١٩٧٨م تحت عنوان (سفير الإسلام عبر الأثير ـ أمير القراء محمد رفعت).

فى يوم الأربعاء ٢٨ أبريل ١٩٣٦م شيعت حكومة مصر جثمان الملك فؤاد الأول إلى مثواه الأخير فى مقابر الرفاعى وفى المساء أقامت مأتماً باذخاً لوفاته فى

قصر عابدين، ودعت لإحيائه أمير القراء الشيخ محمد رفعت وثلاثة معه آخرين من مشاهير القراء فى العالم الإسلامى وهم السادة: محمد السيفى وعلى محمود وعبد الفتاح الشعشاعى، وفجأة يتخلف الشيخ محمد رفعت عن إحياء مأتم الملك.

ماذا حدث؟؟!

فى نفس الموعد ـ علم سادن القرآن (خادم القرآن) أن جارة له فقيرة قد توفيت وأن الفقراء فى حى البغّالة شيعوا جثمانها وأن الفقر ـ وحده ـ قد حال دون العزاء عنها، فتوجه الشيخ محمد رفعت إلى دار الفقيرة جارته ومن ماله الخاص أقام سرادقاً أضاءه هو وأناره بتلاوات من القرآن شدت إلى السرادق أهل الحى وألفت منهم مظاهرة من الفقراء تدعو وتنادى بالتراحم الإجتماعى الذى تبناه وتزعمه أمير القراء فى القرن العشرين.

وكتب أبو بثينة على صفحات الكواكب يقول:

«ذات ليلة من عام ١٩٣٠م توفيت إحدى كريمات المرحوم حسن الملا عضو معهد الموسيقى وهى قرينة الأستاذ على راغب الذى كان وكيلاً لقسم الكيمياء بوزارة الزراعة.

وجاء كبار القراء إلى سرادق المأتم مجاملة لأبيها، وفى تلك الليلة تبارى هؤلاء المشاهير حتى امتلأ السرادق والشوارع المحيطة به بجماهير المستمعين، فلما جاء دور الشيخ رفعت فى التلاوة، فتح الله عليه وأخذ يتدرج فى الإبداع حتى خرجت الجماهير عن طورها وأخذت تتصايح بصوت عال، كاد يفقد المناسبة وقارها «الله ... الله» وعندئذ انفعل قرين المتوفاة وصاح فى الجمهور «يا ناس دا حرام ... دا ميتم مش فرح .. كفاية كدة يا شيخ رفعت».

وسكت الشيخ وساد الصمت فترة، قرأ بعدها الشيخ رفعت بعد أن انتقل من النغمة التى كان يتلو بها إلى نغمة أخرى فيها نبرة الحزن والأسى.

يقول الأستاذ محمد صفوت: فى أحد الأيام من عام ١٩٤٩م دق مصور صحفى باب أحد البيوت العتيقة فى حى (البغالة) بالدرب الأحمر بالقاهرة وقال: هل هذا هو بيت الشيخ محمد رفعت؟ فقال له أبناؤه: نعم ـ تفضل، ودخل

الرجل وسلم عليه الشيخ الكريم فى ضعف ظاهر، ونظر إليه المصور فوجده رجلاً نحيف الجسم رقيق العود فيه سمرة أهل النيل المحببة، وعلى وجهه - رغم مرضه واحتجابه عن الآلاف المؤلفة من المعجبين - تظهر هالة من الوقار والجلال وكأنه روح سمحة مؤمنة خاشعة راضية بقضاء الله.

وطلب منه المصور أن يلتقط له صورة فأجابه الشيخ الوقور إلى طلبه وجلس على سريره شاحب الوجه مرتدياً الطاقية البيضاء والجلباب.

ظهرت الصورة فى مجلة (المصور) القاهرية - ولا تزال موجودة فى أرشيف المجلة - فكان له رد فعل عريض فى أنحاء المملكة المصرية، (قبل الثورة بحوالى ثلاث سنوات) وتقاطر الناس فرادى وجماعات لرؤية الشيخ الجليل العليل الذى سحرهم بصوته الباكى الخاشع على مدى جيلين من الزمان، وهز وجدان المسلمين فى كافة أقطار الأرض بتلك الحنجرة الذهبية التى يضن الزمان بمثلها عبر الأجيال الطويلة والتى كان يتلو بها آيات الله فى خشوع لا اصطناع فيه فيمتد فيها نور الإيمان فيستضىء الوجدان وتنتشى النفوس وتسحر الألباب.

ودعا المسئولون بوزارة الأوقاف، كما دعا أهل الخير ومحبو الشيخ رفعت إلى حملة قومية لجمع التبرعات للشيخ الجليل فى مرضه إلا أن الرجل رد التبرعات شاكراً، مكتفياً، بقناعة نفسه وزهده ضارباً أروع الأمثال فى التضحية بمتاع الدنيا القليل، أما الأموال التى جاءت من فاعل خير، أى الأشخاص الذين لم يذكروا أسماءهم وعناوينهم فقد تسلمتها الوزارة ووزعتها على الفقراء والمساكين ولم ينل منها الشيخ لا هو ولا أولاده.



عميد الصحفيين فكرى أباظة

وكان من عادة مجلة المصور أن تخصص ميدالية للشخصيات الكبيرة التى يعم خيرها الناس وتقدم لهم ما يصلح أمور دينهم ودنياهم فخصصت ميدالية للشيخ محمد

رفعت ووضعت صورتها فى صفحة كاملة ١٥سم تحتها كلمة بقلم الكاتب المعروف فكرى أباظة يقول فيها:

سيد المقرئين وإمام المرتلين والمجودين، وفلتة من الفلتات التى يضن بها الزمن ولا يجود بها إلا على كره منه ومرة واحدة فى كل جبل وربما فى كل بضعة أجيال، حنجرة ذهبية أطلق منها الرحمن صوتاً كنسمات الفجر أو دعاء الكروان، فتسلل الصوت الجميل إلى القلوب فأسرها وإذا هى تجمع على حب صاحبه كما لم تجمع على حب إنسان من قبل.

حمل القرآن فكان خير من رتله فأحسسنا الرهبة عند الزجر والطاعة عند الأمر والخشية عند الوعيد والهلع عند التهديد والعطف والإحسان عند رحمة الرحمن والأمل عند التوبة والغفران.

جمله الله بالتقوى، فلم تبطره النعمة أو ينفخ فيه شيطان الغرور، بل خرج من الميدان فقيراً أفقر من كثيرين ممن لا يطاولونه قدرة ولا يدركونه مقاماً ولكنه أحيط بسياج من حب الناس وعفة النفس ملأ قلبه إيماناً وإثراء وعزاء!

ما كاد الناس يسمعون أنه مريض حتى أهاجهم الخبر وإذا هم يرقدون على أبوابه صباح مساء، سائلين مستفسرين متبرعين له بالقليل وبالكثير ولكن الشيخ القنوع شكر لمحبيه عطفهم ورد لهم ـ شاكراً ـ ما أعطوه، فضرب للناس أروع الأمثال فى أن القناعة كنز لا يفنى وأن حسبه فضل الله وهو عظيم.

فليتقبل شيخنا هذه (الميدالية) رمزاً أدبياً معنوياً للتاريخ وللتكريم وهى جديرة بأن تتزين بالرجل الكريم.

وكأنه يذكرنا بالنبى أيوب (عليه السلام) عندما أصابه المرض والبلاء فى ماله وولده وجسده وكانت امرأة أيوب تقول: ادع الله فيشفيك، فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحاً فهل قليل لله أن أصبر له سبعين سنة، وقد قال النبى (ﷺ): أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، وفى الحديث الآخر: «يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه».

ولقد جملت هذا الشيخ الجليل، صفات ذات أخلاق عالية، كان شديد الحساسية من أى شىء كثير الإحسان وكان يردد: «كيف تذل نفس وهى عزيزة بكتاب الله»، وقد سهر ليلة عند أحد الباشوات فى بنها وأغضبه الباشا فرفض أن يأخذ أجراً وسار من بنها إلى القاهرة هو وابنه الكبير على أقدامهما مخافة أن يقترض من أحد أجرة السفر فقام من بنها فى منتصف الليل، ووصل القاهرة ظهر اليوم التالى.

يقول عنه الإمام المراغى، وكان شيخاً للأزهر واصفاً الشيخ رفعت: إنه منحة من الأقدار حين تهادن وتجود بل وتكريم لنوعنا الإنسانى، فهو خير من رتل القرآن وخير تلاه فى القرن العشرين وإلى أن يشاء الله.

وما قاله الشيخ المراغى حق، فقد كان الشيخ رفعت خصب الروح صبيح الوجه وكان حديثه العادى همساً مرتلاً وصوته معجزة.

ويقول الشيخ عبد الباسط عبد الصمد: «إن الشيخ محمد رفعت عالم وحده، الإنسان عندما يسمعه يقشعر من تلاوته البدن، إنه شيخ اتقى الله فى قراءة القرآن ونسى الدنيا وما فيها والإنسان طالما قرأ القرآن من قلبه وصل إلى قلب المستمع فكان له التأثير الكبير، وكان هذا هو الشيخ رفعت».

وتتحدث نجوى فؤاد - الجمهورية - تحت عنوان: «معركة الأستاذ الشيخ رفعت» فيقول: ترتبط الأذن بصوت الشيخ محمد رفعت عبر الإذاعة والتليفزيون بنغمات شهر رمضان المبارك، فصوته العذب يصدح كأنه نغمة إلهية أو صوت انبعث من الجنة يحى فينا كل مشاعر التقوى والتقرب إلى الله.

ويقترن صوت الشيخ محمد رفعت بالشهر الكريم حيث يتردد صوته الساطع دائماً خلال أيامه ولياليه منذ بدأت تذيع له الإذاعة المصرية وحتى الآن.

والشيخ رفعت ذاع صيته فى الثلاثينيات وحقق مكانة كبيرة مما حدا بالإذاعة أن تشفع اسمه بلقب «أستاذ»، وكان لهذه الخطوة صداها الكبير فى نفوس المستمعين الذين أحبوا صوت الشيخ محمد رفعت، ولكن كان لها صداها السيىء

فى نفوس بعض الزملاء ـ زملاء الشيخ من المقرئين الذين استكثروا عليه الحصول على لقب أستاذ بينما هم لا يتمتعون بهذا اللقب ـ فما كان منهم كما ذكرت مجلة آخر ساعة، المصور، فى عدد ٢ يوليه ١٩٣٨م، إلا أن يعقدوا الإجتماعات والمداولات ويخرجوا بعدها بشكوى "طولها متران وعرضها متر" وفيها يتذمرون من تفضيل الشيخ رفعت عليهم فى كل شىء حتى إن المحطة تضن عليهم بكلمة أستاذ فى حين أن الشيخ رفعت وهو مقرئ مثلهم يتمتع بهذا اللقب الذى يخرج من شفاه المذيع جميلاً كقبلة الحسناء.

ماذا فعل الشيخ رفعت إزاء هذا الموقف؟ لقد كان موقفه صافياً خالصاً كصوته، فبادر برجاء رجال المحطة «أن يذكروا اسمه خالياً من كلمة أستاذ التى قام لها المشايخ وقعدوا».

كما ذكرت المجلة واستطردت قائلة للمقرئين الثائرين: «إن المسألة ليست مسألة قراءة والسلام، بل إن للصوت الجميل والأداء الحسن والنطق السليم السبب فى تفضيل مقرئ على مقرئ وكله عند العرب صابون إلا فى هذا يا مشايخ».

يا له من رجل عظيم رفيع الأخلاق مؤدب مع الله ومع الناس حساس يحس بالآخرين قبل نفسه، متواضع، فيتواضع لمن هم دونه مع أنه العظيم الجميل، ودائماً يظهر العظيم بالعجز، ويظهر العاجز بالفضل والحسن.

كما أن القرآن يكون شفيعاً لمن يقرؤه ويعمل به «القرآن إما حجة لك أو عليك، من عمل به قاده إلى الجنة ومن لم يعمل به ساقه إلى النار»، وكان الشيخ رفعت يقرأ القرآن ويعمل به ويخلص فى ذلك أشد إخلاص، كما أن القرآن لا يتحمله جبل ولو كلف به.الجبل لتصدع وخضع من خشية الله ولكن الله جعل قلوب المؤمنين تتحمله فتحفظه وتكون خزانة له وهذا من عطاء الله لهذه الأمة الخيرية ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

وعن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله (ﷺ): من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، قال: وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضله على خلقه.

وكان المغفور له محمد رفعت شغله الشاغل خدمة القرآن وذكر الله حتى إنه مما يؤثر عنه أنه كان يجلس بغرفته يتلو القرآن ويصلى ويذكر الله لساعات طويلة، ورفض ٤٥ ألف جنيه نظير القراءة ببلاد الهند، وشغله ذكر ربه عن الدنيا وما فيها، وكأنه يطبق قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وقد أعطاه الله أفضل شىء وهو محبة الناس وتقديرهم لشخصه فى حياته وبعد مماته.

وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، وهو النور المبين، الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، ولا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد»..

وقد تعلم الشيخ رفعت الكثير والكثير من القرآن حتى بلغ من فهمه لما يقرأ أنه كان يقرأ القرآن مفسراً مشروحاً مُبيناً، وتمسك به طوال حياته، ولم يزغ قلبه عن آى الذكر الحكيم، وخير الناس من تعلم القرآن وعلمه لغيره من الناس، فلم يجعل القرآن محبوساً بصدره ولكن أفاض به على غيره فانتفع به الناس "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

وكان الشيخ رفعت خير الناس، حيث إنه تعلم القرآن وعلمه لغيره وقرأه على الدنيا كلها دون أن يسأل أحداً أجراً عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾. [الفرقان:٥٧]

إننا حينما نفهم ونعمل بالقرآن فإن أفكارنا تكون إسلامية نقية صافية لا يشوبها كدر ولا اعوجاج ولا تناقض ولا اختلاف وآفة كثير من الناس أنهم يفكرون وهم بعيدون عن الفكر الإسلامى، فيكون فكرهم مدفوعاً بوساوس الشيطان أو هواجس النفس أو الهوى أوجب الشهوات الدنيوية ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[الجاثية:١٨]، كما أننا إذا استقينا فكرنا من الفكر الإسلامى الصحيح غير المنحرف والمتطرف، فإن حياتنا تكون طيبة وطعمها حلو ورائحتها زكية وذلك بالنص النبوى الشريف "مثل

المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثله الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر.

وكان الشيخ رفعت مؤمناً حق الإيمان، يقرأ القرآن ويتلوه على العالمين، والأُترجة فاكهة طعمها حلو وريحها طيب، فنجد فى الحديث أن الرسول شبه من يقرأ القرآن ويعمل به مثل الأترجة، جمع بين الطعم الحلو والريح الطيب وشبه إيمان المؤمن بحلاوة الثمرة؛ لأنه لا يقرأ القرآن كالثمرة لا ريح لها، وشبه المنافق الذى يقرأ القرآن بالريحانة فى ريحها الطيب ونفاقة كطعمها المر، وشبه المنافق الذى لا يقرأ القرآن بالحنظلة حيث لا ريح لها ونفاقة مثل مرارة الحنظلة، وهذه تشبيهات رائعة دقيقة فى البلاغة رائعة فى الفصاحة، واضحة فى البيان، ولا عجب فى ذلك فالرسول أفصح العرب لساناً وأوجزهم كلاماً وأبلغهم حكمة.

وكان عبد الرحمن السُّلمى كان إذا ختم على يديه أحد من الناس القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال له: يا هذا! اتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك إن عملت بما علمت، وروى الدارمى عن وهب الذمارى أنه قال: «من أتاه القرآن فقام به آناء الليل وآناء النهار وعمل بما فيه ومات على الطاعة بعثه الله مع السفرة والأحكام»، والمراد بالسفرة الملائكة، والأحكام الأنبياء.

وكلنا على يقين أن الشيخ محمد رفعت بمآثره وأخلاقه الحميدة وبسيرته العطرة وبجمال خلقه وخلقته، كان يقوم بالقرآن أناء الليل وأناء النهار يعمل بما فيه ومات على ذلك، فكنت تقرأ على محياه (ﷺ) كلمة الإسلام بحق.

وروى مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله (ﷺ): «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران».

والمقصود من الماهر بالقرآن هو الذى يجيد قراءة القرآن ويفهم معانيه ويعمل بما فيه، كالشيخ رفعت الذى كان يقرأ القرآن بقلبه ويفهم معانيه ويعمل بما فيه، والمتعتع هو الذى يتردد فى الكلام عيا وصعوبة ويشق عليه فهمه له أجر المشقة وأجر التلاوة.

وكان الشيخ رفعت يتلو القرآن فى بيوت الله، فيعى الناس ويفهمون ما يقول ويعملون بما يسمعون منه حيث كانت السكينة تغمرهم ساعة التلاوة وتتنزل عليهم الرحمات وتحضر الملائكة مجالس تلاوته ويذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة الذين لا يعلم عددهم إلا الله..

يقول صلى ﷺ: من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقًا إلى الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يُسرع به نسبه".

ومن مآثر الشيخ رفعت ـ كما ذكرنا ـ أنه كان ينفس عن المسلمين كرباتهم ويُيسر على كل معسر يلتقى به ويستر كل من يحتاج السترة حتى ولو آثر على نفسه وبيته وعياله، فقد أرجع الأمة الإسلامية إلى أيام الصحابة والتابعين (رضى الله عنهم) وأعاد مجد الإسلام بأخلاقه الرفيعة العظيمة وشمائله السمحة الكريمة (فرضى الله عنه وجعله فى مستقر عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وجعل ذكره فى الدنيا خفاقاً فى العالمين إلى أبد الآبدين).

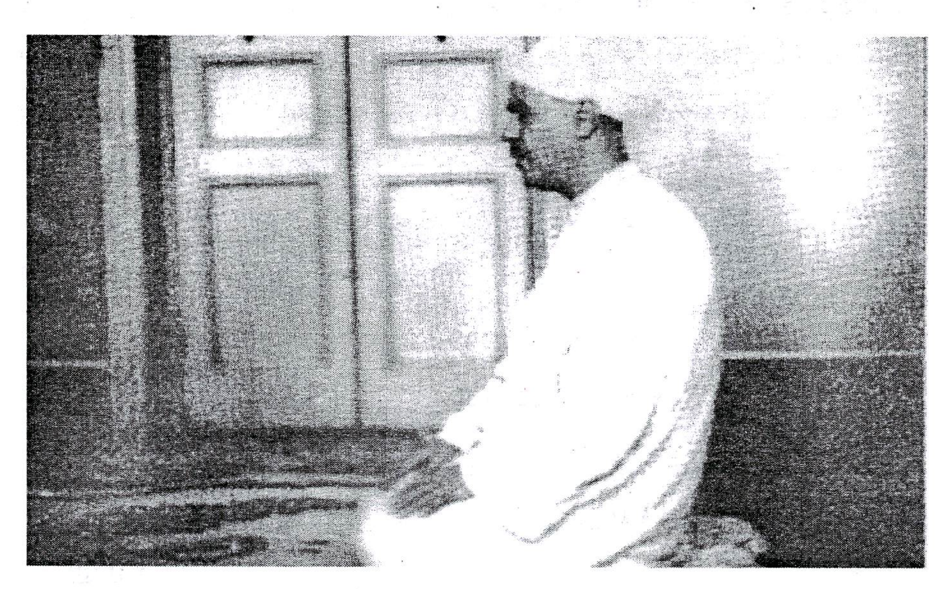
إن كل آية نسمعها منه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ترفعه درجة فى الجنة، فعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (ﷺ): «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة إقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى ينجز ما معه من القرآن، ثم يقال له اقبض فيقبض، ثم يقال له أتدرى ما فى يديك، فإذا فى يده اليمنى الخلد وفى اليسرى النعيم»، وعن على (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال: قال رسول الله (ﷺ): «من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كل قد وجبته له النار».

وسيُقال للشيخ رفعت (إن شاء الله) يوم القيامة اقرأ واصعد، ثم يقال له اقبض فإذا فى يده اليمنى الخلد وفى اليسرى النعيم.

قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [يونس ٦٢: ٦٤].

يتحدث الشيخ محمد رفعت عن مصر وقراء القرآن فيقول: إنه منذ دخل الإسلام مصر ومصر هى درة البلاد الإسلامية وسيفها المتين: وهى كنانة الله فى أرضه، ومن أرادها بسوء قسمه الله. وفى هذا يقول الرسول الكريم (ﷺ): «استوصوا بأهل مصر خيرًا» ولا يوجد بلد ذكره الله فى القرآن فى أكثر من موضع كما ذكرت مصر فحيث ذكر مكة والمدينة ذكرت مصر دون غيرها من بلاد الله".

ويقول أيضاً: لا أحد ينكر أن مصر وفد إليها الرسل من أولى العزم بدءاً بموسى عليه السلام الذى ولد على أرضها ومن قبله يوسف (عليه السلام) الذى عمل وزيراً للخزانة المصرية فى عهد أحد الفراعين والذى استدعى أخوته وأباه



صورة نادرة لقيثارة السماء وهو يصلى ويدعو الله أن يمن عليه بالشفاء من سرطان الحنجرة الذى أصابه

يعقوب، حيث عاش الجميع على أرض مصر آمنين سالمين يشربون من نيلها العظيم ويستظلون بسماحة أهلها ثم جاء المسيح (عليه السلام) وأيضاً جده إبراهيم (عليه السلام)، كما تزوج إبراهيم من مصرية ورسولنا محمد (ﷺ) كانت إحدى زوجاته مصرية.

ولسبب ما لا يعرفه أحد فإن شعب مصر مجبول على التدين الشديد منذ آلاف السنين، وهذا ما جعلنا نحن قراء القرآن الكريم ننعم بالحب والتقدير؛ لأننا نعيش مع شعب متدين ينصت بكل جوارحه إلى كلمات الله عندما تقال منى أو من غيرى.

ويقول الشيخ محمد رفعت عن السبب فى أن مصراً اشتهرت بأعلام القارئين؟

«لقد تميزت بلادى بنوع غريب من المسلمين الذين أتقنوا حفظ القرآن الكريم وتجويده وترتيله ويكفى أن الإمام ابن تيمية يقول: إن جملة حفظة القرآن فى بلاد المسلمين منهم فقط فى مصر ثلاثة أرباع حفاظ القرآن فى العالم الإسلامى كله وأنت لو تجولت فى قرى وريف مصر من أقصاها إلى أقصاها فسوف تجد العجب العجاب، ستجد صبياناً لا يتجاوز عمر الواحد منهم السنوات العشر وتجده حافظاً لكتاب الله جيداً يتساوى ويتسامى مع أكبر حفاظ القرآن الكريم فى مكة والمدينة وغيرها من بلاد المسلمين».

وكتب على عبد الهادى فى مجلة الشباب تحت عنوان سفير الإسلام عبر الأثير أمير القراء محمد رفعت فقال:

الشيخ محمد رفعت يتحدث بنفسه وعن نفسه فيقول:

الله معنا .. فلماذا نتعب أنفسنا فى البحث عن الله؟

الحياء فى القول أولاً .. ثم الحياء فى السلوك.

إذا كنت ملكاً من ملائكة الله فإن الأرض ليست لك موطناً، إنما السماء لك هى الوطن!

فى رحاب القرآن كان مولدى وفى ظل القرآن كانت نشأتى وفى أضواء القرآن سوف ألقى ربى.

الخير بلسم الشرور والبر ترياق العداء.

سادن القرآن لا يمكن أبداً أن يهادن أو أن يدان.

الحياة منيرة حقاً، فالوافدون عليها غرباء، وكذلك الراحلون عنها!

الشرف عزاء لصاحبه عن الفراغ لأن الفراغ لا يمتص الشريف!

قالوا: الوقت من ذهب .. ونقول: الوقت قد يذهب.

المتدثرون بغير الله غرباء والمعتزون بغير الله أذلة واللائذون بغير الله فى قلق يبدأ ولا ينتهى.

ومما يؤثر عنه من أناشيد، أنه كان يردد هذا الموشح:

يا رب قد عجز الطبيب فداونى..

بدوائك الخافى عن الأبصار..

أنت الذى قلت فى محكم التنزيل..

أدعونى أستجب لكم..

ودليلنا قد جاء فى القرآن،..

ثم الصلاة على النبى وآله..

المصطفى المبعوث من عدنان..

الشيخ رفعت والإذاعة المصرية

الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية

الوكلاء شركة تلغراف مركوني اللاسلكية لمنتد - لندن

راديو هاوس ٤ شارع علوي

تلفون ٥٠١٢٧

العنوان التلغرافي . ماركوني

القاهرة

---

١٨ مايو ١٩٣٤

الرد خاص بنمرة ٧٢ / ١

حضرة الشيخ محمد رفعت

الحاقاً لاتفاقنا السابق معكم نخبركم باننا نقبل مع السرور اذاعة قراءتكم الموضحة ادناه ونكون ممنونين اذا تفضلتم بالتوقيع على النسخة المرافقة لهذا واعادتها في بحر ثلاثة ايام.

الموضوع قراءة القرآن الكريم

التاريخ ٢١ مايو القراءة الاولى بمناسبة الافتتاح

الوقت الساعة ٩ مساء الى ٩,٤٥

الأجر خمسة جنيهات مصرية

على انه يشمل في حالة الاحاديث حفظ حق النشر لنا في مصر اذا ما لزم الامر لأي جزء من الحديث او للحديث كله . ويسري هذا الحق لمدة ثمانية وعشرين يوما من تاريخ الاذاعة.

ومن المفهوم ان هذا الاتفاق متوقف على قبولنا النص الاخير الذي تقدمونه للحديث على ان نتسلمه قبل موعد الاذاعة بعشرة ايام . ولنا تعهد منكم بعدم الخروج عن هذا النص الاخير الذي وافقنا عليه . ونتعهد بقبولكم الحضور لعمل تجارب في الاستوديو في اي وقت نطلب منكم ذلك . ويعتبر هذا النص ملكا للشركة .

والمبلوغ احترامي ؟

الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية

بالوكالة شركة تلغراف ماركوني اللاسلكية لمتد - لندن

راديو هاوس — ٥ شارع علوى

تلفون ٥٠١٢٧

العنوان التلغرافي: قاهراديو

القاهرة

---

١٨ مايو ١٩٣٤

[illegible] ٢٧٢ — الرد خاص بنمرة

حضرة الشيخ محمد رفعت

الحاقا لاتفاقنا السابق معكم نخبركم بأننا نقبل مع السرور اذاعة ~~حديثكم الموضح~~ قراءتكم الموضحة أدناه، ونكون شاكرين لو تفضلتم بالتوقيع على المسودة المرافقة لهذا واعادتها لنا في بحر ثلاثة أيام.

الموضوع قراءة القرآن الكريم

التاريخ كل يوم [illegible]

الوقت [illegible]

الأجر خمسة وعشرون جنيها مصريا شهريا

على أن يتصل في حالة الاحاديث حفظ حق النشر لنا في مصر لنا ما لزم الأمر لأي جزء من الحديث أو للحديث كله. ويسري هذا الحق لمدة ثمانية وعشرين يوما من تاريخ الاذاعة.

ومن المفهوم أن هذا الاتفاق متوقف على تسلمنا النص الأخير الذي تقدمونه للحديث على أن تسلمه قبل موعد الاذاعة بعشرة أيام. ولنا تعهد منكم بعدم الخروج عن هذا النص الأخير الذي وافقنا عليه. ونتعهد بقبولكم المشكور لعمل تجارب في الاستوديو في أي وقت متى طلب منكم ذلك. ويعتبر هذا النص ملكا للشركة.

وتقبلوا احتراماتي

افتتحت محطة الإذاعة المصرية فى نهاية مايو من عام ١٩٣٤م وكان صوت الشيخ رفعت أول صوت أرسل من خلالها آيات الله البينات.

واستمع إليه الناس وكأنه آت من السماء يحمل كلام الله، واستمعوا إلى الخشوع فخشعوا، استمعوا إلى صوت يفهم ما يردد ففهموا.

وكتب محمد باهى - الأهرام المسائى - يقول: «وفى عام ١٩٣٤م وعندما ألغيت المحطات الأهلية فى مصر وأنشأت شركة ماركونى الإذاعة المصرية حاول سعيد باشا لطفى التعاقد مع الشيخ محمد رفعت ليتلوا القرآن الكريم فى الإذاعة فرفض وألح عليه سعيد باشا فقال له: أمهلنى أسبوعين، وذهب الشيخ رفعت إلى الشيخ السمالوطى أحد كبار العلماء فى ذلك الوقت ليستفتيه فأكد له الشيخ السمالوطى أن إذاعة القرآن الكريم فى الراديو ليست حراماً ولكن ضمير الشيخ رفعت لم يهدأ فذهب إلى شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت فأكد له أن إذاعة القرآن ليست حراماً فبدأ فى ترتيل القرآن من إذاعة القاهرة، فكان أول من تلا القرآن الكريم وسمع صوته الملايين خلال الميكروفون فبدأ القراءة بسورة الفتح وظل يقرأ بعد ذلك القرآن مرتين فى الأسبوع فى مساء الثلاثاء والجمعة.

وقد تم التعاقد مع الشيخ محمد رفعت للقراءة لمدة سنتين قابلة للتجديد وقد اعتبر بعض القراء فى ذلك الوقت أن قراءة القرآن بالإذاعة بدعة مضلة، حتى حسم الشيخ الظواهرى شيخ الأزهر وقتها الموقف بإصداره فتوى شرعية تفيد بأن قراءة القرآن بالإذاعة ليست محرمة أو مكروهة فانضم إلى الإذاعة بعد الشيخ رفعت الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى، ثم الشيخ أبو العينين شعيشع، ثم



الشيخ محمد رفعت يقرأ أمام جهاز الجرامافون

اتسعت الدائرة بعد ذلك فشملت عدداً كبيراً من القراء، حتى أفردت الإذاعة المصرية بعد ذلك إذاعة خاصة للقرآن الكريم تطورت حتى شملت بجانب ترتيله كل علم يتصل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه.

وبدأ الشيخ رفعت إرسال الإذاعة اللاسلكية المصرية بصوته مرتلاً للقرآن لمصر وللدنيا كلها عبر الأثير فى ٣١مايو عام ١٩٣٤م وظل صوته فى تلك الفترة ينتظره الملايين لا فى مصر وحدها وإنما أيضاً من خلال الأقسام العربية فى إذاعات لندن - وباريس - وبرلين.

ولكن ما قصة دخوله الإذاعة؟

يجيب الأستاذ حسين محمد رفعت ويقول: فى سنة ١٩٣٤م والشيخ رفعت فى الثانية والخمسين من عمره - أى بعد فوات عصره الذهبى - افتتح هو الإذاعة كمقرئ وكان يقرأ القرآن على أجزاء متوالية وحده، وغيره من المقرئين يتناوبون ويكمل كل واحد منهم السور حيث يتوقف المقرئ السابق ولم يكن الشيخ رفعت يحب التسجيل فقد كان يخشى أن يمس الأسطوانة شخص غير طاهر بل إنه تردد فى الذهاب إلى الإذاعة أول مرة؛ لأنه كان شديد الخشية على آيات الله

تعالى فأقنعه زملاؤه القراء بأنه لا ضير فى ذلك وأن مسئولية الطهارة لا تقع عليه وإنما على حامل الأسطوانة وعلى المستمع.

والذى خدم الشيخ رفعت وخدم القراء أيضاً أنه فى بداية إرسال الإذاعة المصرية فى ٣١مايو سنة ١٩٣٤م، كان الشيخ رفعت يتلو القرآن الكريم يومياً على الهواء مباشرة لمدة خمسين دقيقة فى كل وقت من أوقات الصلاة ونظراً للإرهاق الشديد الذى تعرض له من جراء ذلك فقد طلب أن يساعده بعض القراء من زملائه لكن الإذاعة طلبت إليه استجابة لرسائل المستمعين أن يقرأ بتسلسل من أول القرآن الكريم إلى آخره حتى يكون له مصحف مسجل، غير أن تسجيل القرآن كله بصوت المرحوم الشيخ رفعت لم يتم واستمر الشيخ يقرأ على الهواء حتى مرض عام ١٩٤٠م وظل مريضاً وبعيداً عن الإذاعة حتى توفى.

ويكتب سامى جمال الدين ـ بجريدة النقاد العدد الأول ١ديسمبر ٢٠٠٤ـ تحت عنوان: محمد رفعت عمدة تلاوة القرآن الكريم، طلبوا منه القراءة فى الإذاعة، فإستعاذ بالله من الشيطان الرجيم!! .. وذاع صيت الشيخ رفعت حتى جاء يوم ٣١ مايو عام ١٩٣٤ م عام افتتاح الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ليعرض عليه سعيد لطفى باشا ـ مستشار الإذاعة ـ أن يفتتح الإذاعة بصوته، وهنا ثار الشيخ رفعت وغضب، وقال: إن كلام الله وقار نزل من السماء لا تليق بمقامه أن تذاع إلى جانبه الأغانى الخليعة التى تقدمها الإذاعة!!، ولكن الشيخ كان قد كون جمهوراً يريد الاستماع له بأى شكل وقد عرضوا عليه قبل ذلك أن يسجل الأغانى المأخوذة من الشعر القديم المحترم من الإذاعة الأهلية، ووافق الشيخ محمد رفعت شريطة عدم ذكر اسمه، وغنى أراك عصى الدمع، وحقك أنت المنى والطلب، وقد عمل الشيخ رفعت قبل ذلك لجمال صوته منشداً للمدائح النبوية، كما أنه كان صديقاً لمحمد عبد الوهاب، وأم كلثوم، وزكريا أحمد، وصالح عبد الحى، ونجيب الريحانى، وبديع خيرى.

وفى عام ١٩٣٤م ذهب الشيخ رفعت إلى الشيخ السمالوطى أحد أعضاء هيئة كبار العلماء ليقول له إنه بعد الإذاعة الأهلية أنشأ إذاعة أخرى ويريدوننى أن أقرأ القرآن فيها وقد قلت لهم إن القرآن لم يخلق ليرتل أمام الميكروفونات الصماء، فقال له السمالوطى: إن قراءة القرآن حلال فى الإذاعة وأخذ الشيخ

رفعت يلح فى سؤاله ويؤكد له الشيخ السمالوطى أكثر من مرة أنها حلال، وأن عليه أن يذهب إلى الإذاعة ويقرأ القرآن، فأعاد رفعت قائلاً: إنه سيقرأ القرآن والناس سيستمعون إليه فى المقاهى والحانات وصالات القمار، فقال له السمالوطى: أنت ستتلو القرآن فى مكان طاهر أليس كذلك؟!

فقال له: نعم، فقال له: لا تخش شيئاً.

لكن الشيخ رفعت كان خائفاً فذهب إلى شيخ الأزهر نفسه (الشيخ الظواهرى)، فقال له الظواهرى: أعرف ما جئت تسأل عنه يا شيخ رفعت، وتعال معى وأمسك بيد الشيخ رفعت وجعله يتحسس جهازاً فى ركن بالبيت إنه الراديو أجل يا شيخ رفعت لقد جئت لاستمع لك.

وهنا توجه الشيخ رفعت إلى الإذاعة وصدح بصوته ليستمع إليه الملايين، لكن الشيخ رفعت لم يرتح طويلاً لتلاوة القرآن فى الإذاعة، وكانت وقتها تحت سيطرة الإحتلال الإنجليزى، وبعد أن أبدى اعتراضاً ثم منع الرجل من شرب قهوته داخل الاستديو رغم أنه يظل ساعة كاملة على الهواء يقرأ، كما أن هناك أحد الإنجليز حاول منعه من الصلاة داخل الاستديو قائلاً له: الإذاعة ليست جامعاً لنصلى فيه..!!.

والغريب أن الشيخ رفعت ـ كما يقولون ـ عند افتتاح محطة فؤاد الأهلية للإذاعة رتل بصوته العذب الجميل آيات من القرآن الكريم، وطلب منه الحاضرون يومئذ وبينهم الأستاذ أمين المهدى ـ وهو من يعرفه أرباب الفن والسهر ـ طلبوا من الشيخ رفعت أن يغنى بصوته فنزل على طلبهم مشترطاً ألا يذاع اسمه وغنى فى هذا اليوم (وحقك أنت المنى والمطلب) واستمع إليه الناس فى طرب بالغ وهم لا يعرفون من المغنى بالطبع وقد وافق الشيخ رفعت على الغناء ـ على ما يقال ـ نزولاً على رغبة صديقه أمين المهدى ـ الذى كان يعشقه.

وشىء غريب وهو أن الشيخ محمد رفعت اشتهر شهرة واسعة، شهرة بلغت أمريكا وبلاد الهند وبريطانيا، هذا فى وقت لم تكن قد ظهرت فيه الإذاعات الموجودة الآن، حتى إذاعة لندن الأولى فى الظهور، على العلم أن معظم المقرئين اليوم لم نعرف عنهم شيئاً إلا من خلال ظهورهم على شاشات التليفزيون أو من خلال سماعنا لهم بالإذاعات المختلفة.

بل إن هناك الكثير من المقرئين اليوم يقرءون بالإذاعات المختلفة، ومع ذلك لم ينالوا شهرة ولا عظمة ولا احتراماً من الملايين مثلما بلغ القارئ الضرير محمد رفعت، لقد بلغ من عظمة وشهرة أن افتتن به الهنود وطلبه المهراجا واستدعاه لزيارة الهند والقراءة هناك بأثمان باهظة لا يصدقها عقل، ويبلغ من شهرة ومجد وعلو فى الحياة أن إذاعة لندن العظيمة استدعته لافتتاحها والقراءة بها بأغلى الأثمان، وبلغ من الشهرة والسمو أن أسلم الكثيرون على يديه، هذا فى وقت لم تكن قد انتشرت فيه الصحف والمجلات الدولية أو العالمية بالصورة التى هى عليها الآن.

وما زالت إذاعة القرآن الكريم المصرية (حفظها الله وجعل رايتها خفاقة فى العالمين إلى أبد الآبدين) والتى أعتبرها من أولى الإذاعات الموقرة المحترمة الآن، ما زالت تحتفظ وتحافظ بعراقتها على التراث العربى الإسلامى متمثلاً فى برامجها الحية المفيدة، وتقديمها لعلماء الأمة الأجلاء الذين رحلوا والأحياء، وتقديمها لسفراء وخدام القرآن الكريم الذين هم أعظم من قرأ القرآن فى الدنيا كلها، إنهم الكوكبة العظيمة التى امتن الله بها على العالم الإسلامى، على رأسها سيد المقرئين محمد رفعت، وعبد الفتاح الشعشاعى وعلى محمود على، وعبد العظيم زاهر، ومنصور الشامى الدمنهورى، وطه الفشنى، وأبو العينين شعيشع، وعبد الرحمن الدروى، ومحمود خليل الحصرى، ومصطفى إسماعيل، ومحمود على البنا، ومحمد صديق المنشاوى، ومحمد فريد السنديونى، ومحمود عبد الحكم، ومحمود البجيرمى عزب، ومحمد نصر الجرزاوى، ومحمود أبو الوفا الصعيدى، ومحمد الصيفى، وكامل يوسف البهتيمى، وعبد الواحد زكى راضى، وعلى حجاج السويس، وعلى حُزيّن، وعبد الرحمن الحذيفى، وفتحى حسن المليجى، وأحمد الشحات الرزيقى، وأحمد سليمان السعدنى، وسيد محمد النقشبندى، وعبد الباسط عبد الصمد الزناتى، ومحمد أحمد شبيب، وعثمان الشبراوى صيام، ومصطفى اللاهونى، ومحمد بدر حسين، ومحمد عبد الوهاب الطنطاوى، ومحمد عبد العزيز حصّان، ومحمد الطوخى، ومحمد محمود الطبلاوى، وعلى محمد الزاوى، وأحمد عبد الرحمن الزارع، والحسن محمد عبد

الله، وعاشور البحراوى، وعبد التواب البساتينى، وعبد الفتاح الزهيرى، وممدوح عبد الجليل على، ومحمد عبد الظاهر البحراوى، وإبراهيم فتح الله الإسكندرانى، وسيد عبد الشافى هلال، وعبد الرازق الجندالى، وعبد الرحمن محمد دويدار، وسعيد حسن حافظ، ومحمود سعد عبد الكريم، وأحمد أبو المعاطى، ومحمد عبد العظيم غازى، وفوزى عبد الغفار محمد، ومحمد أحمد عمران، ومحمد حسن النادى، ومكاوى محمود محمد، وهاشم محمد هيبة، ويسن حسن ندا، وفتحى عبد الحليم الطحان، وشكر محمد عبد الرحمن، وعبد الحميد الباسوسى، وحسين يوسف القرناوى، وعبد الحميد الفخام، وحمدى محمود الزامل، وزكى أحمد إسماعيل، وإسماعيل محمد القناوى، وطلعت عبد الموجود هواش، وحسن عبد العال قاسم، وأحمد أحمد نعينع، وفؤاد إسماعيل العروس، وعبد الوارث عبد العزيز، ومحمد محمد الحملى، وعلى محمود الحصرى، ومحمد محمد عيد كامل نوار، وعبد المنعم حسن أبو العزم، وإبراهيم الجوهرى، والحسن محمد عبد الله، وربيع على زين، وسيد عطية ندا، وعبد الحميد حامد عمار، وحيد الصادق أيوب أبو الحسن الشرقاوى، ومحمد بحيرى عبد الفتاح، وجمعة مختار حامد، وأحمد حسن أبو زيد، وحمزة عبد الفتاح الحلوانى، وعبد الحافظ سيد رجب، وصلاح الدين عبد الرحمن، وصلاح عبد الله الجمل، وعبد الرءوف شلبى، وأحمد أبو المعاطى، والسيد بيومى الصواف، وعاشور البحراوى، وعبد العزيز محمد بكرى، وإبراهيم المنصورى، وعبد الله سليمان شلبى، وحمزة المغازى حنطور، وأحمد على عبد التواب، وأحمد أبو طالب، وسعيد حسن حافظ، والسعيد محمد الفراش، والسيد إبراهيم ضيف، وإبراهيم سليمان، وعبد الحميد الباسوسى ، وعبد الفتاح الطاروطى، وعبد السميع بيومى، وعبد التواب البساتينى، وعبد العزيز حربى ,ومحمد حماد, ومحمد الفيومى، وممدوح عبد الجليل، ومحمد أحمد بسيونى، ومكاوى السنباطى، وسيد عطية ندا، وسيد محمد حسين، وسعيد حافظ، ونصر الدين طوبار، والشحات محمد أنور، وفرج الله الشاذلى، وعلى محمود فرج، وعبد الغفار الزيات، ويوسف المنيلاوى، ورزق خليل حبة، وعبد الحكيم عبد اللطيف، وغيرهم كثير ممن لا يحصون عدًا فى أنحاء العالم.

وهناك شاب مُجيد فى قراءة القرآن الكريم، اسمه محمود الطوخى شاب وسيم جميل الخلقة والخلق، نبرات صوته قريبة من صوت الشيخ محمد رفعت، وهو يحاول تقليده فى كثير من المواضع، التقيت به فى مسجد الفتح برمسيس، وهو قارئ السورة هناك ومعتمد بالإذاعة المصرية.

وغيرهم كثير من القراء والمبتهلين أصحاب الأصوات الذهبية أبناء مصر الطيبة المباركة ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً . . .﴾.

وإننى لأتقدم بكل مودة واعتزاز لإذاعتنا الموقرة (إذاعة القرآن الكريم المصرية)، التى تحيى ضمائرنا بآيات الذكر الحكيم، مرتلاً ومجوداً ومفسراً بأرخم الأصوات وأنداها، كما أتقدم بكل عرفان وامتنان وإجلال لكل مذيعيها المحترمين الذين يذكروننا دائماً عندما نسمعهم ونسمع أصواتهم العذبة بصحابة رسول الله (ﷺ)، إنهم يحافظون دائماً على شباب الإسلام.

كما أننى أحتفى كل الحفاوة وأعتز كل الاعتزاز وأفخر كل الفخر بأساتذتى وعلمائى بكلية دار العلوم الموقرة التى تعلمت فى رحابها والسادة علماء جامعة الأزهر الشريف، وعلماء مجمع اللغة العربية القاهرى، والمجامع اللغوية العربية، وعلماء الأمة العربية الإسلامية.

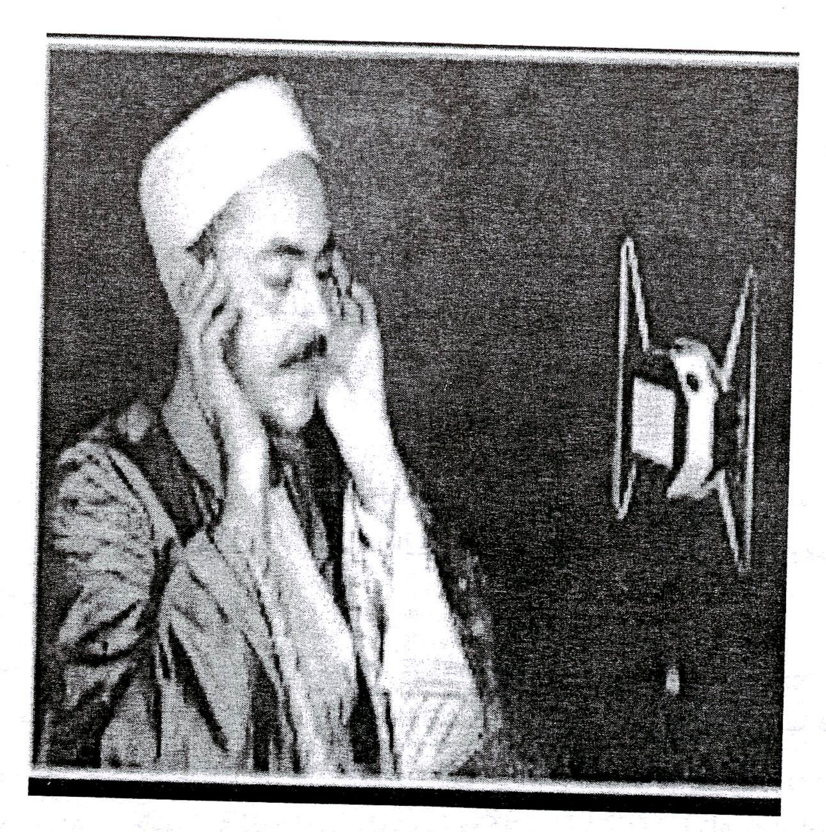
خلاف الشيخ رفعت مع الإذاعة

يقول سامى كمال الدين (جريدة النقاد العدد الأول ١ ديسمبر ٢٠٠٤ تحت عنوان محمد رفعت عمدة تلاوة القرآن الكريم ترك الإذاعة بسبب ٢جنيه ورفض ٥٠ ألف جنيه إكتتاباً لعلاجه).

فى عام ١٩٣٨ أو ١٩٣٩م توقف الشيخ رفعت عن القراءة للإذاعة لأن سعيد لطفى باشا رفع أجر الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى من ١٢جنيهاً إلى ١٤جنيهاً فى التلاوة الواحدة ولم يرفع أجر الشيخ رفعت إلى الرقم نفسه رغم أن الشيخ رفعت افتتح الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ووكلائها «شركة تلغراف ماركونى اللاسلكية» ليمتد لندن وشركة راديو هوس شارع علوى بمصر إلى هذه الحقيقة حيث يقول العقد الأول:

أولاً: تسجل الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ما تيسر من القرآن الكريم من سورة مريم لمدة نصف ساعة من الشيخ محمد رفعت تسجيلاً كهربائياً على شريط ماركونى المسجل ويرسل الشريط بطريق البحر إلى الإذاعة اللاسلكية البريطانية لاستعماله فى برنامجها العربى.

ثانياً: تدفع الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية للشيخ محمد رفعت مبلغ خمسين جنيهاً مصرياً لحساب الإذاعة اللاسلكية البريطانية كأتعاب عن تسجيل الشريط بما فى ذلك أجر إذاعته للمرة الأولى فى برنامج الإذاعة اللاسلكية البريطانية.



الشيخ محمد رفعت يسجل القرآن

ثالثاً: توفر الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية جميع التسهيلات ليسجل الشيخ رفعت عدة شرائط يختار أحسنها ليرسل بطريق البحر إلى الإذاعة اللاسلكية البريطانية وعند إرسال الشريط الذى يقع عليه الاختيار تعطى الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية إقراراً للشيخ محمد رفعت بأنها قد مسحت جميع الشرائط التى سجلت ما عدا الشريط الذى اختير.

رابعاً: اتفق الشيخ رفعت على أن يقوم بتسجيل شريط آخر بدون أن يأخذ أجراً إضافياً ليحل محل الشريط المرسل إلى لندن إذا حدث أن فقد هذا الشريط أو تلف فى الطريق إلى لندن.

خامساً: صرح للإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية بأن تتفق بالنيابة عن الإذاعة اللاسلكية البريطانية على أن هذه الأخيرة لا تعطى إذنها لأية محطة

إذاعية أخرى بأن تنقل إذاعة هذا الشريط عنها إلا إذا اتفقت المحطة التى ترغب فى إذاعته على أن تدفع للشيخ رفعت مبلغ خمسة جنيهات مصرية عن كل مرة تنقل فيها إذاعة الشريط.

سادساً: عندما تقرر الإذاعة اللاسلكية البريطانية أنها لم تعد فى حاجة إلى استعمال الشريط فى برامجها فإنها تعطى الشيخ محمد رفعت إقراراً بأنها قامت فعلاً بمسح ما سجل على الشريط.

سابعاً: فى حالة وفاة الشيخ محمد رفعت يستفيد من شروط هذا التعاقد ورثته أو من يوصى بهم هو ما دامت الإذاعة اللاسلكية البريطانية تستعمل الشريط فى برامجها تحديداً فى أول مارس لعام ١٩٣٩م.

والغريب أن الشيخ محمد رفعت ظل يقرأ القرآن للإذاعة دون أن تسجله وعندما مرض الشيخ لم تجد الإذاعة شيئاً تقدمه؟!

والسبب الحقيقى فى خلاف الشيخ محمد رفعت مع الإذاعة كما يقول الشيخ أبو العينين شعيشع أنه طالب الإذاعة بأجر مثل أم كلثوم، لكن أرباب الإذاعة رفضوا وكنت حينما أذهب إلى بيت الشيخ رفعت أستفيد دائماً.

وحلقة أهل الذكر عن الشيخ رفعت حلقة طريفة وفيها مشهد تمثيلى عن خلاف الشيخ رفعت مع الإذاعة، وجرى الحوار كالتالى:

الشيخ رفعت: اسمعوا.. أريد أن أقول لكم كلمتين إننى أحس أنكم تستغلوننى أسوأ استغلال ولهذا قررت ألا أقرأ فى الإذاعة من اليوم.

مسئول الإذاعة: هذا غير معقول يا شيخ رفعت.

الشيخ رفعت: حاولت أن أتفاهم معكم كثيراً فلم أستطع ثم إنكم تعاملون المقرئين معاملة سيئة، ولكنى أعلن احتجاجى على هذه المعاملة قررت عدم القراءة فى الإذاعة من اليوم والسلام عليكم.

مسئول الإذاعة: أرجوك يا شيخ رفعت انتظر، اجلس حتى نتفاهم.

المدير الإنجليزى: اتركه، دعه يمشى، مش عايز يقرأ، على كيفه، خلاص، إيه يعنى، ده مجرد واحد مقرئ.

ويدور حوار بين أبناء البلد عن احتجاب الشيخ رفعت وعدم قراءته فى الإذاعة، وتمنى الكثيرون ألا يكون مريضاً، لكن أحدهم يقول: إنه سمع بأنه (زعلان) مع الإذاعة، فيرد البعض بأن هذه وسيلة نصب من الإذاعة لأنه ما اشترى الراديو إلا لسماع صوت الشيخ رفعت الجليل ويعلن البعض أنه سيعيد الراديو إلى المحل الذى اشتراه منه لأن الراديو بدون الشيخ رفعت لا يعتبر راديو.

ويقال: إن الشيخ رفعت اختلف مع الإذاعة؛ لأنه رآها تعامل المقرئين بدرجة تقل عن معاملتها للمطربين والمطربات، فشق هذا الاستغلال عليه، فأعلن أنه لن يدخلها مرة أخرى، وكان طه حسين ممن لم يعبأوا بترك الشيخ رفعت للإذاعة فلم يحاول استرضاءه وإعادته، وسخط الناس لانقطاع الشيخ رفعت عن القراءة، وقالوا ما فائدة الراديو إذا لم نسمع تلاوة الشيخ رفعت.

وكان من الطريف أن الملك فاروق كان عنصراً من عناصر المحافظة على التراث الذى تبقى لدينا من الشيخ الجليل، فقد كان يحب صوته وذات مرة سأل الملك الشيخ عبد الله عفيفى إمام مسجده بالسراى الملكى، عن الشيخ رفعت فاتصل هذا بالإذاعة وطلب من عبد الحميد يونس - مدير الإذاعة - فى ذلك الوقت أن يعيد الشيخ رفعت بعد الانقطاع، وعاد الشيخ رفعت إلى الإذاعة بأمر الملك فاروق وإلحاح محبيه، وعادت الطمأنينة للنفوس وأصبح بيته ندوة وكعبة لكل أصحاب الفنون فى مصر، القراء والكتاب والملحنين والمؤذنين والشعراء، واستطاع أن يؤثر فيهم جميعاً وامتد تأثيره إلى شيخ الملحنين محمد عبد الوهاب.

ويقولون إن الشيخ رفعت حين اختلف مع الإذاعة للمرة الأولى وتوقف عن القراءة فيها تلقت الإذاعة آلاف البرقيات والخطابات التى تهدد بالامتناع عن دفع (ضريبة الراديو)، ما لم يعد الشيخ رفعت إلى الميكروفون.

وحين أتعبته الإذاعة وتنكرت له وقاطعها استطاع الإمام المراغى أن يقنعه بالعودة واستأنف التلاوة فى الإذاعة يوم ٣ مارس ١٩٨٠م، وكان يومها عيداً، كان عيداً زفه إلى عشاق صوت الشيخ رفعت المرحوم الإذاعى الرائد عبد الوهاب يوسف.

ويقال: إن السبب فى خلافه مع الإذاعة هو طلبه مساواته مع زملائه المقرئين فلم يجب طلبه فكان امتناعه مما هز دنيا المسلمين شعوباً وحكاماً وإن خلافه الأخير مع الإذاعة عجل بمرضه العضال".

ولن تنسى الإذاعات صوت الشيخ محمد رفعت ولن ينسى الناس صوته المسجل على تلك، الأسطوانات الركيكة أو الشرائط المشوشة، الصوت الذى أبهرهم فى كل زمان ومكان، فما بالنا بصوته الحقيقى أيام شبابه؟ رحم الله أعظم الأصوات وأخلدها (الشيخ محمد رفعت).

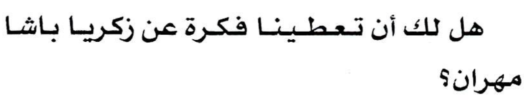
الشيخ رفعت وتسجيل القرآن

إن قسم التسجيلات بالإذاعة كان مشغولاً بتسجيل ٧٣٢ أسطوانة للشيخ محمد رفعت على شرائط لم تذع كل هذه الأسطوانات من قبل وعندما يتم التسجيل سوف تصبح الإذاعة مالكة لجميع سور القرآن مسجلة بأرخم صوت رتل القرآن.

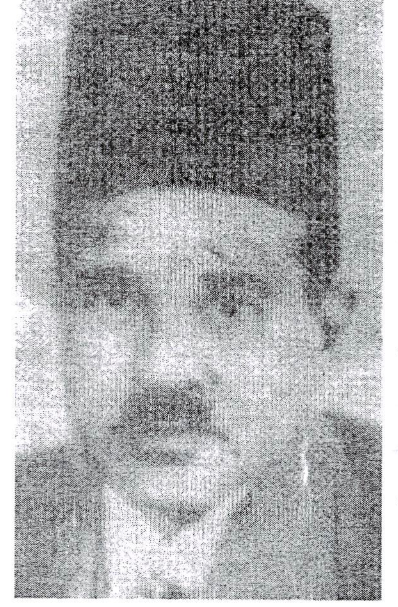
ونتساءل كيف تمت التسجيلات التى نسمعها الآن بصوت المغفور له الشيخ محمد رفعت فى وقت لم تكن فيه مسجلات ولا شرائط ولا ميكروفونات غير الأسطوانات التى كان يمتلكها الأغنياء من الباشوات فى مصر فى ذلك الوقت؟

فى حوار إذاعى مع الأستاذ أحمد رفعت أجراه الأستاذ محمد صفوت، يقول الأستاذ أحمد محمد رفعت:

إن صاحب الفضل الأكبر فى حفظ تراث الشيخ رفعت هو زكريا مهران باشا - عضو مجلس الشيوخ المصرى السابق - وسيذكر له التاريخ هذا الفضل والله وحده هو الذى ألهمه أن يفرغ نفسه - رغم مشاكله الكثيرة - كى يقوم بتسجيل قراءات الشيخ رفعت من الراديو يومى الثلاثاء والجمعة، فهو لم يقابل الشيخ رفعت ولم يتحدث إليه، وإنما كان مغرماً بسماع الشيخ رفعت وبدأ بتسجيل الأسطوانات وكانت لا تزيد مدة الأسطوانة عن دقيقتين و٤٥ثانية، ولك أن تدرك مدى الجهد الذى بذله هذا الرجل فقد كان يخشى أن تفوته آية من تلاوة الشيخ عندما يقلب الأسطوانة فأعد للتسجيل جهازين.



هل لك أن تعطينا فكرة عن زكريا باشا مهران؟



زكريا باشا مهران ٠الرجل الذى سجل معظم أسطوانات الشيخ الجليل محمد رفعت

هو مليونير واقتصادى كبير وأنشأ مع طلعت حرب باشا بنك مصر وخلفه فى إدارته وكان من الأحرار الدستوريين وعضو مجلس الشيوخ وزوجته حفيدة على باشا مبارك وتوفى فجأة داخل المجلس وهو صاحب الفضل الأكبر فى حفظ تراث الشيخ رفعت مسجلاً من الراديو وهناك شخص آخر سجل له عدداً من الأسطوانات القيمة هو محمد بك خميس تاجر الجملة فى «بين الصورين».

وكيف تم تجميع الأسطوانات؟

لما مرض الشيخ رفعت وتوقف عن القراءة وسمع بذلك زكريا باشا مهران هرع إلى الإذاعة ومعه نموذج من تسجيلات الشيخ رفعت من سورة طه كعينة وأبلغ مدير الإذاعة أن بقية التسجيلات أو الأسطوانات لديه هو على استعداد لتسليمها جميعاً إلى الإذاعة، شريطة أن تدفع الإذاعة أجراً كمعاش للشيخ رفعت يساوى أجر السيدة أم كلثوم، وكانت أم كلثوم تتلقى فى الليلة ٣٥ جنيهاً.

وبدأ المفاوضات وطالت، فقال لهم زكريا باشا مهران: إن الشيخ رفعت، لم يصل إلى ما وصل إليه بالطرب وإنما وصل بالقرآن وكان على وشك أن يطلب من الدولة إعطاء الشيخ رفعت معاشاً استثنائياً أسوة (بالمتر رايد)، عميد كلية فيكتوريا بالإسكندرية، بعد انتهاء خدمته، لكن للأسف توفى زكريا مهران فجأة داخل المجلس، مجلس الشيوخ، ولم تتحقق أمنيته.

وكيف حصلتم على الأسطوانات بعد وفاته؟

قال حسين رفعت: استطعنا أن نثبت أحقيتنا فى امتلاكها قانوناً ولكن للأسف لم نجد الأسطوانات كلها بعد وفاة الرجل وتنازع الورثة وإنما وجدنا بعضها، وفى

يوم من الأيام توجهت إلى أرملة زكريا باشا مهران، أنا وأخى، واستأذنتها فى البحث عن أسطوانات قديمة كانت على وشك الانتقال من البيت ـ فسمحت لنا ـ ودخلنا نعبث فى الأدراج هنا وهناك وفجأة سمعت أخى يقول: وجدتها وجدتها، وبالفعل وجد عدداً كبيراً من الأسطوانات القديمة بصوت الشيخ رفعت، لكن أين بقية المجموعة؟ أين التراث الكامل الذى احتفظ به زكريا باشا مهران؟ لقد ضاع ولا نعلم عنه شيئاً.

هل فقد مع الإهمال، أم احتفظ به البعض لنفسه وكتم الحقيقة؟

إننا لا ندرى .. إنها مأساة حقاً، هذا التراث الذى لا يقدر بمال خسارة لنا، بل للمسلمين جميعاً.

وكانت الإذاعة قد أعلنت عن مكافأة قدرها ١٠٠جنيه لمن يجد أسطوانة للشيخ رفعت ولم نجد له وقتها سوى سورة الفتح وهذا هو المبلغ الوحيد الذى تلقيناه.

ويقول الحاج حسين رفعت: لو كان باستطاعتى الاتصال بالأرواح لإرشادى عن مكانها لفعلت، لكن ما باليد حيلة، يكفى أن أقول لك إننى حضرت أحد المزادات مرة، فوجدت أسطوانات قديمة وكانت لأبى فأخذتها كالكنز الثمين، وإننى أدعوى كل من عنده أسطوانة قديمة للشيخ رفعت أن يرسلها إلينا أو إلى الإذاعة وأجره كبير عند الله.

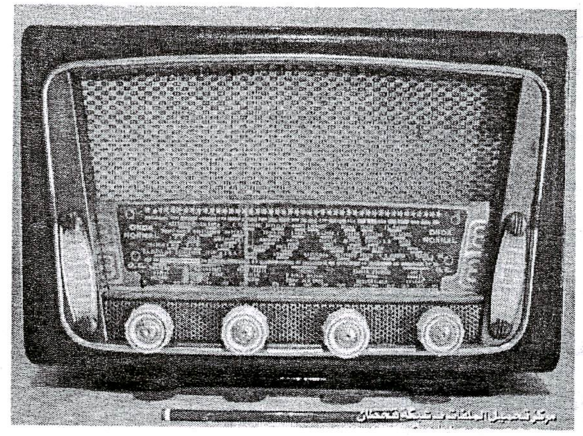
هل سلمت تراث والدك العظيم للإذاعة؟

نعم وطبعت صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات ٩٥بالمائة من شرائطه.

من ساهم فى استكمال الأجزاء الناقصة أو الممسوحة من الأسطوانات؟

الشيخ أبو العينين شعيشع والدكتور أحمد هيبة ويعمل بوزارة الزراعة، ووفقنى الله فى النهاية إلى أن أعمل مونتاج من صوت الشيخ رفعت بنفسه، أى استكمال الكلمات الناقصة فى أحد الشرائط بنفس الكلمات إذا تكررت فى شرائط أخرى، مثلما حدث فى الآية التى فى سورة يوسف ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾. [الآية ٥]

لكن لماذا لا نجد للشيخ تسجيلات قرآنية كثيرة وبصوت نقى تماماً كغيره من المقرئين؟



(جهاز الراديو) القديم

لم يكن التسجيل بنفس السهولة الموجودة فى هذه الأيام ولم يكن عند الناس أجهزة تسجيل باستثناء قلة نادرة من الأغنياء ممن امتلكوا أجهزة تسجيل أسطوانات بل إن الراديو لم يكن واسع الانتشار، فكان الناس يتجمعون حول هذه الأجهزة القليلة لسماع الشيخ رفعت كل يوم ثلاثاء وجمعة من الثامنة إلى الثامنة والنصف مساءً.

ويقول آخر: إنه منذ وفاة الشيخ رفعت بدأت أسرته تجمع تسجيلاته التى توجد عند أسرة صديقه التاجر ـ محمد خميس ـ وأسرة زكريا باشا مهران، كما حرصت الأسرة على أن تستفيد من التسجيلات الموجودة كلها وتدعم بعضها ببعض بتكملة الناقص منها، وقدمت للإذاعة خمسة أشرطة فى عام ١٩٥٤م، كما قدمت الأسرة لإذاعة الشرق الأوسط عند افتتاحها، وحين بدأت إذاعة القرآن الكريم أهدت الأسرة ما بقى عندها دون مقابل.

ويدعى البعض قائلاً: إن أحد أبناء الشيخ رفعت ـ الابن الأكبر فى الغالب ـ هو الذى منع والده من تسجيل القرآن كاملاً بالإذاعة خشية أن يستغنوا بالأسطوانات المسجلة عن تلاوته الشخصية فيفقد بذلك أجره.

ويرد على هذا الإدعاء ابنا الشيخ رفعت (أحمد وحسين) فى حوارهما مع الأستاذ محمد صفوت، وينكر الرجلان إنكاراً شديداً هذا القول ويقول الأستاذ حسين محمد رفعت، سأحكى لك القصة بالتفصيل كما حدثت:

ـ لقد كانت هناك نية لأن يقوم الشيخ رفع بتسجيل عدد كبير من الأشرطة واتصل به (سعيد باشا لطفى) مدير الإذاعة والإذاعة البريطانية (بى بى سى) فى

عام ١٩٣٨، ١٩٣٩ وأوفدوا الشاعر الزجال «أبو بثينة» كوسيط للاتفاق مع الشيخ رفعت، فكان الاتفاق من جانب الشيخ رفعت أن يسجل الشريط لقاء ١٠٠جنيه كأجر لقراءة الشيخ، ١٠٠جنيه أخرى كأجر لاستخدام الشريط المسجل مع دفع ٥ جنيهات عن كل إعادة فى الإذاعة.

وكان مطلوباً منه تسجيل عشرة شرائط فيكون المبلغ٢٠٠×١٠ = ٢٠٠٠ جنيه (ألفى جنيه مصرى)، فأبلغ أبو بثينة سعيد باشا لطفى، ورفاقه أجر الشيخ رفعت بطريقة خاطئة وبدلاً من أن يجمعوا ١٠٠+١٠٠ = ٢٠٠ جنيه، إذ بهم يضربون ١٠٠×١٠٠ = ١٠٠٠٠جنيه (عشرة آلاف جنيه) تضرب فى عدد الأسطوانات.

وعلى أى حال أرسل الشيخ نموذجين من تسجيله كعينة إلى إذاعة (بى بى سى) على ظهر مركبين منفصلين، ونظراً للتوتر الدولى فى بداية الحرب العالمية الثانية، وكانت عن سورتين، «مريم ـ وآل عمران»، ومع كثرة المماحكة والمماطلة رفض الشيخ التسجيل وكتب أبو بثينة بعد ذلك هذه القصة فى مجلة (الكواكب) حسب روايته هو وطلب محمد ـ الابن الأكبر ـ للشيخ رفعت رفع دعوى على أبوبثينة فرفضت لأنى لا أحب الخصومة.

اعتراف أبو بثينة كما ورد بمجلة الكواكب الصادرة فى يوم ٣١ / ٥ / ١٩٦٦م تحت عنوان ـ محمد رفعت ـ قال:

«وفى عام ١٩٣٨، ١٩٣٩م على ما أذكر اختلف الشيخ محمد رفعت مع الإذاعة، انقطع عنها لأن المرحوم محمد سعيد لطفى باشا كان قد رفع أجر المرحوم الشيخ عبد الفتاح الشعشاعى من ١٢جنيهاً إلى ١٤جنيهاً فى التلاوة الواحدة ولم يرفع أجر الشيخ محمد رفعت إلى نفس الرقم وظن سعيد لطفى أن الجمهور لن يهتم لانقطاع الشيخ رفعت ولكن الرسائل بدأت تنهال على الإذاعة مطالبة بعودة الشيخ محمد رفعت وكثير من هذه الرسائل كان من مواطنين مسيحيين وأقباط ممن كانوا يحرصون على سماع الشيخ رفعت وخاصة فى تلاوة سورة مريم وتجاهلت الإذاعة هذه الرسائل وكاد الجمهور ييأس فأخذت أنشر رسائل القراء فى جريدة المصرى التى أكتب نقداً يومياً للإذاعة فيها وما كاد الجمهور يجد الصحيفة التى ترفع صوته حتى انهالت الرسائل.

وحملت مئات من هذه الرسائل الثائرة الغاضبة وقابلت المرحوم سعيد لطفى وطالبته بأن يستجيب لرغبات الشعب بل ولرغبات المستمعين من سائر الأقطار العربية الذين كانوا يستمعون إلى إذاعتنا، فقال لى: إن الشيخ يرفض العودة للإذاعة وفوضنى فى أن أكون وسيط صلح بين الطرفين.

فلما التقيت بالشيخ رفعت فى داره قال لى فى أدبه المعهود وتواضعه المعروف: «أنا يا سى محمد - وكان يخاطبنى بهذه العبارة الحلوة - لست طماعاً ولا متاجراً بكلام الله ولا أكره الخير لزميلى الشيخ الشعشاعى، كلانا يستحق أكثر من هذا الأجر إذا كانت المقاييس بجودة التلاوة، ولكن كرامتى تأبى أن ينظر إلىّ على أننى أقل من زميلى استحقاقاً للتقدير».

وقد وفقنى الله إلى إقناعه بقبول الأجر الجديد الذى منح للشيخ الشعشاعى بعد أن كان الأستاذ محمد ابن الشيخ رفعت مصراً على الا يعود أبوه إلى الإذاعة إلا بضعف أجر الشعشاعى.

وبعد سنوات بدأت تعترى حنجرة الشيخ رفعت زغطة متقطعة كان يعانى أشد العناء من مقاومتها فاقترحت على المرحوم سعيد لطفى أن تقوم الإذاعة بتسجيل القرآن الكريم كله بصوت الشيخ رفعت فقبل الاقتراح وفوضنى فى الاتفاق مع الشيخ رفعت على أن يتقاضى ٥٠جنيهاً عن كل شريط، ولكن محمد ابن الشيخ رفعت تدخل فى المفاوضات وأصر على أن يتقاضى الشيخ رفعت ١٠٠جنيه عن كل شريط على ألا يذاع شى ء من هذه التسجيلات إلا بعد وفاة الشيخ رفعت ورفض سعيد لطفى هذا الأجر لأن التسجيلات كانت يومئذ تطبع على شريط معدنى كبير الحجم - اسمه شريط ماركونى - يبلغ ثمن الواحد منه ٥٠جنيهاً، وكان تسجيل القرآن الكريم كله يحتاج إلى ٥٠ شريطاً على الأقل، فكان على الإذاعة أن تدفع فى هذه المهمة - إذا قبل المبلغ الذى عرضته - ١٢٥ألف جنيه مع بذل الجهد فى الحصول على هذا العدد الكبير من الأشرطة التى كانت نادرة فى ذلك الوقت، ولسوء الحظ فشلت المفاوضات لأن المبلغ الذى كان لابد أن تدفعه الإذاعة حسبما طلب ابن الشيخ رفعت هو ربع مليون جنيه.

ولو رجع القراء إلى مجموعة جريدة المصرى القديمة لوجدوا أننى أول من أشار إلى أن السيد ـ خميس ـ التاجر المعروف والسيد زكريا باشا مهران يقومان بالتسجيل لتلاوة الشيخ محمد رفعت على أجهزة خاصة.

وأختتم هذه الكلمة برجاء إلى كل مواطن لديه أى تسجيل لم تصل إليه الإذاعة من تسجيلات الشيخ رفعت أن يتعاون مع الإذاعة على تسجيله وإذاعته والاحتفاظ به كتراث إسلامى له قيمته الكبرى.

وتحية ورحمة لروح الشيخ محمد رفعت.

كان لابد على الإذاعة أن تقوم بتسجيل القرآن كاملاً بصوت الشيخ محمد رفعت منذ بداية افتتاحها لا منذ بداية ظهور مرض الزغطة عند الشيخ الجليل.

وكان لابد على مسئول الإذاعة أن يقوم بنفسه بالاتفاق مع الشيخ رفعت على الأجر المطلوب لا أن يرسل وسيطاً ولو نادى سعيد لطفى فى شعب مصر العظيم لجمع المبلغ المطلوب لتسجيل القرآن كله بصوت الكروان محمد رفعت لانهالت الأموال على الإذاعة ولجمعوا مليون جنيه بدلاً من ربع مليون جنيه، ولو حدث ذلك لامتلكنا تسجيلاً كاملاً بصوت الشيخ رفعت العظيم..

ولو لم يقم زكريا مهران باشا، ومحمد خميس التاجر، وعمدة الأرياف بالتسجيل للشيخ محمد رفعت لضاع ذلك الصوت العظيم الذى ما زال يسحرنا إلى اليوم ولما عرفنا عن الشيخ رفعت العظيم شيئاً.

يقول الأستاذ «محمود السعدنى»: وحقيقة أخرى أبلغ دلالة فالغالبية العظمى من الأشرطة التى تذاع اليوم للشيخ رفعت لم يكن للإذاعة فضل فيها، بل إن الفضل كله يرجع إلى عشاق الشيخ محمد رفعت الذين لم يكونوا على صلة صداقة أو معرفة بالشيخ، بل دفعهم الحب الصادق والاعتراف بعبقرية صاحب الصوت إلى تسجيل كل سور القرآن بدون هدف إلا هدف الاحتفاظ بهذا التراث الخالد العظيم، فترى أحد الباشوات ـ هو زكريا مهران يحتفظ بتسجيلات الشيخ دون أن يكون قد رأى الشيخ مرة واحد ة فى حياته.

وهناك تاجر وطنى كبير وموظف سابق أو عمدة أرياف ـ من عمد الأرياف ـ يحتفظون بنفس الشىء؛ لأنهم أدركوا بفطرتهم الفنية السليمة أن هذا الشىء يجب الاحتفاظ به لأنه ثمين.

وقد حدث أن قطعت الإذاعة إرسالها أكثر من مرة لتذيع على الناس بشرى العثور على شريط جديد للشيخ ويذاع الشريط ويكون حديث الناس فى كل مكان وسيظل رفعت حديث الأجيال كفنان عملاق إلى زمن بعيد.

وتكونت جمعيات من محبى الشيخ رفعت ومريديه قاموا بتجميع ما يقرب من ٢٧٨ أسطوانة تضم ١٩سورة مدتها ١٢ساعة وقدموها هدية لإثراء المكتبة الإذاعية وفاءً منهم للرجل الذى كان أول من قرأ بها عند بداية افتتاحها فتعلقت القلوب بتسجيلاته الشهيرة يوسف ـ الكهف ـ الرحمن ـ وآل عمران....، وحتى اليوم وبعد رحيله بعشرات السنين فما زالت آذان المستمعين على اختلاف ألوانهم تسعى إلى صوته الرخيم.

وقد خرجت شهرته من نطاق المحلية إلى نطاق العالمية ويكفيه فخراً بصوته وعلمه أن إذاعات (لندن وباريس وبرلين) فى محاولة منها لجذب أنظار المستمعين فى العالم الإسلامى إلى برامجها ونشراتها الإخبارية، كانت تذيع تسجيلاته القرآنية أثناء الحرب العالمية الثانية.

يقول الأستاذ الشاعر كمال النجمى: هذه التسجيلات ليست صورة كاملة لصوت الشيخ محمد رفعت ـ رحمه الله ـ فهى أسطوانات قديمة سجلها المعجبون بصوت الشيخ الجليل وهو فى آخريات حياته بعد أن كبر ومرض وأوشك على الإعتزال باستثناء أسطوانتين أو ثلاث (مريم ـ آل عمران ـ طه) أما الباقى فهو صورة شاحبة أو قبس قليل من ذلك الشهاب الساطع المتألق، ومع ذلك فإن هذه التسجيلات خير من لا شىء إلا أنها نفحة من صوت القارئ العظيم.

وهناك تسجيلان اثنان فقط للشيخ المغفور له محمد رفعت، وهما تسجيل لسورة هود، تلاوة الشيخ المباركة للآيات من قوله تعالي ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا

فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦١)﴾.. إلي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥)﴾..

ثم نفتقد تسجيلا للآيات التالية، أعتقد أن الأسطوانات قد فقدت، ثم يبدأ من قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

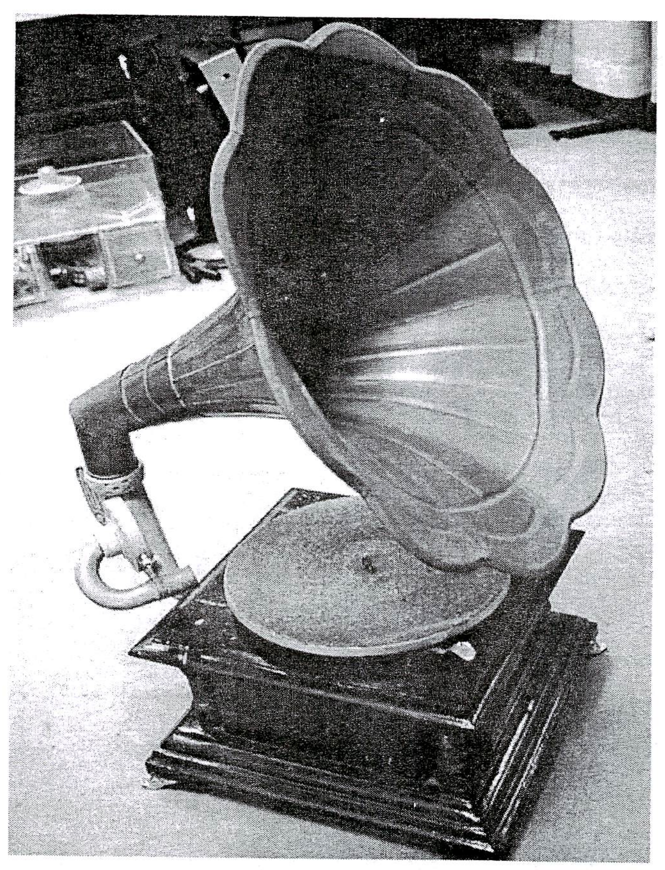
تجمع إذاعة القرآن الكريم التسجيلان وتذيعهما في نصف ساعة، وهناك تسجيل آخر بصور المغفور له محمد رفعت من سورة الكهف، تلاوته لآيات المباركة من قوله تعالي: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى(١٣)﴾إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا(٢١)﴾.

وهما التسجيلان اللذان يظهر فيهما صوت المستمعين، ويظهر جليا صوت من يقوم بالتسجيل للشيخ محمد رفعت، الرجل الذي سجل للشيخ محمد رفعت معظم التسجيلات التى نسمعها اليوم.

وقد تنبه هذا الرجل الباشا إلى أنه يجب عليه أن يمتلك تسجيلا لهذا الشيء الثمين النادر الوجود، الذي لا يقل عن أى منصب يشغله أو مال بل إنه أعظم من ذلك كله، ولذلك أفرد للتسجيل الوقت والجهد والمال.. نسمع صوت زكريا باشا مهران وهو يقول للمستمعين هذه العبارة.(نسمع بقه نسمع)!!

ولست أدرى كيف تم هذا التسجيل للشيخ محمد رفعت؟ هل كان زكريا باشا مهران يسجل فى منزله ومعه مجموعة من المستمعين؟؟ أستبعد ذلك، أم هل ذهب زكريا باشا بجهاز التسجيل ليسجل للشيخ رفعت فى محفل أو مأتم؟؟

استبعد ذلك لأن زكريا باشا مهران لم ير الشيخ محمد رفعت مرة واحدة فى حياته، ولم يكن لديه وقت للذهاب خلق المحافل والمياتم، إنما كان يسجل للشيخ رفعت من خلال تسجيلات الإذاعة.



(جهاز الجرامافون) جهاز التسجيل

إذن كيف تمت تلك التسجيلات التى يظهر فيها صوت المتسمعين على العلم بأن الشيخ محمد رفعت كان حريصا كل الحرص على تلاوة سورة الكهف يوم الجمعة فى مسجد فاضل باشا بشارع بورسعيد الآن.

وهما التسجيلان الوحيدان اللذان يظهر فيهما صوت معجبوه ومحبوه ومريدوه من كافة طوائف الشعب - يرحمهم الله جميعًا.

كيف تم تسجيل هاتين السورتين اللتين يظهر فيهما صوت المستمعين ، وكان من الصعوبة حمل جهاز التسجيل للمسجد.

وأقول لكم أيها السامعون: إن هذه التسجيلات على ما بذل فيها من جهد ومال ليست إلا صورة مهتزة من ذلك الأصل الرائع العظيم الذى التقطت منه إلا أنها - على أية حال - خير من لا شىء، فإنها كما يقال نفحة من رائحة الفنان العظيم الذى فقدناه حياً وميتاً.

وستظل تسجيلات الشيخ محمد رفعت هى التسجيلات التى يحرص على سماعها عشاقه ومحبوه على كل ما فيها من وشوشة ومرض إلا أنها أعظم ما سمعنا فى دنيا القراءة.

ومهما تقدمت التسجيلات ومهما ظهرت أجهزة جديدة وأصوات حسنة فى قراءة القرآن، فستظل تسجيلات الشيخ محمد رفعت تراثاً صوتياً لا يستطيع أى عصر مهما بلغت عظمته ورقيه الاستغناء عنها...

وقد ذكر لى حفيد الشيخ محمد رفعت وهو الأستاذ إبراهيم أحمد محمد رفعت: أن إذاعة لندن الموقرة اعتنت بتنقية أسطوانات الشيخ محمد رفعت بتكلفة تصل إلى أربعين ألف جنيه.

إصابته بالمرض ووفاته



الشيخ محمد رفعت يتناول دواء الزغطة

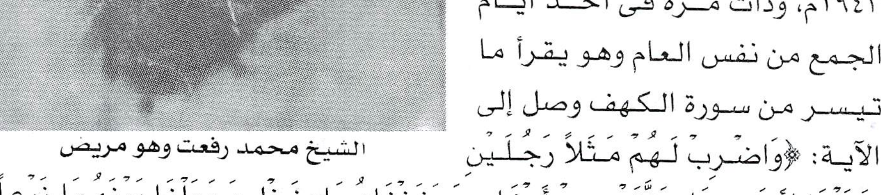
وظل إمام المقرئين يرتل آيات الله فى إيمان وخشوع فوضع لنفسه مع الناس جسراً من المحبة والمتعة الروحية حتى قهره المرض فاستسلم لقضاء الله غير نادم على الحياة وكيف لا وقد قضاها مع كتاب الله فهو الآن فى رحاب صاحب الكتاب وسقط منه الجسد ولم تسقط منه الروح فى عام ١٩٥٠م.

ويقول الأستاذ محمد عبد الوهاب:
ويمرض الشيخ رفعت فى منتصف الأربعينات نتيجة لورم أصاب حلقه وسارت شائعات تقول: إن حساده دسوا له السم، لكن الحقيقة هى أن احتباس صوته فى أخريات حياته جاء نتيجة لورم طبيعى فى حلقه اتضح أنه سرطان الحنجرة، وتمر الأيام وينتشر المرض إلى أن تفشى فى جسمه كله حتى الوفاة.

ويضيف الشيخ أبو العينين شعيشع: فى بداية الأربعينات ومنذ عام ١٩٤٣ مرض الشيخ ولعبوا فى حنجرته فأفسدوها وزد على ذلك مرض (الزغطة)، حتى إن البعض قال: إن السبب فى ذلك هو الجن وكان الشيخ رفعت يقول: «كل ما جاء من عند الله فأنا راض به».

لكن من الأسباب التى أثرت عليه حقاً - كما يقول شعيشع - معاملة الإذاعة له، فقد كان دائماً يشكو لى منها عندما كنت أزوره فى بيته فى البغالة، كانت الإذاعة كلها ضده وكنت أواسيه وأقول له: «إن الناجح دائمًا محسود».

ولم يمتد العمر بهذا الكمان السماوى، فقد عطل أوتاره المرض ابتداء بورم بسيط أصاب حنجرة الشيخ الجليل عام ١٩٣٩م فلم يمكنه من السيطرة على صوته بتلك الطريقة المعجزة التى كان يقرأ بها فى العشرينيات والثلاثينيات، وأصيب الشيخ رفعت باحتباس الصوت (الزغّطة)، ظل هذا الاحتباس يداهمه ويسيطر عليه واتضح أنه سرطان الحنجرة.


الشيخ محمد رفعت وهو مريض

أصاب الشيخ المرض وأقعده عام ١٩٤٣م، وذات مرة فى أحد أيام الجمع من نفس العام وهو يقرأ ما تيسر من سورة الكهف وصل إلى الآية: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾ [الكهف: ٣٢]، غص صوته واحتبس فى كلمتين أو ثلاث.

وفى ١٩٤٣م يصف لنا شاهد عيان مأساة الشيخ رفعت صاحب أرقى حنجرة وأسمى فن سمائى فى مصر فى القرن العشرين - وهو الأستاذ كمال النجمى - رئيس تحرير مجلة الهلال - تلك اللحظة الرهيبة التى وقعت أمامه إذ كان حاضراً بين المصلين فيقول: فى سنة ١٩٤٣م، رأيت مشهداً مبكياً من مأساة القارئ العبقرى الشيخ محمد رفعت، صاحب أرقى حنجرة وأسمى فن غنائى فى عصرنا يعتمد على بديهة الارتجال.

رأيت مأساة فى لحظات رهيبة تشبه الحلم المرعب وقد أحاط به مئات المستعمين وكانت عادتى أن أقصد يوم الجمعة مبكراً إلى المسجد مسجد فاضل

باشا بالجماميز لأجد مكاناً قريباً من الشيخ رفعت، فقد كان صوته على تعدد مقاماته واكتماله صغير الحجم لا يستوعب دقة نبراته إلا القريبون منه ومن مجلسه، وفى المرة الأخيرة التى سمعت فيها الشيخ رفعت، ولم أسمعه بعدها، كان يتلو سورة الكهف فى المسجد كعادته فقاوم الزغطة التى غص بها حلقه وقرأ ما سمحت به نوباتها المتكررة ثم سيطرت (الزغطة) على الموقف وملأت حلق الشيخ، وحبس صوته تماماً، حنى الشيخ رأسه جريح القلب لا يدرى ما يصنع ثم أخرج من جيبه زجاجة صغيرة فيها سائل أحمر يبدو أنه دواء وصفه له بعض الأطباء فأطاعه صوته فى آيتين أو ثلاث ثم قهره الدواء وتوقف حائراً لبعض الوقت ثم غادر مجلسه تاركاً إياه لشيخ آخر.

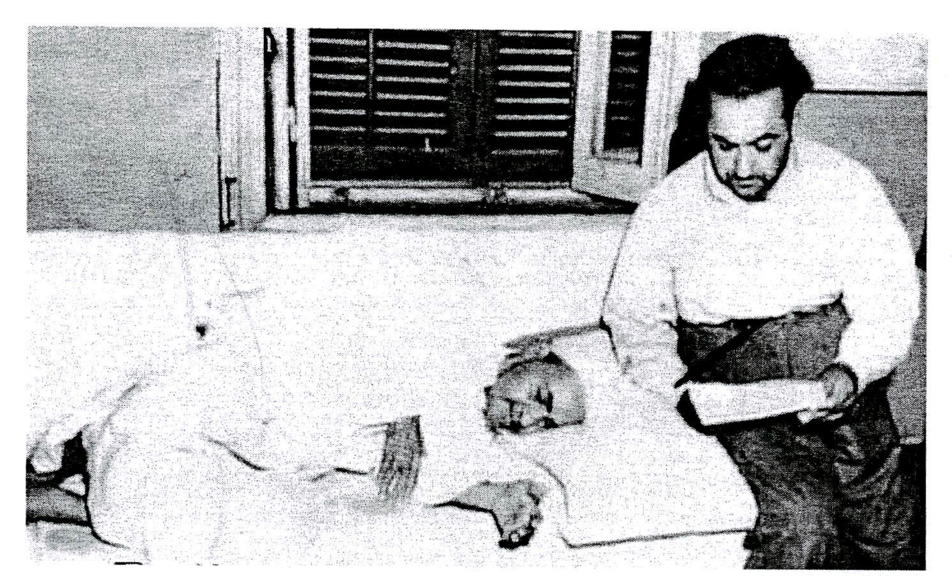
فى هذه اللحظة المؤسية انفجر الناس فى المسجد باكين وعلا نحيب المقرئين الشبان الذين كانوا يلتفون حول الشيخ رفعت كل أسبوع ليتعلموا طريقته وصناعته.

تحول الموقف إلى مأتم رهيب للصوت العبقرى الذى ضاع وبعد الصلاة خرج الناس وعيونهم فيها الدموع وقلوبهم تحف بالشيخ الحزين، لا يدرون أيواسونه أم يواسون أنفسهم؟!.

كانت هذه آخر مرة رأيت فيها الشيخ رفعت وسمعته فيها، وما زال المشهد الدامى الذى خيم علينا فى تلك الجمعة الحزينة يبعث أشجانى وآلامى كلما خطر ببالى - وكثيراً ما يخطر ببالى - قاسياً عنيفاً كما رأيته فى ذلك اليوم الموجع الأسيف.

وكلما سمعت الآن شريطاً مسجلاً من تلاوة الشيخ رفعت أفيق من نشوتى السماوية على ذلك المشهد التاريخى الرهيب فأرى الشيخ رفعت كيوم رأيته فى المسجد منذ ربع قرن وقد احتبس صوته وزجاجة الأحمر تنتقل من جيبه إلى يده ومن يده إلى جيبه والناس من حوله يقهرهم اليأس والألم والحسرة.

والمقرئ الصغير الكفيف كان يحث السامعين على الاتصالات فى أول الأمر يقف فيهم خطيباً يحثهم على الصبر ثم يخونه صبره فيجهش بالبكاء ويضع الناس وراءه باكين.



الشيخ محمد رفعت يرقد فى فراشه وابنه الأكبر يتلو على مسمعه رسالة

لقد عطل المرض تلك الأوتار السماوية ثم أسكتها الموت إلى الأبد ولم يبق منها إلا ظل باهت يتمثل فى تلك التسجيلات التى نسمعها الآن بين الحين والحين.

ويقول الأستاذ فكرى أباظة: وهكذا تعطلت الحنجرة الإلهية السماوية واستسلم الشيخ رفعت لقضاء الله ولزم سرير المرض إلى أن توفاه الله.

وهكذا شاءت إرادة الله أن يتحطم هذا الناى الحزين وتتكسر القيثارة الذهبية التى طالما بهرت ملايين من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، لكن صوته العبقرى سيظل باقياً كما تبقى الرسالات توقظ أرواحنا وتحيى ضمائرنا وتزيد إيماننا بآيات الله رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما نفع المسلمين فى دنياهم وآخرتهم.

ويقول: وما إن علم الناس بوفاته ـ رحمه الله ـ حتى اشتركت الآلاف فى تشييع جنازته وتزاحم الناس على بيته ولم يسبق أن أحدثت وفاة ملك أو أمير أو وزير هزة ودوياً مثلما حدث عند وفاة الشيخ رفعت العظيم واضطرت السلطات المصرية إلى فرض حراسة على بيته وإغلاق الطرق المؤدية إليه من شدة الزحام، ودفن الشيخ على عجل فى مقبرة تبرع بها أحد معجبيه، وفى هذا المشهد

العجيب ظهر وفاء الناس الذين سبق أن فتنهم الرجل ورقق قلوبهم وأبكاهم إلى أن بكاهم فى النهاية على نفسه، كما ظهرت طبيعة هذا الشيخ الذى تجرد من متاع الحياة، ولم يخلف وراءه شيئاً يذكر، ولم يبق سوى بعض تراثه متمثلاً فى أسطوانات نادرة بذل أبناؤه أقصى ما يمكن من جهد وعرق ومال فى سبيل جمعها ومعالجة الناقص فيها، ولا يزالون يبحثون عن بقية أسطواناته الضائعة، مثلهم فى ذلك مثل الباحث عن البترول فى صحراء قاحلة ماحلة مترامية الأطراف.

وكتب شكرى القاضى ـ الجمهورية ـ يقول: «الحمد لله ... الحمد لله»، كانت آخر عبارات معجزة التلاوة فضيلة الشيخ محمد رفعت قبل أن يلقى وجه ربه فى فجر يوم التاسع من مايو عام ١٩٥٠م عندما طلب من زوجته قدحاً من الماء فشربه ثم راح يسأل عن أولاده واحداً بعد الآخر وبعدها لفظ أنفاسه الأخيرة، وتمر السنون وتمضى الأيام ولا تزال أمة الإسلام فى شتى بقاع العالم تستمع لصوت الشيخ رفعت يصور آيات الله البينات ببراعة وإتقان وصدق فى الأداء مغلف بخشية ورهبة وتقديس لكلام الله تعالى ولا يختلف اثنان على أن الشيخ رفعت أعظم من جود القرآن بصوته ولعله الوحيد بين جميع من أنجبتهم مصر فى عالم التلاوة الذى يستحق لقب خادم القرآن الكريم بحق، فقد كان الرجل يهب حياته لخدمة القرآن حباً فى الله وابتغاء ثوابه ولم ينتظر الشيخ رفعت ثواباً من أحد رغم أنه كان يستطيع أن يحصل على ما يريده من متاع الدنيا ولكن الرجل عاش زاهداً فى الدنيا وفى متاعها فاستحق حب وتقدير ملايين المسلمين له والتفافهم حول صوته الملائكى فى حياته وبعد مماته وبعد مضى ما يقرب من أربعين سنة على صعود روحه إلى بارئها ما زال مريدوا الشيخ وعشاق صوته يحرصون على إحياء ذكراه فى مقبرته بطريق صلاح سالم، تلك المقبرة التى يدرك كل من يراها أن الله قد أكرم الشيخ حياً وميتاً، فالمقبرة تظللها مجموعة من الأشجار الضخمة والنباتات المتسلقة، وتحيط بها الورود والأزهار من كل نوع.

ويقول الأستاذ محمود السعدنى: حتى إنه بعد موته وبعد ضياع أخلد أعماله وهو صوته، وبقاء عدة أشرطة قديمة سيئة التسجيل، بعضها يسىء إلى رفعت أكثر مما يحسن إليه رغم هذا كله فقد أثبت الشعب أنه وفى وفاء منقطع النظير.

مثلاً وهذه حقيقة وليست خرافة، أقسم أحد كبار الجزارين أن جسد العبقرى لن يدفن إلا فى المقبرة التى أعدها له وكان قد أعد فى صمت وبلا ضجيج مقبرة عظيمة تليق بعظمة الراحل الكريم وأصر الجزار الطيب على أن يحمل نعش الشيخ بنفسه إلى مثواه الأخير ووفد على مأتم الشيخ رفعت آلاف من مختلف أنحاء البلاد لم تكن لهم صلات بالشيخ إلا صلة التقدير والإعجاب.

وعندما سمع مفتى سوريا الخبر قال ولحيته مبللة بالدموع: رحم الله شبابه فقد جدد شباب الإسلام، ولا يزال مجهولون كثيرون يزورون قبر الشيخ فى صمت ليقرءوا الفاتحة على روح الفقيد، وإلى عهد قريب كانت فى العاصمة وأنحاء أخرى متفرقة من البلاد مقاهٍ تخصص لمستمعى رفعت قاعات بداخلها ليستمعوا إلى ما تبقى من الشيخ فى هدوء.

وسيأتى يوم وتصبح للفنون الرفيعة الخالدة جامعة، ويكون صوت المرحوم محمد رفعت على رأس هذه الفنون - كما أوضحنا من قبل - فإن كل فن خالد جميل يجب أن يستمد وجوده من حياة الناس من فنون الشعب.

ولقد كتبت مرة سابقة عن الشيخ رفعت فقلت: إن سبب خلوده يرجع إلى أن صوته كان من السماء والآن أعترف بخطئى وأعود فأقول: إن سر خلود الشيخ يرجع إلى سبب واحد أن صوته العبقرى نبع من آمال الناس وآلامهم من أسواقهم وحواريهم ومن أفراحهم الساذجة وأحزانهم العنيفة، بعبارة أبسط: لقد كان صوته من جذور الأرض، كان صوته هو صوت الشعب.

ويقوم المحبون بالاحتفال فى ذكراه الخالدة، ويتحدث كثير من الناس عن ذكراه، يقول السيد منصور الريانى - عضو جمعية النهضة الإسلامية - تحت عنوان «ما قل ودل»: الشيخ محمد رفعت ذو الصوت الملائكى والموسيقى الذى هز أوتار القلوب شغف آذان الملايين من المسلمين والمسيحيين تحل ذكراه العطرة، حيث ولد فى مايو ١٨٨٢م، وتوفى فى مايو ١٩٥٠.

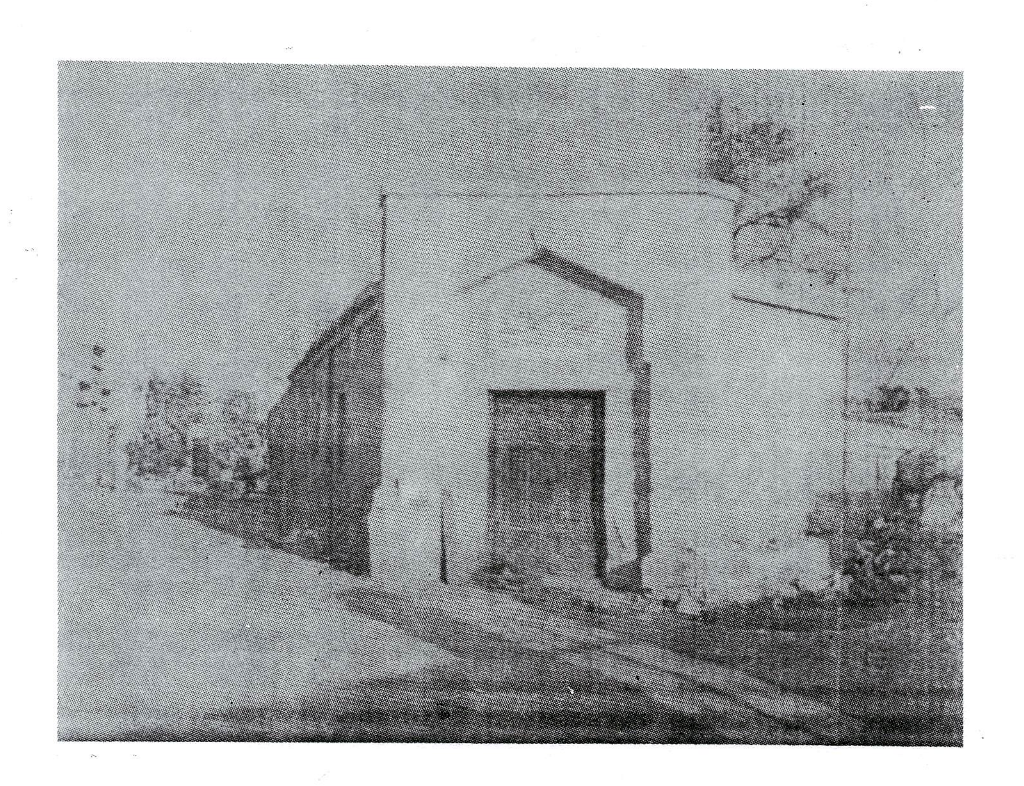
وحق على هذا العالم إحياء ذكراه العظيمة ولا سيما فى جميع جهات الإعلام الرسمية والشعبية، حيث سبق أن أهديت له ميدالية تقديرية، ولأستاذنا الصاوى ذكريات عظيمة ووفاء كبير له حيث إنه عندما أصيب الشيخ رفعت فى صوته

أعلنتم سيادتكم فى «ما قل ودل» بالأهرام عن فتح اكتتاب له، فأقبل الملوك والأمراء وغيرهم بالتبرع بالآف الجنيهات، ولكن الشيخ رفعت رفض شاكراً لكم ولهم، وأذكر أنه فى حفل زفاف نجل الشيخ عبد العزيز السحار كبير معلمى القرآن بالحسينية أحيا الحفل الشيخ رفعت فى سنة ١٩٢٢م مجاناً، فكان صوته معجزة - ولا يزال - لم يأت الدهر بمثلها.

وجزى الله المرحوم زكريا مهران باشا خيراً حيث كان يترك أعماله ليحظى بسماع الشيخ رفعت، ويسجل له من تلاوته المجيدة وبلغ من افتنان الناس عند تلاوته فى الإذاعة عام ١٩٣٤م، أن كانوا يفترشون الأرض لازدحام المقاهى وتتوقف الحركة تماماً فى سكون وخشوع.

ومن عجيب قدر الله أنه ولد وتوفى فى يوم الاثنين، وكانا موافقين للتاسع من مايو لعلها حكمة إلهية - رحم الله الشيخ بقدر ما أعطى وبقدر ما أثلج القلوب.

وعندما ذهبت إلى قبر الشيخ رفعت بمدافن السيدة نفيسة - رضى الله عنها - وجدت مكتوباً عليه «مدفن المرحوم الشيخ محمد رفعت المقرئ» المتوفى فى يوم الثلاثاء ٢٢ رجب سنة ١٣٢٩هـ، الموافق ٩مايو ١٩٥٠م.



مدفن القارئ الشيخ محمد رفعت بمدافن السيدة نفيسة

آثار الشيخ رفعت



أشرطة الشيخ محمد رفعت المستر (النسخة الأصلية)

كان لدى الشيخ رفعت كثير من المتعلقات الخاصة (مثل مكتبة ضخمة ضمت مئات الكتب فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية أو إسطوانات لأم كلثوم ومحمد عبدالوهاب، وفتحية أحمد ، وأوراقا خاصة، وقد انهار المنزل فى زلزال عام ١٩٩٢ ، وضاعت متعلقات الشيخ بين أنقاض المنزل، بعض المتعلقات لاتزال موجودة، مثل عصاه التى كان يستند إليها، الدكة والحصير اللتين كان يجلس عليهما أثناء التلاوة فى جامع فاضل باشا.. فضلا عن هذا لايزال لدى أحفاد الشيخ رفعت عشرات من الرسائل التى بعث بها معجبون للشيخ، من الهند إلى المغرب بلغات العالم المختلفة، إلى جانب من مدفنه بالسيدة نفيسة، ومتعلقات صغيرة مثل حذائه وقليل من ملابسه، وكان الحل الوحيد للملمة هذا التراث المتنوع، بين تسجيلات صوتية لا حصر لها ومتعلقات مختلفة ـ هو مركز يليق باسم الشيخ، يضمها ويوثقها ويعرضها لعشاقه.

وهناك مهندس مسيحى اسمه چورج يوسف، تولى عملية تجميع شتات الآيات، كان هذا المهندس قارئًا للقرآن الكريم وملما بآياته، خاصة وأن

التسجيلات الأولى كانت تسجل على شريط ماركونى وكان ثقيلا يحمله اثنان من العمال.

لقد خلف الشيخ محمد رفعت (رحمه الله) وراءه عدداً من الأسطوانات المسجل عليها بصوته الجميل العذب وقد نقلت هذه التسجيلات بعد ذلك على عدد من الأشرطة بعد محاولات كثيرة لتنقية الصوت من (الوشوشة) ومن يذهب إلى صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات يستطيع الحصول على عدد من الأشرطة بصوت المرحوم الشيخ محمد رفعت والتى تحتوى على الآيات والسور التالية:

١ ـ سورة الفاتحة: كاملة.

٢ ـ سورة البقرة: من الآية ٢٥ إلى ٢٩ ومن ٤٤ إلى ٧٣ .

٣ ـ سورة آل عمران: من الآية ٣٢ إلى ٥١ .

٤ ـ سورة النساء: من الآية ٥٨ إلى ٧٩ ومن ١٢٨ إلى ١٣٩ ومن ٥٤ إلى ١٥٩ ومن ١٧٠ إلى ١٧٣ .

٥ ـ سورة المائدة: من الآية ٢٣ إلى ٤٨ ومن ٨٨ إلى ٩١ ومن ١١١ إلى ١١٧ ومن ٥٦ إلى ٧٢ .

٦ـ سورة الأنعام: من الآية ٨٢ إلى ٨٦ ومن ٨٨ إلى ١٠١ ومن ١٤١ إلى ١٥٩ ومن ١٢٤ إلى ١٢٦ .

٧ ـ سورة الأعراف: من الآية ٣٢ إلى ٣٥ .

٨ ـ سورة التوبة: من الآية ١٦ إلى ١٨ ومن ٧١ إلى ٨٥ ومن ١٢١ إلى ١٢٨

٩ ـ سورة يونس: من أول السورة إلى الآية ١٠ ومن ١٨ إلى ٢١ ومن ٣٥ إلى٦٤ ومن ٦٧ إلى ٧٢

١٠ ـ سورة هود: من الآية ١٣ إلى ١٧ ومن ٢٣ إلى ٢٨ ومن ٦١ إلى ٧٥ ومن ٨٤ إلى ١٠٨ .

١١ ـ سورة يوسف: من أول السورة إلى الآية ٢٧ ومن ٥٢ إلى ٨٢ ومن ١٠٨ إلى ١١٠ .

١٢ ـ سورة الرعد: من أول السورة إلى الآية رقم ١٦ وتلاوة أخرى من أول السورة إلى الآية رقم ٩ .

١٣ ـ سورة إبراهيم: من الآية ١٠إلى ١٥ ومن ٣٩ إلى ٤١ .

١٤ ـ سورة الحجر: من الآية ٢٢ إلى ٤٦ .

١٥ ـ سورة النحل: من الآية ٣١ إلى ٣٢

١٦ ـ سورة الإسراء: من الآية ١ إلى ١٤ .

١٧ ـ سورة الكهف: من الآية ١ إلى ٢١ ومن ٤٦ إلى ٤٧ ومن ٦٠ إلى ٨٩ .

١٨ ـ سورة مريم: من الآية ١ إلى ٣٦ ومن ١ إلى ٤٠ .

١٩ ـ سورة طه: من الآية ١ إلى ٥٢ .

٢٠ ـ سورة الحج: من الآية ٢٧ إلى ٣٦ .

٢١ ـ سورة النور: من الآية ٣٥ إلى ٣٨ .

٢٢ ـ سورة الفرقان: من الآية ٥٣ إلى ٥٩ ومن ٦١ إلى ٧٦.

٢٣ ـ سورة الفتح: من الآية ١ إلى ١١ ومن ١٧ إلى ٢٠ .

٢٤ ـ سورة الطور: من الآية ١٧ إلى ٢٨ .

٢٥ ـ سورة القمر: من الآية ١ إلى ٧ .

٢٦ ـ سورة الرحمن: كاملة وله فيها تسجيلان.

٢٧ ـ سورة الواقعة: من الآية ١ إلى ٣٨ .

٢٨ ـ سورة الطلاق: من الآية ١ إلى ٧ .

٢٩ ـ سورة الجن: كاملة.

٣٠ ـ سورة المزمل: كاملة وله فيها تسجيلان.

٣١ ـ سورة القيامة: من الآية ١إلى ٢٣

٣٢ ـ سورة الإنسان: كاملة وله فيها تسجيلان.

٣٣ ـ سورة المرسلات: كاملة.

٣٤ ـ سورة النبأ: كاملة.

٣٥ ـ سورة الانفطار: كاملة.

٣٦ ـ سورة المطففين: كاملة.

٣٧ ـ سورة الانشقاق: من الآية ١ إلى ١٥ .

٣٨ ـ سورة البروج: كاملة.

٣٩ ـ سورة الطارق: كاملة.

٤٠ ـ سورة الأعلى: كاملة.

٤١ ـ سورة الغاشية: كاملة.

٤٢ ـ سورة الفجر: كاملة.

٤٣ ـ سورة البلد: كاملة.

٤٤ ـ سورة العلق: كاملة.

٤٥ ـ سورة القدر: كاملة.

٤٦ ـ سورة البينة: كاملة.

٤٧ ـ سورة الزلزلة: كاملة.

٤٨ ـ سورة العاديات: كاملة.

٤٩ ـ سورة القارعة: كاملة.

٥٠ ـ سورة التكاثر: كاملة.

٥١ ـ سورة العصر: كاملة.

٥٢ ـ سورة الهمزة: كاملة.

٥٣ ـ سورة الفيل: كاملة.

٥٤ ـ سورة قريش: كاملة.

٥٥ ـ الأذان: وله فيه تسجيلان.

تلك كانت آثار تسجيلات الشيخ المرحوم محمد رفعت (رحمة الله عليه).

الجدير أن وزارة الثقافة وافقت على إنشاء متحف للشيخ محمد رفعت فى الاحتفال بمرور مائة عام على ميلاده فى الأوبرا وخصصنا مقراً لجمعية محبى الشيخ محمد رفعت فى شارع فيصل سيحفظ فيه تراث الشيخ ومقتنياته وصوره وما كتب عنه، ونتمنى أن نجد عوناً لإقامة هذا المتحف.

معلومة:

كانت تذاع تسجيلات الشيخ رفعت من إذاعة القاهرة فى يوم الاثنين من الثامنة إلى الثامنة والنصف مساءً، كما أن إذاعة الشرق الأوسط المصرية اتفقت عند إنشائها على الافتتاح والانتهاء بصوت الشيخ رفعت ثلاث مرات فى اليوم فى الصباح والظهيرة والليل لأنها تبث برامجها على فترتين واتفقت السيدة آمال فهمى مع أولاد الشيخ رفعت على أن تكون إذاعة الشريط القرآنى لوالدهم لمدة ٥ دقائق مرتين بنصف أجر والثالثة مجاناً.

والآن تذاع تسجيلات المغفور له ـ محمد رفعت ـ على إذاعة القرآن الكريم من السابعة، وذلك على مدى نصف ساعة، أى حتى السابعة والنصف، وتذاع تسجيلاته على إذاعة الشرق الأوسط قبل أذان الفجر بعشر دقائق ولمدة عشر دقائق صباحاً من السادسة وست دقائق إلى السادسة وإحدى عشرة دقيقة، وعلى إذاعة صوت العرب مساء يوم الجمعة من كل أسبوع لمدة نصف ساعة.

الخاتمـة

هكذا طفنا مع حياة ذلك القارئ العظيم محمد رفعت، الذى استطاع أن يجمع الناس من حوله فى مسجد متواضع على اختلاف أجناسهم لسماع آى الذكر الحكيم.

والشيخ محمد رفعت يحتاج إلى مجموعة من العلماء والمتخصصين فى علوم شتى ـ كعلوم التفسير، والقراءات، والتجويد والصوتيات، والموسيقى، وعلماء الإلقاء، وغيرها من العلوم ـ للحديث عن هذه المعجزة ولكن هذا بعض ما وفقنى الله إليه.

فصوت الشيخ رفعت عبارة عن مجموعة من الأصوات اجتمعت وكونت صوته العظيم الخالد، عاش الرجل حياة كلها عفة ورضى وتقوى، إيمان بالله وبكتابه، عاش فقيراً، ولو أراد الغنى لكان أغنى الأغنياء ولكن اكتفى بغنى نفسه.

يا له من رجل عظيم ينطبق عليه قول رسولنا الكريم (ﷺ): «إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانتهم من الله (عز وجل)، قال رجل: فمن هم وما أعمالهم؟ لعلنا نحبهم، قال رسول الله: قوم يتحابون بروح الله عز وجل من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم والله إن وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، قالوا: ثم قرأ: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

مات بجسده، لكن روحه حية وستظل خالدة إلى الأبد، يتطلع المحبون ممن لم يروه ولم يعاصروه أن يعرفوا كل شىء عن حياة ذلك الطود الشامخ ذلك الصرح العظيم (رحمه الله).

لعل كتابى هذا يكون عوناً لكل إنسان مسلم كان أو غير مسلم يجب أن يعرف من هو قارئ القرآن الضرير ذو البصيرة محمد رفعت الذى لم يتعلم فى أى جامعة من جامعات العالم، ولم يحصل على أى شهادة إلا شهادة الإيمان والإخلاص لله ولكلام الله المقدس وصدق الله العظيم ﴿يؤتى الحكمة من يشاء ومن يُؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً﴾.

المصادر

الكتب والصحف والمقالات:

تفسير ابن كثير، تفسير قصة سيدنا أيوب، عند الآية ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . . .﴾، من سورة الأنبياء، المجلد الثالث، ص٢٩٩ ـ ٣٠٠ دار الفكر.

ـ تفسير القرآن الكريم ـ الإمام الأكبر ـ محمود شلتوت ـ دار الشروق الطبعة العاشرة ١٩٨٣ .

ـ مع القرآن الكريم ـ فضيلة الشيخ محمود خليل الحصرى ـ دراسات فى الإسلام ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ العدد السادس والستون ١٩٦٦م.

ـ أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية ـ تأليف ـ محمد عبد الواحد حجازى ـ مجمع البحوث الإسلامية ـ سلسلة البحوث الإسلامية ـ السنة الثالثة ـ الكتاب الثالث والأربعون ـ ديسمبر سنة ١٩٧١.

ـ من سلسلة إقرأ، بعنوان: أشهر من قرأ القرآن فى العصر الحديث، أحمد البلك، دار المعارف، القاهرة.

ـ ألحان السماء، محمود السعدنى، يناير ١٩٩٦ دار أخبار اليوم.

ـ فن تربية الصوت وعلم التجويد، عطيات عبد الخالق، ناهد أحمد حافظ.

ـ صحيفة السياسة الكويتية، حلقات عن إمام المقرئين الشيخ محمد رفعت، حلقة (٢، ٣، ٤)، ـ بقلم الأستاذ محمد صفوت.

- كتيب الكواكب، بعنوان نجوم قراءة القرآن.

- د. مصطفى محمود، بعنوان صوت يقرأ القرآن الأهرام.

- مقالات الأستاذ كمال النجمى رئيس تحرير مجلة الهلال، بعنوان: أعظم صوت أحيا ليالى رمضان.

- مقال الشيخ الدكتور العلامة أحمد المعصراوى - شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر -

- المرجع فى تاريخ العلوم عند العرب - دكتور محمد عبد الرحمن مرحبا - منشورات دار الفيحاء.

- قصيدة الدكتور بيضا..

- كتابك - عبد السلام هارون - التراث العربى - ٣٥ دار المعارف.

- سيناريو الأستاذ عبد الله أحمد عبد الله عن حياة الشيخ محمد رفعت، إخراج شوقى عمران، ٢/٥/١٩٨٠م.

- برنامج صباح الخير يقدم قصة حياة الشيخ رفعت كما كتبها ابنه الأكبر محمد محمد رفعت.

- مقال الأستاذ أحمد الصاوى محمد، بعنوان ما قل ودل الأهرام.

- مقال الأستاذ أنيس منصور، بعنوان موقف الأهرام.

- الحوارات الإذاعية والصحفية التى دارت مع العلماء والفنانين عن حياة وصوت الشيخ محمد رفعت.

- صوت السماء، حياة الشيخ محمد رفعت، سيناريو من تأليف: محمد دواره، إخراج: فتح الله الصفتى.

- ما قاله أحمد عبد اللطيف بدر من شعر فى رثاء الشيخ رفعت، ٩ / ٥ / ١٩٧٧م

- وغيرها من المقالات الأخرى.

- جريدة الجمهورية، ٢٤ مايو ٦ مايو ١٩٩٢ شكرى القاضى.

- الأهرام المسائى، ١٤ مارس ١٩٩٣ محمد باهى.

- الأنباء، ١٩٩٢/٤/٥محمد بكر.

- أكتوبر ١٩٩٧/١/١٩م سعد القاضى.

- الجمهورية ١٩٩٢/٣/٢١م نجوى فؤاد، بعنوان: معركة الأستاذ محمد رفعت.

- النقاد: سامى كمال الدين، العدد الأول، ١ ديسمبر ٢٠٠٤تحت عنوان: محمد رفعت عمدة تلاوة القرآن الكريم.

- برنامج قال لى صاحبى وهو يحاورنى، إذاعة الشرق الأوسط، تقديم الأستاذ عاطف عبد الحميد.

الفهرس

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

ت : ٢٥٧٧٥٠٠٠
٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤
٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول – الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك – المرحلة الخامسة – عمارة ٦

مدخل (أ) – الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى – بكلية الزراعة –

الجامعة الجديدة – الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ – بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى – أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية – أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب – المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا – المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة – عمارة سينما أمير – طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقاً – المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى – دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى – توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة – المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير – الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ – ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢


الهيئة المصرية العامة للكتاب